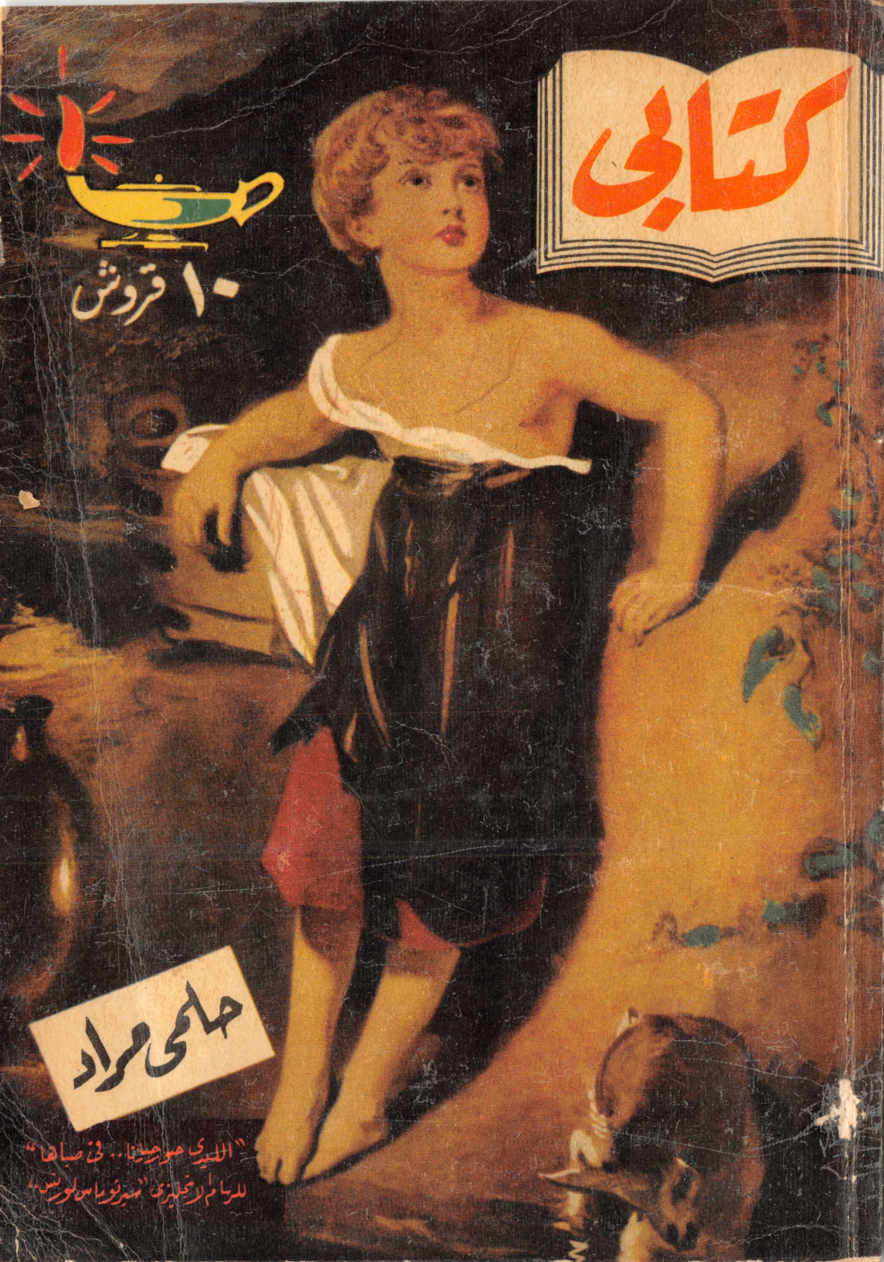
كتابى

١٠ قروش



حلمى مراد

"الليدى جورجيانا .. فى صباها"
للرسام الانجليزى "سير توماس لورنس"



السمراء الفاتنة !

لوحة للمصور الفوتوغرافي الفرنسي « اندريه تيفينيه »



أوز يرحب بالشروق ! لوحة رائعة للمصور الفوتوغرافى
« ارنو فاداس »

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثالث والخمسون (السنة الخامسة) : أغسطس ١٩٥٦

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات العـدد

عزيزى القارىء ..

• كان حادث الشهر بحق ، هو هذه الضربة القاصمة التى أنزلها بطل مصر الاول ، جمال عبد الناصر ، بالاستعمار فى أبشع صوره وأرذل أشكاله .. فقد جاء تأميم قناة السويس ، ضربة قصمت ظهر الاستعمار والاستغلال، وشتتت عقول الدول الاستعمارية ، حتى انها لاتزال ـ وقد انقضت على التأميم ستة أيام ـ متضاربة الآراء والافكار ، لاتكاد تستقر على رأى موحد ازاء هذه المفاجأة الموجعة التى لم تكن تتوقعها .. لا ، بل التى كان يجب ان تتوقعها ، فان الظلم دائما يجب ان يتوقع انتفاضة الحق ونهوضه للانتصاف لنفسه !

وهكذا قدر للحق أن ينتفض فى مصر ، ممثلا فى ابن من أبر أبنائها ، نهض فى حزم فأزاح عن كاهلها بدفعة واحدة ، قوية ، حاسمة ، ذلك الظلم الذى ظل يرين على كاهلها حوالى تسعين عاما، بكل ما ينطوى عليه من استغلال ، واحتلال ، واذلال .. وأعاد « جمال » قناة السويس الى أصحابها ، فاذا العالم كله يقف مذهولا ، لان الدعايات المغرضة ظلت أجيالا توحى اليه بأن مصر بلد عقيم ، لايمكن أن ينجب أبناء أقوياء .. واذا الدول الاستعمارية تشهق مأخوذة ، وتفرك عينيها غير مصدقة مارأت، حتى اذا لم يعد لديها شك فى انه حقيقة ، راحت تصخب وتزأر وتهدد وتنذر .. وكأنها لاتعلم ان مصر فى عهدها الجديد ليست بالوادعة ، الساذجة ، التى تهتز للصخب ، وترتجف للزئير ، وتجزع للنذير .. ثم تحولت الى محاولة ارهاب مصر بالتهديد المسرحي !.. وأغلب الظن انها لن تجد فى النهاية بدا من التسليم للواقع ، فاذا كل هذه الضجة الجوفاء ، تنتهى الى .. « محاولات لاقناع مصر بقبول تدويل القناة » !

ولكن « جمال » ، والشعب من ورائه ، والدول العربية جمعاء

تحف بهما ٠٠ هذه الكتلة القوية التى تستند الى الحق ،والحق وحده ، تقف كالسد المنيع فى وجه باطل الغرب وخداع الاستعمار !٠٠ وقد كان هذا الموقف النبيل ، المشرف ، من الشعوب العربية ، دقة أخرى على أم ناصية الاستعمار ٠ ٠ دقة نبهته الى ان عهده قد ولى ٠٠ والى غير رجعة ان شاء الله !

★ ★ ★

◆ وكنت واسرة « كتابى » قد فرغنا من اعداد هذا العدد من مجلتك ، عندما أعلن الرئيس جمال هذا النبأ الذى ظلت مصر ترتقبه حوالى تسعين عاما ٠٠ وكنا نسهر على آلات الطباعة وهى تخرج لك ملازم العدد ، عندما دوى صوت جمال عبد الناصر: « سنسترد ما اغتصب منا ٠٠ وقد وقعت اليوم قرارا بتأميم القناة » ، فاذا بأصواتنا جميعا ترتفع فى آن واحد : « برافو!٠٠ اوقفوا الطباعة ! » ٠٠ فقد كانت أقل استجابة منا للفرحة الطاغية التى عصفت بقلوبنا ، تقتضى ان نضمن هذا العدد ، قسطا من صدى صيحة « جمال » ٠٠ وتمثل هذا القسط فى تلخيص بعض ماجاء فى الكتاب بل المرجع القيم الذى أصدره الدكتور مصطفى الحفناوى منذ سنوات عن قناة السويس ، وفضح فيه المؤامرات الدولية الدنيئة التى اقترنت بحفرها ، والمآسى المشئومة التى حاقت بمصر من جرائها !

وكان لابد من أن نلغى بعض الابواب التى اعتدت أن تقرأها فى كل شهر ، لنفرد فراغا لهذا الموضوع ٠٠ وكان لابد من ان أؤجل اصطحابك معى فى رحلتى الى البلدان الاوربية ،لاصطحبك فى رحلة أشهى وامتع ٠٠ رحلة بين دهاليز التاريخ المظلمة ، لنشهد أبشع قصص التآمر والخسة والاستغلال !٠٠ واعتقد انك لن تلومنى على هذا التأجيل ، فان المناسبة التاريخية الجليلة ، بل والمجيدة ، تستحق هذا ٠٠ وأكثر !

* * *

• وبهذا أصبح العدد الذى بين يديك من « كتابى » يضم مجموعة قوية من الموضوعات الشيقة ، التى تمثل كل لون تقريبا .. فالى جانب قناة السويس - بتاريخها المعتم القديم ، وتاريخها المشرق الحديث - قدمت لك طائفة من أمتع الكتب.. ولسوف تقرأ معى فى هذا العدد ، كتابا عن الفيلسوف الالمانى الكبير « نيتشه » ، وتلخيصا لاقوى كتبه الخالدة : « هكذا تكلم زرداشت » .. وسنقرأ معا قصة اعترافات غانية فرنسية خلفت فى المجتمع المصرى - فى أواخر الربع الاول من هذا القرن - احدى الفضائح التى كانت تجررها فى أذيالها ..

كذلك رأيت - زيادة في التنويع والتلوين - ان أقدم لك فى هذه المرة قصة بوليسية عالمية ، فاخترت لك قصة من انتاج الروائى البوليسى « ويلكى كولينز » .. كما قدمت لك حلقة جديدة من التقرير الذى هز أمريكا والعالم بأسره ، اذ اتجه فى دراسة الجنس وجهة جديدة ، لا تقوم على نظريات وتأويلات فلسفية ، وانما تستند الى دراسات علمية ، وحقائق مدعمة بالقرائن .. وحلقة هذا الشهر من كتاب الدكتور « الفريد كينزى » وزملائه ، تتناول نواحى هامة ، تنبه الى مشكلات خطيرة فى كل مجتمع

ولكن .. لقد أصبح العدد بين يديك ، فلأتركك لترتاد بنفسك أبوابه ، و .. وتحكم !

حلمى مراد

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيـــع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشـــيطان عـــلى الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صـــاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حيـــاة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حيـــاة موسولينى** » ، والثـــالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون «**ترويض النمرة**» . والثامن والعشرون «**فن الحب**» ، والتاسع والعشرون «**الجريمة والعقاب**» ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢

◆ **وتطلب** من ادارة «**كتابى**» : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا ٠٠ وابتداء من العـــدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولا تقبـــل العملة الاجنبية او اذون البريد الخارجية . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات « كتابى »

صدر منها حتى الآن :

قصة مدينتين ـ ذات الثوب الابيض ـ الخالدون ـ الخاطئة ـ حياة امرأة (جزءان) ـ الخطيئـــة الاولى وفتـــاة من الاقاليم ـ أوديب ـ مدام بوفارى (جزءان) ـ عاشقات فى الخريف ـ قلوب ضالة ـ ديكاميرون (ألف ليلة وليلة الايطالية) ـ الظمأ للحب ـ جين اير (جزء أول)

وثمن كل من الاول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصـــا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والتاســـع والعاشر والحـــادى عشر والثالث عشر والرابع عشر والخـــامس عشر ١٢ قرشا ، والثـــالث والخامس والسادس ١٠ قروش ، والثانى عشر ١٤ قرشا

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الاولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعـداد الستة الاولى من « **كتابى** » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. **فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائهـا بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، علـى أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ، وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) . ١٢٠ قرشـا وعن نصف سنة (٦ أعداد) : ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية **Money Order** عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و ٧٥ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسـا وألمانيا وأستراليا الخ . قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل بخلاف أجر البريد الجوى

المطبعة العالمية

١٦ ، ١٧ شـارع ضريح سعد بالقاهرة
تليفون ٢٩٣١٧



لكيلا ننسى!

قناة السويس

وقصة المؤامرات الدولية الدنيئة
التي اقترنت بحفرها، والمآسي المشئومة
التي حاقت بمصر من جرائها

ملخصة عن الكتاب الجامع الذي وضعه: **الدكتور مصطفى الحفناوى**

هذا الكتاب ٠٠ فى أوانه !

◆ فى هذه الايام الحاسمة التى محت فيها مصر عارها ، واستردت قناتها ـ بعد جهاد طويل مرير لم تلن لها فيه قناة ـ بفضل الضربة الموفقة التى ضرب بها الرئيس البطل جمال عبد الناصر أفعى الاستعمار، وذيله الباقى ، فى مقتل !٠٠ يسر « كتابى » ان يقدم لقرائه فيما يلى، هذا التلخيص لبعض الفصول الشائقة من كتاب الباحث المدقق الدكتور مصطفى الحفناوى المحامى ، الذى تخصص فى بحث موضوع قناة السويس ومشكلاتها ، منذ وقع اختياره على هذا الموضوع ليقدم فيه الرسالة التى نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس ٠ وقد راعينا فى اختيار الفصول التى لخصناها فيما يلى ، دون سواها من فصول الكتاب وأجزائه العديدة ، انها تتضمن الكثير من الوقائع الجديدة المثيرة التى لم يكن للقارىء العربى المام بها ، قبل ان يكشف الدكتور الحفناوى عنها النقاب

وهى ـ كما سترى ـ وقائع وحقائق أغرب من الخيال !

يقول المؤلف فى صدر كتابه انه حين اختار مشكلة قناة السويس لتكون موضوعا لرسالة الدكتوراه التى كان قد ازمع التقدم بها الى جامعة باريس، عكف على بحث الموضوع من شتى نواحيه بضع سنين ، ووصلت الى يده أثناء البحث وثائق ذات خطر بالغ ، تقلب دراسة تاريخ القناة رأسا على عقب ، وتكشف عن كثير من المغالطات التى اشاعتها أقلام كتبت لحساب الاستعمار ، وصنفت من وجهة نظره ، وظلمت البلد صاحب القناة فى تاريخه ، وعدت على حقوقه ٠٠

وفيما يلى القصة ـ بل المأساة ـ الحقيقية لحفر قناة السويس، وللدور الدنىء الذى لعبه فيها « فرديناند دى ليسبس » ، كما فصلهما الدكتور الحفناوى فى كتابه الممتع :

الاوهام التى غرستها الدعاية البريطانية فى الاذهان !

• **ان** قناة السويس ، مع ماقد توحى به من انها اداة خير عام ، لم تكن الا مؤامرة اشتركت فيها دول اوربا الكبيرة منذ اقدم العصور — فقد نبتت فكرتها فى أذهان رجال الدول الاستعمارية منذ أيام الحروب الصليبية ! — بل انها أكبر وأخطر مؤامرة عرفها التاريخ ، فقد ارادت الدول بحفر القناة اتخاذها ذريعة لاحتلال مصر بواسطة احدى الدول الاجنبية الكبرى — فرنسا أو انجلترا — على ان تتكتل وراء هذه الدولة بقية الدول الاخرى ، فتضمن بذلك السيطرة على الطريق الى خزائن الثروة فى آسيا وافريقيا ، وفى بلاد الشرق جميعا ٠

وقد ثبت على وجه اليقين ان الشعوب المستنيرة مازالت حتى اليوم فريسة للتضليل ، فى أمر القناة ، أو على حد قول الاستاذ كامل عبد الرحيم سفير مصر فى واشنطون فى كتاب بعث به الى فى يناير سنة ١٩٥٢ : « **ان مشكلة مصر الاولى هى قناة السويس ٠ وفى جميع الاوساط العالمية جهل تام بها ، بل ومعلومات خاطئة غرستها الدعاية البريطانية المغرضة ، تشويها للحقيقة ، ونشرا للباطل ، رغبة منها فى الابقاء على سياستها الاستعمارية الغاشمة ٠٠ فهم ينصبون أنفسهم حماة للقناة ، ويصورون للعالم انهم لو تركوها لتعطلت فيها الملاحة ، ومنعت مصر سير السفن ، ولوقعت القناة فى أيدى الشيوعيين فى الحرب المقبلة !** ٠٠ وقد ذهب الجهل بالكثيرين الى الاعتقاد ان قناة السويس ملك لبريطانيا أنشأتها برجالها ومالها !٠٠ الخ »

ضربة الرئيس عبد الناصر جاءت فى أوانها !

• **ولقد** ضاعفت أبواق الدعاية الاستعمارية جهدها لتشويه الحقائق وقلب الاوضاع ، فهى من ناحية تحاول — تحت ستار

« المصالح الاستراتيجية » ـ ان تدول منطقة قناة السويس ، وان تنتزع من جسم مصر ، بالدهاء وسعة الحيلة تارة ، وبالبطش والجبروت تارة اخرى ، إهم شريان يتصل بحياةهذه البلاد ، وذلك لكى تطيل أجل الاستعمار الذى آذن بالزوال! ٠٠
ومن ناحية اخرى تسعى شركة قنـاة السويس ، بكل الطرق والوسائل ، لمد أجل الامتياز الذى ينتهى فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ٠ وتحت يدى مستندات تكشف عن نشاط هذهالشركة التى تعتمد على سكوت مصر ومضى الوقت دون أن تتخذ خطوات عملية للتصفية ٠ وان ماتبـذله الشركة ودول الاسـتعمار من مؤامرات فى هذا الشأن ليقض المضاجع ويهدد مستقبل الاجيال، ويكاد يعصف بجهادنا المرير ٠ وهأنذا أبرىء ذمتى امام الله ، وأدعو الى عمل سريع حاسم ، واطالب بنشر الحقائق فى أوسع نطاق ٠٠

فكرتها ترجع الى القرون الوسطى !

◆ **وليست** فكرة حفر قناة السويس بنت القرن التاسـع عشر ، كما قد يتبادر الى الاذهان ، وانما هى « ثوب » اخير من أثواب مطامع استعمارية قديمة لدول الغرب ترجع الى العصور الوسطى ، حين بدأ اهتمام الغرب بحاصلات الشرق وكنوزه ، حتى لقد أوفد شارلمان سفيراً من لدنه الى هارون الرشـيد كى يبث نفوذه فى البلاد العربية ٠٠ لكن العرب لم يلبثوا أن تنبهوا فوقفوا لسفن الغرب بالمرصاد ، يقطعون طريقهـا الى الشرق ! ٠٠ **وحين نشبت الحروب الصليبية كان من نتائجهـا لفت انظار الاوربيين الى ثراء الشرق ، وأهمية الطرق المؤدية اليه ، فلما وضعت الحرب اوزارها انعقـدت صـلات تجـارية جديدة بين المسلمين والمسيحيين ، وكان طريق البحـر الاحمر هو الشغل الشاغل للاوربيين ، فاستعملوا مختلف طرق الدهاء**

وسعة الحيلة للوصول اليه !

ومنذ ذلك التاريخ تجددت محاولات الوصول الى البحر الاحمر فى مختلف العصور ، تحت شتى الصور ، سيما بعد استئثار البرتغاليين بطريق رأس الرجاء الصالح الذى كشفه « فاسكو دى جاما » فى اواخر القرن الخامس عشر . **وقد بدأت فرنسا اهتمامها بفكرة الوصل بين البحرين الاحمر والابيض المتوسط منذ عهد لويس الرابع عشر ووزيره « كولبير » .. ثم فى عهود لويس الخامس عشر ، ولويس السادس عشر .. وفى عهود الثورة الفرنسية ، وعهد نابليون** ــ (مما لامجال لتفصيله فى هذا التلخيص) ــ ثم تجددت مساعى الاوربيين فى عهد « محمد على » على يد جماعة عرفت باسم جماعة « سانت سيمونيان » ، أغرمت بمشروع قناة السويس كخطة يراد بها تمكين اوربا من الشرق بأسره ، وتقسيمه بين المستعمرين ، والعدوان على مصر وحقوقها وسيادتها ! .. لكن محمد على رفض البدء فى المشروع الا اذا قدمت اليه الدول الكبرى ضمانا تتعهد فيه بعدم اقدام أية دولة منها على وضع يدها على المشروع أو تسخيره لمصلحتها ..

ثم مات محمد على وخلفه عباس الاول . وشرع الانجليز ، على أثر اختراع السكة الحديد ، فى تنفيذ مشروع سكة حديد الاسكندرية ــ القاهرة ، وفى نيتهم ان يمدوه بعد ذلك الى السويس ، ليربطوا البحر الابيض بالبحر الاحمر بخط حديدى سريع ، على الاقل ، ان لم يتيسر لهم وصل البحرين بقناة مباشرة .

المغامر المحظوظ « دى ليسبس » يقطف الثمرة !

◆ **فى** تلك الايام كان الافاق الفرنسى والمغامر الاستعمارى « فرديناند دى ليسبس » يتربص ، وقد وطد العزم على السعى

لاقناع والى مصر باعطائه امتياز تنفيذ المشروع ، بحجة فائدته العظمى لمستقبل مصر !

واذا قلنا عن « فردينانـد دى ليسبس » انه كان رجلا استعماريا من النوع الخطر ، وانه لم يدر بخلده أن يؤدى أية خدمة لبنى الانسان ، بل أراد ان يجعل من مشروع قناة السويس أداة لتمكين فرنسا من احتلال مصر والسيطرة على الشرق بأسره ، فلسنا نلقى القول جزافا ، بل نبنى هذا الاتهام على وثائق وأسانيد علمية ، لايستطيع ان يجادلنا فيها أشد الفرنسيين تحمسا لذكرى رجل حاول بالدهاء والمكر وسعة الحيلة أن يحقق حلما بعيد المدى !

ولكى نستطيع أن نحكم منصفين على ذلك الرجل ، يجب أن ندرس العصر الذى نشأ فيه والبيئة التى تأثر بها ، والعوامل المختلفة التى تفاعلت حتى جعلت له تفكيرا من نوع خاص ، واسلوبا انفرد به فى معالجته للمسائل الكبيرة كمسألة قناة السويس ، ونحن مضطرون لان نتابع مراحل حياته منذ ظهوره ، كما يتابع الفلكى نجومه فى السماء ، ونسير معه فى خطواته المختلفة ، التى انتهت بمشروع يعد بحق أكبر انقلاب عرف فى تاريخ الدنيا بأسرها .

أجداده كانوا قراصنة ، وأبوه قنصلا لفرنسا بمصر

◆ **ولدته** أمه فى (فرساى) فى ١٩ من نوفمبر سنة ١٨٠٥، وفى ذلك الوقت كانت راية فرنسا خفاقة فى السماء ، وكان الامبراطور نابليون الاول قوة جبارة ، حطمت أنوف القياصرة ، وعصفت برؤوس متوجة ، ولم يكن أحد يعرف حينئذ أين تنتهى حدود فرنسا !

كان الفتح والاستعمار أغنية أهل فرنسا بأجمعهم ، وهى الاغنية التى استمرت تذكى أفئدة الفرنسيين،حتى بعد نابليون

بونابرت .. **ولهذا تفتحت عينا « فرديناند دى ليسبس » على مجد فرنسي خاطف،وسمعت أذناه أول ماسمعت قصص نابليون ومواقعه وفتوحاته وأطماعه وأمانيه ، وتلك هى المادة الاولى فى عجينة تمخض عنها مشروع قناة السويس الذى عجزت القرون عن وضعه موضع التنفيذ ! فالعبقرية كما فهمها « دى ليسبس » فى أيامه الاولى هى سطو فرنسا على الآخرين ، وانتهاز الفرص، والنهب فى ذلك المضمار ، باعتباره عملا مباحا !..** وميلاد الرجل فى (فرساى) ، تذكير له بأيام لويس الرابع عشر ، وأحلام « الملك الشمس » كما كانوا يسمونه !.. وتشاء الاقدار أن يتجه تفكير الفتى الى مصر بالذات ، فيجعلها منذ بداية حياته قبلة أنظاره ، وذلك لان أباه كان من رجال نابليون الاول الذين رافقوه فى حملته على مصر . وبعد جلاء الحملة الفرنسية اشتغل أبوه «ماتيو دى ليسبس» قنصلا لفرنسا بمصر . وبعد قضاء ثلاث سنوات على ضفاف النيل سافر الى فرساى مع زوجته الشابة وكانت تحمل « فرديناند » بين أحشائها ،لقضاء عطلته ، فولد الغلام فى فرساى ، ومن هنا بدأت الرابطة فى التفكير : رابطة فرساى وباريس بالقاهرة وبرزخ السويس !

ويجب أن يضاف الى ذلك ان وظائف السلك السياسى الفرنسي فى بلاد الشرق فى ذلك الزمن كانت وظائف جاسوسية، وأهم اختصاصات الذين تناط بهم تلك الوظائف رسم الخطوط الاستعمارية والسهر على تنفيذها ، بالدس ، واثارة الفتن ، وبمختلف الاساليب والحيل . وكانت أسرة دى ليسبس ممن يتوارثون تلك الوظائف جيلا بعد جيل .

وكان « ماتيو » دى ليسبس - سليل الاسرة التى كان أسلافها من القراصنة ولصوص البحار - فى مقدمة من وضعوا نواة الاستعمار الفرنسى فى بلاد أفريقيا الشمالية ، فاشتغل عينا لفرنسا على مراكش - وقت اذ لم يكن لفرنسا فى شمال أفريقيا نفوذ أو شبه نفوذ - ونيطت به مهمة أخرى فى طرابلس

وليبيا ، ثم ما لبث بونابرت ان عينه قوميسيرا عاما لفرنسا فى مصر قبل أن تجلو عن أرضها جيوش الحملة الفرنسية ، وكان « ماتيو » دى ليسبس فى الثلاثين من عمره ٠

يتسلل الى قلب محمد على !

◆ **وجلت** جيوش فرنسا عن الاراضى المصرية فى سنة ١٨٠١ ، ولكن بقي « ماتيو » يؤدى وظيفة القنصل الفرنسى ٠ وكانت مصر فى ذلك الحين ترزح تحت وطأة المظالم والفوضى التى أشاعها البكوات المماليك ، وكانت انجلترا كما أسلفنا قد اشترت ذمم البعض من أولئك البكوات ، وبدأت تمهد لاحتلال مصر ، وتبذل المساعى ، ولكن ظهرت الحركة القومية التى تزعمها محمد على الكبير ، **فوقف « ماتيو دى ليسبس » فى صف هذه الحركة مؤازرا لمحمد على ، لانه رأى ان ذلك هو السبيل الوحيد لفرنسا كى تتغلب على نشاط الانجليز ومنافستهم لها فى مصر وبلاد الشرق الاوسط ٠ وفعلا أمكن لهذا القنصل ان يضمن لفرنسا صداقة محمد على !**

وبفضل العلاقات الوطيدة التى نشأت بين «ماتيو دى ليسبس» ومحمد على ، وجد ولده « فرديناند » طريقه الى بيت محمد على ، وقامت بينه وبين سعيد باشا صداقة ، كانت نعمة لفرنسا وللاستعمار الغربى بأسره ٠٠ ونقمة على مصر وبلاد الشرق بأجمعها !

وحين سقط نابليون وعاد لويس الثامن عشر الى العرش ، وضع « ماتيو » نفسه فى خدمة النظام الجديد ، فى الميدان الاستعمارى البحت ، فعاد الى السلك القنصلى ، وعين فى مراكش) ٠٠ وبعدئذ فى (تونس) ، حيث قضى الست سنوات الاخيرة من حياته بين أرجائها ، يمهد لاستعمار فرنسا لها ! ولقد تمكن من أن يبرم مع «باى» تونس معاهدة سياسية ،

تقى سفن فرنسا مما كانت تتعرض له كلما مرت بمياه تونس، وتحرم استرقاق المسيحيين ٠

الاب والابن يطعنان (الجزائر) في ظهرها !

◆ **وفى** تلك الايام ، كان « فرديناند » قد ترعرع ولحق بأبيه ٠ وصادف وقتئذ ان احتلت فرنسا بلاد الجزائر ،فتعاون « دى ليسبس » الاب و « دى ليسبس » الابن تعاونا تاما مع قائد قوات الاحتلال ، لطعن الجزائر فى ظهرها ! وكان فرديناند دى ليسبس أشبه بضابط اتصال ، ولقد أثنى قائد الجيش الفرنسى المحتل أطيب الثناء على الابن وأبيه ، للخدمات التى أدياها ، والخيانات التى ارتكباها ضد العرب الآمنين (١)

وهكذا قضت ارادة الله أن يهيىء لمشروع السويس رجلا بدأ حياته العملية فى محاربة المسلمين والكيد لهم ، وخدمة استعمار فرنسا فى شمال أفريقيا ٠٠ ومن هنا كانت الآمال الجسام التى علقها على مشروع السويس ، حينما رسم له خياله الخصب ان يحتضن هذا المشروع ، ويختطفه من أيدى الآخرين ،ويجعله مقرونا باسمه وبآماله الاستعمارية التى لاتقف عند حد !

لم يكن مهندسا ولم يدرس الهندسة !

◆ **ورغم** جسامة الدور الذى لعبه فرديناند دى ليسبس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، لم تكن شخصيته ترتكز على ثقافة واسعة ، ولا عن فن تخصص فيه ٠ **ومن الاخطاء الشائعة ، مايظنه البعض من ان الرجل كان مهندسا ، وهو لم يتعلم الهندسة قط ، لا فى المدرسة ، ولا فى الحياة العملية ،**

---

(١) رسالة المارشال « كلوزيل » الى الجنرال سيباستيانى فى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٣٠ ، وهي بمحفوظات وزارة الخارجية الفرنسية !

بل تلقى علومه الثانوية ، والتحق بمدرسة الحقوق ، ثم تركها قبل ان يحصل منها على درجة علمية ٠

وقد عرف بالمرح وحدة الذكاء فى حياته الدراسية ، لكنه مع ذلك كان من الطلاب الذين لاصبر لهم على التعليم ، وكان يكره القراءة والتعمق فى الدرس ، ويهوى الموسيقى وعزف البيانو ، كما يهوى الادب الفرنسى القديم ، ولم تكن لاسرته ثروة يعيش منها ، فلما انقطع عن الدرس سعى الى كسب قوته ، وقدمه عمه « برتلمى » الى وزارة الخارجية الفرنسية التى عينته تلميذ قنصلية فى مدينة (لشبونة) ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره ٠ ومن البرتغال اتصل بمدريد ، فاستعان بأسرة أمه الاسبانية فى تقديمه لبعض كبار الساسة ، وتفتحت أمامه أبواب المستقبل ٠

كان زير نساء ٠٠ وخطيبا سابقا للامبراطورة اوجينى !

● **وكان** دى ليسبس زير نساء ، حسن المظهر والهندام ، وكانت له جاذبية طالما أوقعت فى حبائله كثيرات كانت له معهن مغامرات !٠٠ **وان الخطبة التى انعقدت بينه وبين قريبته « أوجينى » قبل ان يفكر فى مشروع قناة السويس ، وقبل أن تصبح « أوجينى » امبراطورة لفرنسا ، كانت من أسباب نجاحه فى مشروع قناة السويس ٠**

وبعد أن قضى دى ليسبس فى البرتغال عامين ، وهى مدة التمرين ، عاد الى باريس ، فعين نائب قنصل وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، وأرسلوه الى (تونس) ليشتغل مع أبيه فى قنصلية واحدة ، وهنالك تضافر الاثنان فى خدمة الاستعمار الفرنسى كما ذكرنا ٠

وبعد ان لعب دوره فى تونس ، عينته حكومة فرنسا نائب قنصل بمدينة الاسكندرية فى أوائل سنة ١٨٣٢ ، ومن هذه الوظيفة وقف على عتبة المستقبل ٠

زواجه .. ودوره فى الانقلاب السياسى فى اسبانيا !

◆ **ظفر** فرديناند دى ليسبس بعطف محمد على ، لان عاهل مصر كان صديقا لفرنسا وقد استقدم منها الخبراء والعلماء المتخصصين فى مختلف العلوم والفنون ، ولان أباه ماتيو دى ليسبس كان قد وطد صداقته بمحمد على كما أسلفنا ، وكان فرديناند الى جانب ذلك يجذب اليه قلوب سامعيه بحديثه الطلى ، وذكائه المتوقد .

وسافر دى ليسبس الى فرنسا فى عطلة قصيرة فى صيف سنة ١٨٣٦ ، فالتقى بابنة نقيب محامى باريس واسمها « أجات دى لامال » ، وكانت ذات حظ وافر من الجمال ، فتزوج منها فى أواخر سنة ١٨٣٧ ، وظلت معه شريكة لحياته حتى فرق بينهما موتها بعد الزواج بخمسة عشر عاما . وبعد اقترانه بها لم يعد الى مصر ، اذ أوفدته وزارة الخارجية الفرنسية الى هولندا حيث أسندت اليه وظيفة قنصل فرنسا فى روتردام ، وظل هناك حتى سنة ١٨٤٠ ، حيث نقل الى (ملجا) فى إسبانيا ، وكان قد وقع فيها انقلاب ثورى أدى الى خلع الملكة «كريستين» . ويأبى فرديناند الا أن يضع أنفه فى المسائل الداخلية أينما حل ، فقد تصدى لاخفاء الملكة المخلوعة ، ولعب دورا يقال انه كان السبب فى انقاذ حياتها !

متى بدأ تفكيره فى مشروع قناة السويس ؟

◆ **تبدأ** قصة هذه المأساة حين كان دى ليسبس نائب قنصل لفرنسا بالاسكندرية ، فقد وفدت الى مصر فى تلك الايام بعثة «سانت سيمونيان» الاولى التى كانت معنية بمشروع القناة . وكان دى ليسبس رجلا طموحا ذا فضول ، سبق له الاطلاع على تقارير البعثة العلمية التى رافقت نابليون الى مصر ، كما درس

تقارير جميع المهندسين الفرنسيين الذين فكـروا فى المشروع ، وفى مقدمتهم « لينان دى بلفون » ـ أو « لينان بك » ـ الذى كان فى خدمة محمد على ،والذى فشل فى إقنـاع مولاه بتنفيـذه ٠ وصادفت الفكرة هوى من نفس المغامر الطموح « دى ليسبس » ، فشغلت تفكيره من سنة ١٨٣٣ الى ١٨٥٢ ، سواء أثناء عمله فى مصر أو فى خارجها،حتى لقد أرسل من اسبانيا مذكرة بالمشروع الى صديقه قنصل هولندة بمصر ، فى عام ١٨٤٨ ، طالبا رفعها الى والى مصر يومئذ « عباس الاول » ٠٠ لكن المذكرة لم تظفـر بالقبول ، اذ كان عباس شديد الحذر من أى مشروع أوربى يأتيه من فرنسا !٠٠ ثم أراد «دى ليسبس» أن يجرب حظه لدى الباب العالى ، فوجد الابواب موصدة فى وجهه !

وهنا يتدخل القدر لتحقيق مطامع « دى ليسبس » ، فقـد قتل « عباس الاول » غيلة فى قصره ببنها فى ١٤ يوليو سنـة ١٨٥٤ ، واعتلى العرش بعده سعيد باشا ٠٠ سعيد الذى كانت تربطه صداقة وثيقة « بفرديناند دى ليسبس » ، منذ كان مدربا رياضيا له فى شبابه الباكر !٠٠ فحين شب الامير سعيد ، لاحظ محمد على بدانة جسمه وضخامته ، فاختـار له « دى ليسبس » كى يدربه على ضروب الرياضة وركوب الخيـل ٠٠ بل بلغ من اهتمام محمد على بهذا الامر انه حتم على سعيد حضور أربعة عشر درسا فى اليوم ٠٠ وصار يزنه كل أسبوع ، فاذا وجد وزنه زائدا ، عاقبه عقابا صارما ، واذا وجده ناقصا كافأه !

والآن ، وقد شاءت العناية أن يولى سعيد أمر مصر ، فقـد حانت الفرصة الذهبية لـ « دى ليسبس » كى يحقق أطماعه٠٠ وهكذا بادر حين بلغه نبأ اعتلاء صديقه العرش ـ وكان فرديناند يومئذ فى ريف فرنسا يشرف على ترميم قصر حماته ! ـ فأرسل اليه مهنئا ومستئذنا فى الحضور الى مصر ليهنىء بشخصـه ٠ ولم يضيع سعيد وقتا فى الرد ، فأرسـل اليه يرحب بقدومه ويحدد له أوائل نوفمبر موعدا للقائهما فى الاسكندرية ، بعد

ان يكون سعيد قد عاد من القسطنطينيـة حيث يتلقى الوالى الجديد أمر توليته من الباب العالى ٠

وهنا ، تطغى الفرحة على «دى ليسبس» ، فيكتب الى صديقه ووسيطه القديم قنصل هولندا بمصر ، رسالة يقول فيهـا : « انت أول من رأيت احاطته علما برحلتى ٠٠ ولكن حذار ان تنبس ببنت شفة عن مشروع حفر قناة السويس قبل حضورى! »

الثعلب الماكر ٠٠ يرسم خطته !

◆ **وفى** ٧ نوفمبر سنة ١٨٥٤ وصل «فرديناند دى ليسبس» الى الاسكندرية وفى جيبه مذكرة كان قد أعدها ليرفعهـا الى سعيد باشا ٠ لكنه لم يبادر برفع المذكرة ، بل احتفظ بها فى جيبه حتى تسنح الفرصة الملائمة لتقديمها الى الوالى فى ساعة يكون فيها منشرح الصدر ، مطمئن البال ، خصوصا وان القنصل الهولندى كان قد أسر اليه بأن سعيدا متأثر بآراء والده ، وانه قال ذات يوم انه يعلم ان والده قد تجنب مشروع حفر قناة السويس ليدرأ عن مصر متاعب كثيرة ، وانه سيسير على سنـة أبيـه !

أزاء ذلك بدأ الثعلب الفرنسى الماكر يرسم خطته ببراعـة وبعد نظر ، فمنذ اللحظة الاولى التى استقبلته فيها فى الميناء عربة خديوية يحف بها السياس والقواسون ، أخذ فرديناند يتجسس ويسأل الخدم ورجال الحاشية ، ومن صادفهم من الخلان ، عن « مزاج » سعيد ، وعاداته ، وما صارت اليه طباعه ، وكيف يمكن التأثير عليه ، ومن هم أصحاب الحظوة عنده !

وبعد ساعات من وصول الضيف الى دار الضيافة التى أعدها له الوالى ، استقبله سعيد باشا فى قصره بالقبارى ٠ واراد فرديناند ان يداعب كبرياء الوالى وينفذ الى قلبه ، فارتدى له حلته الرسمية المحلاة بالنياشين ، متناسيا الصداقة القديمة

والكلفة التى كانت مرتفعة بينه وبين سعيد فى الماضى ٠ لكن الوالى غالى مع ذلك فى الاحتفاء بضيفه الذى اعاد الى ذاكرته اجمل ذكريات الصبا وأحلاها ٠٠ **ولم يكن سعيد قد نسي أفضال فرديناند على أبيه ، يوم كان الاخير يتخذ القنصلية الفرنسية فى الثغر ملجأ يفر اليه ليسرى فيه عن نفسه ، بعيدا عن العيون ، مراعاة للتقاليد ، ولكرامة منصبه ! وكان نائب القنصل الشاب « فرديناند » يتعهد الاب يومئذ بذلك على خير الوجوه ، وهو الشاب الوسيم الانيق الذى يغشى المجتمعات الفرنسية ، ويهوى السهرات الحمراء ، ويراقص النساء ، ويدخن الحشيش غير مبال !**

الفرصة تواتيه ٠٠ من حيث لايدرى !

◆ **وبدأ** « دى ليسبس » يمشى فى حذر كمن يسير على خيط العنكبوت ، فيستهوى اليه ـ قبل مفاتحة الوالى ـ الرجال الذين عرف ان لهم حظوة لديه ٠٠ ويصل الى قلب كل واحد من افراد تلك الحاشية بطريقة خاصة ، وأسلوب يجعلهم يتعلقون بشخصه ، وكان فى هذا السبيل مخادعا لايبارى ٠ بل انه كتم سر مشروعه عن اقرب المقربين اليه ، ومنهم قنصل فرنسا نفسه ، ولم يصارح غير آثنين من خلصائه كانا ممن اتخذهم أعوانا وعيونا ، وهما القنصل الهولندى وصديقه « جيريت » ٠ لكن الثلاثة اجتمعوا ذات مساء يتذاكرون فى الموضوع ، فاستقر رأيهم على أن الفرصة غير مواتية ، وان اليأس احدى الراحتين!

غير ان الفرصة واتت من حيث لايدرون !٠٠ ففى الخامس عشر من ذلك الشهر ـ نوفمبر سنه ١٨٥٤ ـ قام سعيد باشا برحلة الى الصحراء الغربية على رأس عشرة آلاف جندى بمدافعهم وخيولهم ، وأراد أن يسير فى الصحراء بهذه الكتيبة من الاسكندرية الى القاهرة ، كلون من ألوان الرياضة ، فدعا ضيفه

« دى ليسبس » الى مرافقته فى هذه الرحلة ٠٠ وعندئذ سنحت الفرصة التى استعصت من قبل على مدى القرون والاجيال ، فقد انتهز « فرديناند » خلوته بالوالى فى خيمته بالصحراء ساعة الغروب ، بعد ان قام أمامه ببعض ألعاب الفروسية البارعة التى ادخلت البهجة على قلبه ، وعندئذ ٠٠ ولكن لندع « دى ليسبس » نفسه يصف تلك الساعة الحاسمة ، فى رسالة منه الى حماته بفرنسا :

« وفى الساعة الخامسة مساء ، ترجلت عن صهوة الفرس وعدت الى خيمة الوالى ، والوالى باسم منشرح الصدر ٠٠ فأخذنى من يدى ، وظل ممسكا بها بعض الوقت ٠ ثم اجلسنى على اريكته الى جواره ، وتمثلت فى ذهنى دراساتى وخواطرى عن القناة التى تصل بين البحرين ، ولم يداخلنى شك فى امكان تنفيذ هذا المشروع ، حتى انى نقلت ايمانى ويقينى الى قلب الامير ٠٠ عرضت مشروعى ، من غير ان أدخل فى التفاصيل ، مبينا النقط والاسانيد التى تضمنتها مذكرتى التى كان فى وسعى آن أتلوها على مسامع الامير من أولها الى آخرها ٠ وكان محمد سعيد يصغى الى شرحى بانتباه زائد ، ورجوته ان كان فى شك من هذا الامر ان يراجعنى ٠٠ وقد أبدى لى بذكائه بعض ملاحظات اجبته عليها اجابات مقنعة ٠٠ فقال فى الختام :

« انى مقتنع ، وقد قبلت مشروعك ، وسننظر فى أمره فيما تبقى من الرحلة ، ونبحث وسائل التنفيذ ٠ انه مشروع مفهوم ، وفى وسعك ان تعتمد على » ٠

ويروى المرحوم الياس الايوبى فى كتابه عن تاريخ مصر (المجلد الاول) ، بقية الرواية ، فيقول :

« ثم استدعى سعيد قواده ، وقص عليهم مادار بينه وبين صديقه دى ليسبس من الكلام ، وسألهم رأيهم ٠٠ فتذكروا ما رأوه من فروسية ذلك الصديق ٠ ولما كانت عقليتهم تقربهم الى تقدير رجل يحسن ركوب الخيل ويجيد الوثب فوق الكثبان

والحفر ، اكثر منها الى تقدير رجل عالم متعلم ، فانهـم فتحوا أعينهم ، واسعة ، للدلالة على فهمهم ، وهزوا رؤوسهم مرارا ، للدلالة على استحسانهم ٠٠ وقالوا ـ باجمـاع ـ بعـدم جواز رفض طلب يقدمه مثل ذلك الصديق ٠٠فثبتت موافقتهم سعيدا فى عمله »

هذه هى الطريقة التى اختارها « دى ليسبس » للتأثير على سعيد باشا والحصـول على موافقته ٠ ويحق لنا بعـد هذا الوصف ان نقرر انها طريقة بهلوانية لا تصدر الا عن نصـاب محتال ، وعن بهلوان كأولئك الذين يستهوون البسطاء بالمشى فوق الحبال ٠٠ ولا يزال أشد كتاب فرنسا غلوا فى الدفاع عن رجلهم « دى ليسبس » يشعرون بحرج بالغ ازاء هـذه الصورة المزرية التى تم بها اقناع والى مصر بتنفيذ المشروع ! ٠٠ فما بهذا الهذر تعالج مسائل الدول ذات الخطر البالغ ، وما بمثل هذه الخفة يتخذ قرار فى أمر قلب أوضاع التاريخ، وأوقع مصر فى مصـائب لا تزال تئن منهـا أنينا لا يريد ان يسمعه الضمير الانسانى !

عناق ٠٠ على نكبة مصر !

• **واستمرت** رحلة الوالى وحاشيته على ظهور الجياد أياما، ترعرعت فى خلالها المودة والالفة بين سـعيد ودى ليسبس ، حتى بلغ الركب القاهرة فى ٢٥ نوفمبر ، فأمر الوالى بأن يقيم ضيفه فى قصر المسافرين ، وهو الذى كان مخصصا فى أيام الحملة الفرنسية لاجتماع أعضاء لجنة القناة ٠ **وقبل ان يتوجه دى ليسبس الى القصر قصد الى دار « لينان بك » ـ المهندس الفرنسى بالحكومة المصرية ، وصاحب فكرة حفر القنـاة فى عهد محمد على ـ فزف اليه البشرى وتعانق الاثنان فرحا بأن حلم فرنسا يكاد يصبح حقيقة واقعة !**

ثم استدعى سعيد « فرديناند » الى القلعة ، وفى مجتمع من القناصل العامين والوجهاء المجتمعين لتهنئة الوالى بسلامة الوصول – من الاسكندرية ! – أعلن سعيد ، على رءوس الاشهاد ، الوعد الذى صدر منه لصديقه « دى ليسبس » ، وأكد عزمه على منحه امتياز تأسيس شركة مساهمة ، لابراز المشروع الى حيز الوجود !

وفى ٣٠ نوفمبر – عام ١٨٥٤ – وقع سعيد باشا عقد الامتياز ، فأحدث بذلك أكبر انقلاب عرفه التاريخ فى القرن التاسع عشر !

ورحم الله الشهداء !

حفر القناة كان شؤما على البلاد !

◆ **ولندع** الاستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى يعلق على تلك السقطة التى ارتكبها سعيد ، فى كتابه « عصر اسماعيل » فيقول :

« يعد مؤرخو أوربا ، والفرنسيون منهم خاصة ، مشروع قناة السويس مفخرة سعيد باشا ، ويقولون انه بهذا العمل قد أدى أعظم خدمة للانسانية والحضارة . وهم فيما يقولون انما ينظرون الى هذا العمل من وجهة النظر الاوربية ، فلا شك ان قناة السويس قد أفادت التجارة الاوربية فوائد كبرى ، بتقديمها طريق المواصلات بين أوربا والشرق .. كما انها أفادت الاستعمار الاوربى أيضا ، لانها مكنت الدول الاستعمارية من ارسال الحملات والتجريدات الحربية من طريق القناة الى آسيا وافريقيا ، لاخضاع ممالك الشرق وشعوبه .. ورفعت عن تلك الدول مشقات اجتياز طريق المحيط الاطلنطى ورأس الرجاء الصالح ، ذلك الطريق الطويل المحفوف بالمكاره

والاخطار ٠٠ واذن ، فمن الوجهة الاوربية لا جدال فى ان فتح قناة السويس عاد بأعظم الفوائد على التجارة والاســتعمار الاوربيين !

أما من الوجهة المصرية ، فان القناة كانت شؤما على البلاد واستقلالها ، لانها أطمعت فيها دول الاستعمار ، وجعلتهـا تسعى سعيا حثيثا للاستيلاء على مصر ، وتضـاعف جهودها القديمة لتحقيق هذا الغرض ٠ ومن المحقق ان مساعى انجلترا خاصة لاحتلال مصر قد تضاعفت واشتدت بعد ان شقت القناة أرض مصر ، وحجتهـا فى ذلك انهـا أرادت الاطمئنان على هذا الطريق الجديد الموصـل الى الهند ، وذلك بوضع يدها عليه ٠٠ **واذن فقد كانت مصر ضحية قنـاة السويس ، تلك حقيقة واقعة كان يجب ان لا تفوت سعيد باشا عندما منح امتياز القناة ، كما كان يجب أن يفطن اليها اسماعيل عندما بذل تأييده للمشروع بعد اعتلائه العرش حتى وصل به الى غايته ٠٠**

« واذا كان المؤرخون الافرنج يعدون مشروع القنـاة أكبر مفخرة لسعيد باشا ، فاننا نعـده بالعكس أكبر غلطة له فى تاريخه ، لانه بعمله هذا قد فتح باب التدخل الاستعمارى فى مصر على مصراعيه ، وجعلها هدفا للمطامع الاوربيـة ٠ ويزيد من تبعته انه كان عالما برأى أبيه محمد على ومعارضته فى فتح القناة ، وكان يعلم عندما منح امتيازه أنه خالف وصايا أبيه الذى كان يعد القناة « بوسفورا » ثانيا يجعل مصر واستقلالها عرضة للخطر !

« وقد دخلت المسألة المصرية دورا جديدا بعد فتح القناة ، اذ صار ينظر اليها كأنها مسـألة قناة السـويس ، وجعلت انجلترا خطتها ان تسعى جهـدها لوضع يدها عليهـا لتكون مفاتيحها بيـدها ، ولذلك وضعت نصب عينيها أن تحتـل

مصر !٠٠ ثم جاء بيع اسماعيل لاسهم مصر فيها الى الحكومة الانجليزية فهيأ لانجلترا أن تخطو أول خطوة نحو الاحتلال !
٠٠ واذن فمن أضعف النظريات وأبعدها عن العقل والمنطق ان يقال ان سعيد واسماعيل يستحقان الاعجاب لانهما خدما الانسانية بتنفيذ مشروع القناة ، فالحقيقة المؤلمة انهما بعملهما هذا قد مهدا السبيل لاحتلال انجلترا لمصر

خمسة أضرار جلبتها القناة على مصر

◆ « **واذا** انتقلنا من الاجمال الى التفصيل ، يمكن ان نقول ان سعيد باشا بمنحه المسيو دى ليسبس امتياز القناة قد جلب على البلاد مضارا جسيمة نذكرها فيما يلى :

أولا : أن القناة عرضت استقلال مصر للخطر ، ولم يكن هذا الخطر ليخفى على ذى بصيرة فى الامور ، فلقد أدركه السياسيون الاوربيون من يوم البدء فى المشروع

ثانيا : أن سعيد باشا بقبوله انشاء القناة على يد شركة أجنبية فتح ثغرة ثانية للتدخل الاجنبى ، وكان الضرر أخف وطأة لو فتحتها مصر بنفسها ولحسابها

ثالثا : انه أسرف فى منح الشركة امتيازات وحقوقا جعلتها شريكة مصر فى سيادتها وجعلت منها حكومة داخل الحكومة كما سيجىء البيان

رابعا : لم تستفد مصر من الوجهة الاقتصادية فائدة ما من القناة ، بل على العكس أضرت بها اقتصاديا ، لان طريق التجارة بين أوربا والشرق تحولت من داخل مصر الى القناة المائية التى أصبحت ملكا لشركة أوربية ، فخسرت مصر الارباح التى كانت تعود عليها من مرور المتاجر فى وسط الدلتا ، بطريق النيل أو السكك الحديدية المصرية ، وانتقلت هذه الارباح الى شركة القناة ، وهذا من غير شك خسران كبير

خامسا : على الرغم من مضار المشروع لمصر ، فانهـا أنفقت عليه من مالها نيفا وستة عشر مليون جنيه ، بذلت فى أسـهم اكتتبت فيها ، وأملاك تنازلت عنهـا ، وأعمال قامت بهـا ، وتعويضات أدتها للشركة ٠٠ وقد خسرت هذه الملايين فى وقت كانت أحوج ما تكون اليها ، ولانفاذ مشروع كان شؤما عليهـا من كل الوجوه

« ولئن عادت القنـاة يوما الى مصر فلا يمكن ان ننسى ان مصر خسرت فيها ثمنا باهظا وتضحيات جسيمة ، ويكفى انها بذلت لها ستة عشر مليون جنيه من أموالها ، ثم حرمت ماهو أعز من المـال ، وهو الاستقلال ٠٠ وعنـدما تسترد مصر استقلالها تاما سوف تكون قد حرمت منه بسبب القناة ردحا طويلا من الزمن ، وهو حرمان لايعوض بمال »

الدول التى ساهم رعاياها فى الشركة

٥ اذن فقد حصل « دى ليسبس » على امتياز حفر القناة ، وجاء أوان الاكتتاب فى أسـهم الشركة التى ستتولى تنفيذ المشروع ، فطرحها « دى ليسبس » للاكتتاب العام فى باريس فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٥٨ ، وقـد غطى الاكتتاب فى يوم ٣٠ نوفمبر من نفس الشهر ٠٠ واليك قائمة المكتتبين حسب الدول التى ينتمون اليها :

فرنسا	**٢٠٧١١١**	**سهما**
بلجيكا	**٣٢٤**	**سهما**
الدانمرك	**٧**	**أسهم**
نابولى (وكانت مستقلة قبل توحيد ايطاليا)	**٩٧**	**سهما**
الامبراطورية العثمانية	**٩٦٥١٧**	**سهما**
برشلونة (أسبانيا)	**٤٠٤٦**	**سهما**
روما	**٥٤**	**سهما**
الاراضى المنخفضة (هولنده)	**٢٦١٥**	**سهما**

بروسيا	١٥	سهما
البرتغال	٥	أسهم
تونس	١٧١٤	سهما
بييمونت (ولاية ايطالية)	١٣٥٣	سهما
سويسرا	٤٦٠	سهما
توسكانيا	١٧٦	سهما

ومن هذه القائمة يبدو جليا ان الفرنسيين كانوا أكثر اقبالا على الاكتتاب من غيرهم ، على ان « دى ليسبس » احتفظ بنصيب من الاسهم قدره ٨٥٥٠٦ سهما ليبيعه لرعايا انجلترا والنمسا وروسيا والولايات المتحدة ، ليضمن تأييد تلك الدول !٠٠ ولم يدخل الجاحد فى حسابه ان يعطى مصر شيئا من هذه الاسهم ٠ على أن الدول المذكورة رفضت الاكتتاب وأهملت دعوة « دى ليسبس » ، فبارت تلك الكمية الكبيرة من الاسهم بوارا تاما ٠٠ وعندئذ ، وعندئذ فقط توجه دى ليسبس الى صديقه سعيد فباعها كلها له ، وعلى ذلك اشترت مصر ٨٥٥٠٦ من الاسهم ، علاوة على ما اشترته من قبل باعتبارها جزءا من بلاد الدولة العثمانيه ٠٠ وهكذا أصبحت مصر تمتلك من أسهم شركة القناة ٤٤ فى المائة ، من المجموع البالغ اربعمائة ألف سهم

كتابى : وقصة ـ أو مأساة ـ هذه الـ ٤٤ فى المائة من الاسهم ، معروفة ٠٠ فلقد اضطر اسماعيل فيما بعد ـ تسديدا لديونه ـ الى أن يبيع هذه الاسهم جميعا ، ولمن ؟٠٠ للحكومة البريطانية !٠٠ وكان رئيسها وقتذاك ـ السياسى اليهودى الداهلية « دزرائيلى » ـ قد أدرك الفائدة السياسية الهائلة التى تعود على بلاده من امتلاك نحو نصف أسهم هذا الشريان المائى الموصل الى الهند ، فسارع الى اقتناص الفرصة ، وبأبخس ثمن ٠٠ بل بغير ثمن فى الواقع !٠٠ فقد دفع الى



دزرائيلي

اسماعيل مقابل هذه الاسهم أربعة ملايين من الجنيهات باليد اليمنى ٠٠ وارغم اسماعيل - باليد الاخرى - على التنازل عن امتيازات وتحمل تعويضات تساوى هذا المبلغ !

أما المائة والعشرين ألف عامل الذين ماتوا أثناء حفر القناة بالسخرة ، ودفنوا تحت ثراها ٠٠ فقد ذهبت دماؤهم هباء !

وأما الوبال السياسى الذى حاق بمصر نتيجة لحفر القناة ، والذى جر عليها الاستعمار المشئوم الذى عانت منه طيلة سبعين عاماً !

وأما المغانم المالية التى أثرت بها شركة القناة ومساهموها على حساب مصر ، والترف الذى تقلبوا فى أحضانه طيلة نحو قرن كامل

و ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠ الى آخر فصول المأساة ٠٠ أما ذلك كله ، فقد ثأرت له مصر هذا الاسبوع حين انتزع بطلها الشجاع الرئيس جمال عبد الناصر شركة القناة ٠٠ و ردها الى مصر ٠٠ أمها الرؤوم !

فهنيئا لمصر بهذه الخطوة المباركة

وهنيئا لها ببطلها الذى أعاد اليها مجدها ٠٠ ومحا عار مائة عام كاملة ، فى غمضة عين !

لا تنس موعدك مع الجزء الثانى من

جين اير

الذى تصدره « مطبوعات كتابى » فى منتصف أغسطس



•• وفيه تحشد « شارلوت برونتى » ـ مؤلفة الرواية ـ كل عبقريتها وفنها لتجعلك تعيش فى جو مثير من ألغاز وغوامض تؤلف المأساة الرهيبة التى كانت تكتنف قصر ثورنفيلد وتحيط بسيده « روشستر » •• وفى براعة قصصية وخيال عبقرى تحملك المؤلفة الى أعماق جين اير و روشستر ، وهى تمسك الخيوط المعقدة التى ربطت بها بين هاتين النفسين المعذبتين !



باكوس – اله الخمر – فى سن المراهقـــة

لوحة للرسام « كارافاجيو » ، بمتحف «أوفيزى» بفلورنسا



الوقار .. والوقاحة ! لوحة معبرة من معروضات متحف « تيت » بلندن ، للرسام « لاندسير » (١٨٠٢ - ١٨٧٣)


الفاكهة المحرمة!
قصة مصورة عن "موباسان"
لسمير

- ١ -

• قبل الزواج تحابا كأعنف مايفعل المحبون ، وأروع ماترنو عيونهم الى ضياء النجوم !٠٠ كانت القصة قد بدأت بلقـــاء ممتع على شاطىء البحر ، بين الامواج الزرقاء،والسماء الصافية والهواء العذب النـــدى ٠٠ فأحس « حمدى » بعاطفـــة قوية غامضة تتمطى فى قلبه وروحـــه وشرايينه ، ثم تجتاح كيانه كله اجتياحا !

وبادلته « فوزية » حبا بحب ٠٠ مالت اليه فى البداية لانه ابدى اهتماما بها ، ثم أحبتـــه لانه كان شابا ، غنيا ، لطيفا ظريفا ٠٠ ولانه من الطبيعى ان تحب الفتيات الشبان الذين يهمسون فى آذانهن بكلمات الهوى الحارة !

وقضيا فى المصيف ثلاثة أشهر جنبا الى جنب : العـين فى العين ، واليد فى اليد ٠٠ يلتقيان اذا ما كان الصباح الباكر ، على الشاطىء ، فيتبادلان تحية اليـــوم الوليد ، ويستنشـقان نسيم البكور المنعش ٠ ويفترقان اذا ماهبط المساء فوق الرمال، تحت أعين النجوم الساهرة ، فى هدأة الليل الساجى ، بعد أن يتبادلا همسات الوداع التى لهـا طعم القبل ، وان لم تلتـق شفاههما قط !

وصارا يحلمان كلاهما بالآخر بمجرد أن يتخطفهما النعاس ٠٠ ويذكر كل منهما الآخر فى اللحظة التى يفتحان فيهـــا أعينهما على النهار ، فيهفوان كل الى صاحبه روحا وجسدا ٠٠ وان لم يتصارحا بذلك أو يتبادلا الاعتراف !

٠٠ حتى تزوجا ، فشغف كل بالآخر أكثر من شـغفه بأى شىء فى دنياه ٠٠ شغفا كان فى البداية أشبه بالثورة المحتدمة التى لا تفتر ، ثم صار بمرور الايام رقيقا ناعما ، كأنما نسجت

خيوطه من الشعر المهموس ، والقبلات المصفاة ، والخيال المهذب وغير المهذب فى آن واحد !٠٠ كانت جميع نظراتهما تعنى شيئا ينقصه الطهر والنقاء ، وجميع حركاتهما تذكرهما بخلوات الليل الحارة !

أما الآن ٠٠ فقد بدأ كل منهما يمل الآخر ، دون أن يعترف بشعوره ، بل ربما دون أن يحسه ويدركه !٠٠ انهما مايزالان متحابين - هذا أمر لامراء فيه - لكن أيامهما صارت خاوية خالية ٠ **لم يعد ثمة مايبوحان به ، ولا ثمة مايفعلانه ، الا وقد ابتذلاه من طول القول والفعل !٠٠ ولا بقى جديد يتعلمه الواحد من الآخر ، ولا حتى كلمة حب جديدة ، أو حركة غير متوقعة ، أو نغما لطيفا ، مما يكون أحيانا أبلغ تعبيرا وتأثيرا من الكلام المعاد الذى طال ترديده !**

وانهما ليقهران نفسيهما مع ذلك على أن يحاولا أن يعيدا الى الشعلة نارها ، بعد أن ضعف لهيبها عن ذى قبل ٠٠ ومن هنا صارا يبتكران كل يوم حيلة جديدة طريفة ، بسيطة حينا ومعقدة أحيانا ، فى محاولتهما العقيمة أن يجددا فى قلبيهما حرارة الايام الخوالى ، ويعيدا فى دمائهما ذكرى شهر العسل !٠٠ ومن حين الى آخر ، وبفعل اذكائهما جذوة رغباتهما ، كانا يظفران بساعة متعة عابرة ، يعقبها من جديد ذلك السأم الكريه المألوف !



وفى بحثهما عن العلاج ، جربا صخب الحفلات العامة ، والمهرجانات الحافلة ٠٠ كما جربا النزهات فى ضوء القمر ، تحت

أغصان الشجر المتشابكة ، فى سكون الليل الساجى
٠٠ ولكن دون جدوى !

★ ★ ★

وذات صباح ، همست فوزية لزوجها :
ـ هل لك أن تأخذنى الى حيث نتناول العشاء فى احدى الحانات ؟
ـ بكل سرور ياعزيزتى
ـ فى حانة مشهورة ؟
ـ نعم ٠٠
ونظر اليها نظرة تساؤل ، وقد أدرك انها تضمر شيئا لم تفصح عنه ٠٠ بينما استطردت هى :
ـ هل تفهم قصدى ؟ أعنى أن تكون حانة ٠٠ كيف أشرح لك ؟ حانة آنيقة من تلك التى يتواعد « العشاق » على اللقاء فيها !
فابتسم قائلا :
ـ نعم ، أفهم ٠٠ تقصدين « حجرة خاصة » فى مطعم كبير؟
ـ بالضبط ٠٠ بشرط أن يكون مطعما يعرفونك فيه شخصيا ٠٠ مطعما تكون قد تناولت فيه العشاء مرارا من قبل ٠٠ أعنى قضيت فيه السهرة ٠٠ أعنى ٠٠ أريد ان أقول ٠٠ كلا، لست أجرؤ على الكلام !
ـ بل افصحى ياعزيزتى ٠٠ وهل بيننا أسرار ؟ ٠٠ اننا لسنا من أولئك الازواج الذين يكتم أحدهم أسراره عن شريك حياته !
ـ هذا صحيح ٠٠
ـ اذن تكلمى ٠٠ لا تكونى ساذجة الى هذا الحد ٠٠ قوليها!
ـ حسنا ٠٠ أوه ، الواقع ٠٠ اننى أريد ٠٠ أريد ٠٠ أريد أن يحسبونى خليلتك ! ٠٠ وان ينظر السقاة الى على هذا

الاعتبار ٠٠ بل أن تعتقد أنت نفسك ، لمدة ساعة من الزمن، اننى كذلك !٠٠ واننى انمـا صحبتك الى نفس المكان الذى طالما صحبتك اليـه خليلاتك السابقات ٠٠ المكان الحـافل بالذكريات !٠٠ هذا كل مافى الامر ٠ أريد ان أحس انا ذاتى كأنى عشيقة من عشيقاتك ٠ أريد أن أرتكب خطيئة كبرى٠٠ ان أخدعك ، مع نفسك !٠٠ انها نزوة طائشة ، لكننى أعانى الحنين اليها منذ زمن ، ولن أشفى منهـا الا اذا تحققت !٠٠ لاتدعنى أحمر خجلا ، فانى أحس أن الدم يصعد الى وجهى ٠٠ انك لاتستطيع ان تتصور مبلغ شوقى الى أن أقضى السـهرة معك فى حجرة ذات جو خاص ٠٠ الجو الذى يسلم فيه الناس أنفسهم كل ليلة لحماقات الحب !٠٠ انها نزوة لعينة ٠٠ ان وجهى قد صار فى حمرة البنجر ٠٠ لاتنظر الى

فضحك الزوج طويلا لطرافة الفكرة ٠٠ ثم أجابها :

ـ فليكن ٠٠ سنذهب الليلة الى مكان أنيق للغاية ، والقوم فيه يعرفوننى !

- ٢ -

وفى نحو الساعة السـابعة ، كانا يصعدان سلم فنـدق صغير ٠٠ حانة من الحانات المطلة على « الكورنيش » ، وقـد تكلف « حمدى » ابتسامة الرجل الظافر ، وتكلفت « فوزية » خجل المرأة المحجبة ، التى غطت وجهها بخمار لايحجب نشوتها المكتومة !

وأدخلا الى حجرة صغيرة ، مفروشة بأربعة مقـاعد كبيرة وأريكة عريضة مكسوة بالقطيفة الحمراء ٠ وبعد لحظات دخل الساقى يحمل قائمة ألوان الطعام ، فألقى عليها حمدى نظرة ثم ناولها الى « زوجته » متسائلا :

ـ ماذا تشتهين ان تأكلى ؟



ـ لست أدرى ·· ماذاعندهم هنا من الاطعمة المشهية ؟

وقرأ لها حمدى القائمة ، ثم نادى الساقى وقال له : « هات هذا المينو » : حساء ·· سمك موسى ·· دجاج محمـــر ·· سلطة خضروات ·· حلوى ·· فاكهة ·· واحضر لنـــا زجاجة شمبانيا !

فابتسـم السـاقى ونظر الى المرأة نظرةخاصة ، ذات معنى، ثم سأل زوجها وهو يتناول قائمة الطعام من يده : أى نوع من الشمبانيا يفضله سيدى الاستاذ حمدى ؟

ـ أى نوع حاد !

وأسعد فوزية أن يعرف الساقى اسم زوجها · وحين جاء الرجل بالطعام ، جلس « الزوجان » جنبا الى جنب على الاريكة وشرعا يتناولان الوجبة الشهية فى نهم واستمتاع

وكانت تضىء الحجرة نجفة أنيقـة من « الفير فورجيه » ، تنعكس أضواؤها على مرآة ضخمة تشغل جانبا من الحائط ، وقد حفرت عليها بماسة صغيرة أسماء مئات العشـــاق الذين شاءوا أن يخلدوا زيارتهم للمكان بنقش أسمائهم على صفحة المرآة !

وجرعت فوزية من الشمبانيا كأسا بعد كأس ، كى تستثير نشوتها عامدة ، رغم أنها أحست بالدوار منذ الكأس الاولى ·· أما حمدى ، الذى استثارته ذكريات خاصة لايام عزوبته ،فقد انحنى على يد « زوجته » يلثمهـــا فى شغف ظاهر ، وكانت عيناها قد بدأتا تلمعان !

وأحسست بانفعال غريب ، نتيجة لهـذا الموقف المريب ٠٠ انفعال ممتع يخالطه شيء من الشعور بالدنس !٠٠ وكان يسهر على راحة العاشقين ومطالبهما ساقيان وقوران صامتان ، اعتادا أن يريا كل شيء ، وينسيا كل شيء !٠٠ لايدخـلان الا اذا استدعيا بدقة الجرس ، ولا يبقيان فى الحجرة حين يفيض الكيل ٠٠ يجيئان ويذهبان فى سرعة وخفة ٠٠

وقرب منتصف العشاء ، ثملت فوزية ٠٠ ثملت تماما !٠٠ واستخف المرح حمدى فضغط ركبتها بكل قوة ، وقد أسعده أن يصغى الى ثرثرتهـا الطليقة الجريئة ، ويتـأمل احمرار وجنتيها وبريق عينيها

وقالت له فيما قالت :

– أوه ، هيا ياحمـدى ٠٠ اعترف ٠٠ أريد ان أعرف كل شيء !

– ماذا تعنين ياحبيبتى ؟

– لست أجرؤ على القول

– لا تكونى ساذجة ٠٠ أفصحى !

– هل كانت لك خليلات ٠٠ كثيرات ٠٠ قبلى ؟

تردد قليلا ، وقد بدت عليه الحيرة : لايدرى أيخفى ماضيه الحافل ، أم يتفاخر به ؟!

٠٠ بينما استطردت هى :

– أوه ، أتوسل اليك أن تصـارحنى ٠٠ هـل كانت لك خليلات كثيرات ؟

– عدد لا بأس به

– كم ؟

– لا أدرى ٠٠ كيف يمكن ان يعرف رجل جواب هـذا السؤال ؟

– ألا تستطيع احصاءهن ؟

– كلا بالطبع

ـ اذن فقد كن كثيرات جدا ؟

ـ نعم ٠٠

ـ كم على وجه التقريب ؟

ـ لا أذكر على الاطلاق ياحبيبتى ٠٠ فى بعض السنوات كانت لى خليلات كثيرات ، وفى سنوات أخرى قليلات

ـ كم خليلة فى السنة ٠٠ فى المتوسط ؟

ـ أحيانا عشرون أو ثلاثون ٠٠ وأحيانا أربع أو خمس فقط !

ـ أوه ، اذن فعددهن يزيد حتما على المائة !

ـ شىء من هذا القبيل

ـ أوه ، ياله من أمر يثير الاشمئزاز !

ـ ولم ؟

ـ هكذا ٠٠ فعندما يفكر المرء فى جميع أولئك النساء ، متجردات ٠٠ ودائما نفس القصة تتكرر٠٠ أوه ، يا للفظاعة٠٠ أكثر من مائة امرأة !

وصدمه اشمئزازها ، فقال بتلك اللهجة المتعالية التى يصطنعها الرجال عادة حين يريدون ان يوحوا الى النساء بأنهن نطقن بعبارة حمقاء :

ـ هذا غريب ٠٠ اذا كان يثير الاشمئزاز ان تكون للرجل مائة خليلة فينبغى أن يثير نفس الاشمئزاز ظفره بخليلةواحدة!

ـ أوه ، كلا ٠٠ أبدا !

ـ ولم ؟

ـ لانك مع امرأة واحدة يكون بينكما حتما رباط من الحب، أو العاطفة ـ سمها ماشئت ـ أما مع مائة امرأة فلن يكون بينكم غير الدنس الصريح !٠٠ ولست أستطيع أن أفهم كيف يطيق الرجل معاشرة أولئك النسوة القذرات !

ـ كلا ٠٠ انهن لسن قذرات ، بل هن على العكس ، غاية فى النظافة والاناقة !

ـ وكيف يمكن ان يكونن كذلك ، وهن يمارسن هـــذه التجارة الشائنة ؟

ـ بل هن كذلك لانهن يمارسن هذه التجارة !

ـ أوه ، هراء ٠٠ يكفى ان تفكر فى الليالى التى ينفقنها مع الآخرين ٠٠ يا للهول !

ـ ليس الامر بأفظع من ان يشرب المرء منا من كأس لايعرف من شرب منها قبله فى الصباح !

ـ كفى ٠٠ كفى ٠٠ انك تثيرنى !

ـ وهل طلبت منك أن تسأليني عن خليلاتى ؟

ـ آه ، كدت أنسى الموضوع الاصلى ٠٠ حدثنى اذن : هل كانت خليلاتك جميعا ٠٠ نسوة محترفات ؟

ـ أوه كلا ٠٠ كلا بالطبـــع !٠٠ بعضهن كن ممثلات ٠٠ والبعض فتيـات من العـاملات ٠٠ وفريق ثالث من ســيدات المجتمع !

ـ كم منهن كن من سيدات المجتمع ؟

ـ أوه ٠٠ دعينى أفكر ٠٠ نحو ست

ـ ست فقط ؟

ـ نعم

ـ وهل كن جميلات ؟

ـ نعم ، بلا شك

ـ أجمل من المحترفات ؟

ـ كـلا

ـ من كنت تفضل أكثر : المحترفات أم سيدات المجتمع ؟

ـ المحترفات

ـ يا للفظاعة ٠٠ ولماذا ؟

ـ لانى لا أقدر مواهب الهاويات !

ـ انك لفظيع ٠٠ هل تعلم ذلك ؟٠٠ ولكن قل لى : هل هو أمر شائق حقا ان تنتقل من امرأة الى أخرى على هذا النحو ؟

ـ جدا

ـ وما هو العنصر الشائق فى الامر ؟ ألا تشبه احداهن الاخرى ؟

ـ البتة

ـ ولا فى شىء ؟

ـ مطلقا !

ـ هذا عجيب .. وفيم يختلفن ؟

ـ فى كل شىء

ـ فى الجسم ؟

ـ نعم فى الجسم

ـ فى الجسم كله ؟

ـ نعم

ـ وفى ماذا أيضا ؟

ـ فى طريقة العناق .. ولهجة الكلام .. والصوت

ـ وهل هذا التنقل والتبديل .. شائق حقا ؟

ـ بلا شك

ـ وهل يختلف الرجال أيضا ، الواحد عن الآخر ؟

ـ هذا ما لا أعرف !

ـ ألا تعرف ؟

ـ كلا

ـ لابد أنهم يختلفون بدورهم !؟

ـ لابد

لبثت فوزية برهة صامتة ، كأنما تفكر ، وكأس الشمبانيا فى يدها .. ثم رفعتها الى فمها وجرعتها دفعة واحدة .. وعلى اثر ذلك وضعتها على المنضدة وأحاطت عنق زوجها بكلتا ذراعيها ، وهى تغمغم فى فمه :

ـ أواه ياحبيبى .. لكم أحبك !

فضمها حمدى الى صدره فى عناق حار . وفى تلك اللحظة كان

الساقى مقبلا ، فلم يكد يلمحهما حتى تراجع منسحبا وأغلق باب الحجرة فى سكون . ثم انقطع عن خدمة العاشقين فترة من الوقت

وحين ظهر الساقى من جديد ، بوجهه الجاد الوقور ، حاملا أطباق الحلوى والفاكهة ، كانت الزوجة ممسكة بكأس أخرى ملآى بالشمبانيا بين أناملها ، تتأمل فيها قاع السائل الاصفر الشفاف ، كأنما هى ترى فيه أشياء مجهولة ، تحلم بها !

ثم غمغمت بصوت يبين فيه التفكير العميق :

ـ أوه ، نعم .. لابد ان يكون الامر بدوره شائقا حقا !

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء :

فى هذا الباب ، قرأت معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

فضيحة « كارولين » ملكة انجلترا

عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)

امرأة وملك (مدام دى مانتون)

« تيبريوس » قيصر روما

الحب أقوى من الموت

لوكريشيا بورجيا

نيرون : الطاغية السفاح

ليدى هاملتون

مارى انطوانيت

مصرع القيصرية فى روسيا

بولين بونابرت : ملكة الغواية

مأساة ملك بافاريا

الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا

غرام الاميرة اليزابيث تيودور

ديزيريه : خطيبة نابليون

اؤليمبيا : والدة الاسكندر

بيرينيس : ملكة فلسطين

تيودورا : الراقصة الامبراطورة

« سانوهى » او (المصرى)

كريستين : ملكة السويد

رمسيس الثانى

مارى ستيوارت

واليوم ، اقدم لك سيرة الغانية الفرنسية

مرجريت فهمى ×



تلخيص : فرج جبران

اعترافات ٠٠ لا تنقصها الصراحة !

◆ فى العدد العاشر من « كتابى » قدمت لك فصلا من كتاب صدر يومئذ متضمنا أشهر القضايا الجنائية التى ترافع فيها المحامى الانجليزى الاشهر « سير مارشال هول » ، وكان ذلك الفصل يسرد تفصيلات محاكمة الغانية الباريسية « مرجريت ألبير » ـ التى عرفت باسم « مرجريت فهمى » على أثر زواجها من الشاب المصرى الثرى المرحوم على فهمى كامل ـ وقد كان انقاذها يومئذ من حبل المشنقة من « معجزات » مارشال هول، التى زادته شهرة وعلو صيت فى ميدان المحاماة الجنائية

واليوم استطاع « كتابى » ان يحصل لك على كتاب نادر كان قد أصدره فى عام ١٩٣٤ الكاتب الفرنسى «ميشيل جورج ميشيل» بعنوان: « الحياة اللامعة والمفجعة للاميرة (فهمى بك) الباريسية ! » ٠٠ وقد تضمن الاعترافات الكاملة لتلك الغانية الباريسية « الجريئة » كماروتها بلسانها لمؤلف الكتاب ٠٠ وهى اعترافات « فاجرة » لاتنقصها الصراحة، أزاحت فيها « مرجريت » ـ أو « ماجى » كما كان يطلق عليها عشاقها ـ الستار عن أسرار ماضيها الحافل بالمغامرات الغرامية الطائشة ، منذ نعومة أظفارها الى أن التقت بمؤلف الكتاب وهى فى نحو سن الاربعين ! ٠٠ بل انها ذكرت « أسماء » عشاقها وقصتها مع كل منهم ، واحدا بعد واحد ، وقد كان منهم ـ كما سترى ـ ولى عهد بريطانيا فى ذلك الحين « البرنس أوف ويلز » ، الذى تولى العرش بعد ذلك باسم « ادوارد الثامن » ثم تنازل عنه ليتزوج من المرأة التى أحبها « مسز سمبسون » !

لقاء ٠٠ فى (البندقية)

◆ **كنا** فى الناقلة البخارية الصغيرة التى تنقل الركاب من ضاحية (الليدو) الى مدينة (البندقية)

وكان الوقت ظهر يوم من أيام شهر اغسطس ٠٠ وقد بدت أمامنا جزر (سان سيرفولو) ـ جزيرة المجانين ـ و(سان كليمنتى) ـ جزيرة المجنونات ـ وجزيرة الرحمة

وكانت (البندقية) تنتظرنا هناك ٠٠ ووجدنا على القنطرة جمعا من أهالى المدينة فى انتظار الناقلة ، بينهم بعض الاجانب ـ فى ملابس الاستحمام ـ وبعض أهل المدينة الاصليين ،ومنهم نساء فى زيهن القومى الاسود ، وقد لفت كل منهن كتفيها فى « شال » ٠٠ وعلى مقربة منهن ، جلست على أحد المقاعد سيدة نحيفة ترتدى (تايير) ٠ وأخذ صديقى « البندقى » ـ الذى كان يرافقنى ـ ينظر اليها باعجاب ، ثمقال لى : « انها فرنسية بلا شك ! أنظر الى يديها ، وتأمل مظهرها المتسم بالتحفظ ٠٠ انها لاتقيم فى فندق (الاكسلسيور) الذى ينزل فيه الامراء والمغروورون ، وانما تقيم فى فندق الحمامات ٠٠ لابد إنها سيدة ممتازة من سيدات الطبقة الوسطى »

ودار بيننا الحديث ، وكانت هى موضوع هذا الحديث :

ـ لقد شوهدت أمس فى حفلة الرقص التى اقيمت عند « كافيللى » ، وكانت تضع على رأسها قبعة تشبه « طرطور » المهرجين !

ـ يبدو انها سائحة ممتازة !٠٠ لاشك انها تنتسب الى الطبقة الراقية

ـ انها تتحلى بالجواهر فى النهار ٠٠ بل وتتحلى بكثير من الجواهر !

ـ وفى البندقية !

وكانت المصادفة المحضة قد دفعت بالسيدة حتى صارتعلى مقربة منا ، فأخذنا نفحصها من قمة رأسها الى أخمص قدميها : كان صدرها يعلو وينخفض ، وكانت رقيقة الشفتين ، صغيرة الانف ، واسعة العينين ، وقد أمسكت فى احدى يديها (منشة) تطرد بها الذباب والناموس ٠ **وفجأة شعرت بهذه (المنشة) تضغط على بطنى ! وكاد صديقى يقع مغشيا عليه عندما سمعها تقول لى :**

ـ لقد سمنت كثيرا منذ رأيتك آخر مرة فى (دوفيل) ، قبل الحرب !

ولما تبين لها اننى لم اعرفها بعد ، استطردت تقول : **« ألم تعرفنى ؟ .. أنا مدام فهمى .. « ماجى ميللر » ! هل لك فى أن تتناول معى كأسا ... هنا فى بار دانييللى ! »**

وتقدمتنى « ماجى » ، ثم عبرت البهو الواسع الفاخر ، حتى اذا وصلت الى البار سألت « البارمان » : « هل يولانج هنا ؟ »

فأجاب : « نعم ياسيدتى الاميرة ! »

ـ اذن أرجو أن تقدم له كوبا من شراب « الاناناس » فى كأس من زجاج !

فأجاب « البارمان » فى أدب : « سأقدمه له فى كأس من زجاج فينيسيا المشهور ياسيدتى الاميرة ! »

وما لبثت ان اكتشفت ان « يولانج » الذى سيقدم له شراب « الاناناس » فى كأس من زجاج فينيسيا الفاخر هو .. «كلب» ماجى ميللر !

وسأل « البارمان » ماجى ميللر : « وماذا أقدم لسيدتى الاميرة ؟ »

فأجابته فى الحال : « ربع زجاجة من ماء (فيتيل) المعدني .. فى ركنى المعتاد ! »

وكان هذا الركن المعتاد يتكون من مقعد قديم مكسو بالجلد الانجليزى ، تضيئه ثريا كبيرة ، رغم ان ضوء الشمس فى الظهيرة كان كافيا ! .. وقالت « ماجى » وهى تتأملنى : « لقد حدثت أمور كثيرة منذ تقابلنا لآخر مرة فى (نورماندى) فى عام ١٩١٣ »

فقلت : « أجل !.. لقد نشبت الحرب العظمى ! »

فأجابت : « نعم .. كما وقع حادثي ! لقد أرادت الاقدار

ذلك ، وكأنه شيء مقرر منذ ولدت ٠٠ هل تريد أن تسمع التفاصيل ؟ »

وأخذت ماجي ميللر تتكلم ٠٠

واذا كنت اليوم أمسك القلم لاروى قصة « ماجي ميللر » ، أو « البرنسيس فهمى » ، فلست أقصد بذلك أن أروى قضية جنائية هزت لندن وباريس والقاهرة ، وانما أريد أن أبين كيف تتنقل خطوات القدر من مكان الى آخر ٠٠

واني لاترك الكلام لماجي ميللر ، فهي التى تتحدث الى القارىء ، وهي التى تروى قصتها ٠٠ وان كان القلم قلمي أنا !

الدماء تلازم حياتها ٠٠ منذ البداية !

◆ **قالت** لى ماجي ميللر فى مطلع قصتها : « ليس بوسعى فى الواقع أن أخصك بأكثر من ربع ساعة فقط ، اذ ان «تولنتينو» سيحضر بعد ذلك ليصحبنى للغداء ، فقد وعد بأن يقدم لى طبق السمك المطهو مع الحشائش البحرية ، ولكن تولنتينو يعيش دائما على هامش الحياة ، وهو لايحضر الا متأخرا عن موعده ٠٠ انه رسام يحتفظ بأجمل مجموعات الفن القوطي ، وكثيرا مايبيعها للسائحين ٠٠ ولكن مالنا ولهذه التفاصيل ؟ »

وانطلقت بعد ذلك تتحدث ، وكأنها تلميذة تستعد لالقاء درس حفظته ٠٠ وهاهى روايتها :

« لقد ولدت فى باريس ، فى ١٢ ديسمبر من عام ١٨٩٢ ــ وهو تاريخ أستبشر به ! ــ وكان والدى ، واسمه « ألبير » ، يعمل كاتبا عند أحد المحامين ٠ أما والدتى فكانت تشتغل بحياكة الملابس ، وكانت جميلة الشكل ٠ ولقد كان لى شقيقان قتلا فى الحرب ، كما كانت لى شقيقة وشقيق ثالث أصغر منى ٠ وهذا الاخير هو أس ما أصابنى من نكبات ! فقد كنت ألعب معه بالكرة فى الطريق ــ أمام المنزل ــ فى يوم من الايام ، واذا الكرة تنطلق الى عرض الطريق ، فجرى أخى ليلتقطها ٠ ٠ واذ

ذاك صدمته عربة من عربات السكك الحديدية فهشمت رأسه !

« ومع انه كان لايزال في الرابعة من عمره ، الا أن الاسرة كلها اعتبرتني مسئولة عن مقتله ! .. وصار مجرد ظهوري بينهم يثير اعصابهم ويرهقها ، ففضلوا في نهاية الامر ارسالى الى مدرسة الدير حيث اودعت بالقسم الداخلى »

ولما وصلت « ماجي ميللر » الى هذا الجزء من قصة حياتها ، التفتت الى « البارمان » فطلبت كأسا اخرى ، ما ان احتستها حتى عادت تستأنف قصتها قائلة : « ولما كنت ساذجة ، فقد انتهى بى تكرار اتهامى بأننى المسئولة عن مصرع أخى ، الى ان صدقت ذلك فى نهاية الامر ! .. ومرت بى شهور عديدة حاولت خلالها ان أكفر عن الجريمة العالقة بعنقى ، فتفانيت فى العبادة، واستغرقت فى التقوى .. على اننى ما لبثت ان تعرضت لتطور كبير ، عندما ذهبت لزيارة سيدة من قريباتى تدعى « مدام لانجلوا » . وكانت تقيم فى باريس ، وتنعم بما تنعم به أية باريسية من حياة مرحة .. وهكذا بدأت بالنسبة لى حياة اللهو والترف الباريسى .. بدأت هذه الحياة بالنسبة لى وأنا لاأزال فى الخامسة عشرة من عمرى !

العشيق الاول .. والزلة الاولى !

◆ « **وهناك** ، عند « مدام لانجلوا » هذه ، قابلت أول عشاقى ! .. كان شابا انجليزيا صغير السن ، يشغل والده وظيفة قنصل فى الهند . وكان اسمه «اندريه مونت كلارك» .. وقد بلغ من سحر لطفه وفتنته ان اسلمته نفسى !

« ولكن مهلا ! .. لاتظلمني ، فقد كنت فتاة شريفة ! .. لقد دعانى لزيارة منزل امه الفرنسية ، وكنت صديقة لاخته ، فلبيت الدعوة . وهناك وعدنى الشاب بالزواج بمجرد ان تصل موافقة والده . ولكن الهند كانت بعيدة ، وكان يجب ان ننتظر مدة طويلة حتى يصل الينا هذا الرد . وفى فترة الانتظار هذه،

أخذنا نتذوق جميع المتع ٠٠ كما تفعل أية خطيبة مع خطيبها فى فترة الخطبة !

« ولكن رد والده مالبث ان جاء ٠٠ بالرفض ! »

وسكتت « ماجى » قليلا ، فقلت لها : « وماذا حدث عقب ذلك ؟ »

فابتسمت وقالت : «لم يحدث شيء ٠٠ بل عدت الى أسرتى ! ٠٠ لم أعد مرفوعة الرأس طبعا ! ٠٠ وظللت ألازم الاسرة عاما كاملا ! »

« اندريه » الثانى ٠٠ العشيق رقم (٢) !

◆ « **وفى** ذات يوم ، أو ذات مساء ، قابلت فى أحد المحال التجارية صديقة اخرى لصديقى البريطانى ٠ وسرنا معا نتجاذب اطراف الحديث ، واذا بها تعرض على ان تعرفنى برجل قالت فى وصفه « انه يمتلك سيارة ! » ٠٠ وكان امتلاك سيارة فى ذلك الوقت ـ سنة ١٩٠٧ ـ دليلا على العظمة وسعة الثراء ٠٠

« وتعرفت الى « اندريه ميللر » ، صاحب السيارة ٠ كان ابن تاجر للخمور مشهور فى (بوردو) ، كما كان يمتلك جيادا تجرى فى حلبات السباق ، بينما كنت فتاة بسيطة ، أرتدى الزى الخاص بطالبات القسم الداخلى ، وأرسل شعرى مضفورا فى جديلتين طويلتين تكادان تبلغان ركبتى ! ٠٠ وما لبث « اندريه » ان دعانى الى ركوب سيارته ، وكانت من طراز « رينو » ، فراحت تهتز بنا اهتزازا عنيفا ! ٠٠ وكان الرجل جميلا ، اسمر اللون ، ممشوق القوام ، ذا حظوة لدى جميع من كان يلتقى بهن من النساء !

« ومع انه كان فى الاربعين من عمره ، الا انه سرعان ماتبين اننى ـ وان لم اتجاوز السادسة عشرة ـ كنت على دراية تمكننى من الدفاع عن نفسى ! ٠٠ فقد كانت التجربة التى خضتها مع الشاب البريطانى كافية لان ألم بأمور الرجال ونزواتهم !

« وقد دعانى « اندريه » مرة لزيارته بمنزله الريفى فى (أركاشون) ـ حيث كان يصيد الثعالب ـ فلبيت دعوته شاكرة ، ولكنى ذهبت اليه بصحبة اسرتى كلها !.. ولم يجد بدا فى النهاية من ان يطلب يدى .. ولم تكن به حاجة الى استئذان ابيه ـ مثل «اندريه» الاول ـ فما لبثنا أن تزوجنا !.. وأصبحت « مدام ميللر » !

خصام .. وصلح .. ثم طلاق !

◆ « **وبهذا** الزواج ، بدأت المرحلة الاولى من حياتى كنجمة متألقة فى المجتمع .. وهى مرحلة استغرقت سبع سنوات ، قضيتها في ركوب الخيل ، وصيد الثعالب فى (اركاشون) ، والسفر الى مراكش ، والحياة فى باريس .. ثم استقر بنا المطاف فى البندقية .. وهنا ، فى صالون « بار دانييللى » الذى يطلقون عليه صالون «جورج صاند» ، انقطع الحبل لاول مرة.. فقد كان زوجى «ميللر» شديد الغيرة ، وكانت هذه الغيرة سبب الكثير من مشاحناتنا . من ذلك انه أراد ذات ليلة ان يدخل مخدعى ، وكان من عادتى ان اغلق بابى اذا ما اعتزمت النوم.. وعبثا طرق زوجى الباب ، فقد أبيت ان افتحه ، فما كان منه الا ان كسر الباب واقتحم الغرفة ! .. وما كاد يدخل حتى انهال على باللكمات . ولم يسعنى بدورى الا ان انشب فيه أظافرى ! ورأى فى الحجرة بابا جانبيا مفتوحا ، فصرخ قائلا :

ـ لقد هرب عشيقك من هنا !

قلت : « لا ! .. بل اننى أضع وراء هذا الباب حقيبة قبعاتى ! »

فقال متسائلا : « ولماذا تركته مفتوحا ؟ »

فقلت : « ألم تكن تعترض منذ لحظة على أننى أوصد بابى ؟ »

« وانتهت هذه المشاجرة بالصلح .. ثم رحلنا الى مراكش حيث قضينا بعض الوقت . على ان صلحنا لم يستمر طويلا ،

اذ لم ألبث ان انفصلت عن زوجى فى (دوفيل) ، فى سنة ١٩١٣ ٠٠ كنت هناك برفقة شقيقتى وباقى أفراد اسرتى ، وكان زوجى قد اعتاد أن يدعو زميلا له منذ أيام الدراسة ، ليقيم معنا بين آن وآخر - ولعله كان يفعل ذلك نكاية فى ! - على اننى ما لبثت ان تبينت ان ذلك الصديق كان يحرضه ضدى باستمرار ، اذ سمعته ذات يوم يقول له : « انك تعامل هنا كأسوأ مايعامل الخدم ! »

« ومهما يكن مدى مافى قوله من صدق ، فما كان من حقه ان يقوله ٠ لذلك لم اتردد فى إن افتح الباب الذى كان يفصل بينى وبينهما ، لاقول للصديق الطفيلى :

- معذرة ياسيدى ! ولكن ليس من حقك ان تتدخل فى شئوننا العائلية الخاصة ، ولذلك فانه يسرنى ان ترحل عن هذا المنزل !

ولكن زوجى انضم الى جانب صديقه وقال : « لقد دعوت « جاك » الى هنا ليقضى اجازته الى جانبى ٠٠ واذا رحل ، فسأرحل أنا ايضا ! »

فقلت له فى الحال : « حسنا جدا ياصديقى ! ٠٠ يمكنك ان ترحل انت ايضا ٠٠ مع السلامة ! »

« ورحل الاثنان،وقد تأبط كل منهما ذراع الآخر ! ٠٠وظننت ان الامر لن يتعدى جولة فى الريف ٠ ولكننى كنت شيطانة صغيرة،فناديت رئيس الخدم،والمكلفين بالعناية بجياد السباق ، وأصدرت اليهم الاوامر الصريحة باغلاق أبواب الحظائر فى وجه أى انسان ! - وكان هذا سخفا منى بطبيعة الحال ، ولكن سنى اذ ذاك كانت لاتتعدى الثامنة عشرة ! - **فلما عاد زوجى ، ومعه صديقه « جاك » متعلقا بذراعه ، وجد الحصون والمتاريس فى طريقه ، فلم يتمكن من الوصول الى جياده ! وكانت فضيحة كبرى اهتزت لها (دوفيل) كلها !**

« ولم يبق أمام زوجى الا طلب الطلاق ٠ فلما مثلنا أمام القاضى ،

صاح يخاطبني : « اذا لم تقبلي ما اعرض عليك ، فسأعرف كيف احطم حياتك ! » .. وعرض على مبلغا ، ولكني كنت اطلب ايرادا ثابتا . وفي النهاية قبلت مائتي الف من الفرنكات . ولم يكن المبلغ كبيرا في ذلك الوقت ، ولكني كنت متوسطة الحال ، وعلى شيء كثير من الخجل !

« وفي تلك الفترة ، قابلت « نيكولي دي مونتجوا » .. ألا تذكرها ؟.. لقد كانت ألمع نجوم مسرح « الفولي برجير » ـ وأصبحت في عام ١٩١٩ أميرة ، بزواجها من الامير الروسي « جاليتزين » ! ـ ولكن هاهو « تولنتينو » قد اقبل .. »

ففي تلك اللحظة أقبل علينا شخص كان شكله اقرب مايكون الى أشكال المهرجين الايطاليين . وانحنى أمام « ماجي ميللر » على الطريقة الالمانية ثم قبل يدها ! وانصرفا معا

غرام الباشاوات في مصر .. منذ ربع قرن !

◆ **وتوطدت** العلاقات بين « ماجي ميللر » وممثلة « الفولي برجير » المذكورة ، التي سرها ان تجد لها صديقة بين أفراد الطبقة الرفيعة ، فأخذت تتردد بصحبة « ماجي » على مختلف الاوساط والبيئات

وكانت « ماجي ميللر » تدرك ان المائتي الف فرنك ليست بثروة ، وانها لن تلبث أن تتبخر بسرعة ، ولكنها رغم ذلك لم تتمكن من أن تطلق حياة الخيل والسباق والطبقة الرفيعة التي كانت قد اعتادتها !

وقبيل نهاية الحرب العظمى بمدة وجيزة ، اصيبت «ماجي» بمرض خطير ، فأوصاها الاطباء بضرورة السفر الى منطقة لاتغيب عنها الشمس .وعلى الرغم من ان الغواصات كانت تملأ البحر الابيض المتوسط وقتئذ ، فان « ماجي » سافرت الى (مصر) عن طريق (مالطة) ، وصحبتها في سفرها خادم خاصة للاشراف على صحتها والعناية بها

وصارت « ماجى » تصف مصر ـ عندما كانت تتحدث عنها بعد ذلك ـ بأنها « أرض مصائبها » !

نعم ٠٠ كانت مصر أرض مصائبها !

ولكن البداية فى مصر كانت طيبة بالنسبة لماجى !٠٠ فقد وقع فى غرامها « اقطاعى » كان يدعى « سلطان باشا » ـ تقول ماجى انه رزق فيما بعد بابن و « وريث » أحب بدوره حين صار شابا ممثلة فرنسية من أشهر كواكب المسرح والسينما !

ولكن ماجى لم تحفل بغرام سلطان باشا ، لانها كانت قد جاءت الى مصر تنشد الهدوء والراحة ٠٠ وكان يرسل اليها فى فندقها كل يوم رسالة أو زهورا مع خادمه الاسود ، ويحرص فى وقت العشاء على ان يحجز لنفسه مائدة الى جانب مائدتها ٠٠ كما كان يجمع على مائدته عددا من سكرتيريه وأفراد « بطانته » وفريقا من المتملقين المتطفلين !٠٠ **ولم يدع الباشا سبيلا الا انتهجه للتأثير على ماجى : فكان يبالغ ـ على مسمع منها ـ فى وصف محاسنها وسحرها ، فيؤمن المحيطون به على كل كلمة يقولها ، ويبتسمون للحسناء الجالسة الى مائدتها بجوارهم ، « كأن شفاههم قد دهنت بالعسل،والذهب يجرى فى أيديهم! » ـ على حد تعبير « ماجى » !٠٠ فاذا اعجبت بقطعة موسيقية مما تعزف « الاوركسترا » ، أسرع سلطان باشا فأشار الى رئيس الفرقة ليعيد عزف القطعة ، ثم أشار بيده للحسناء الفرنسية اشارة توحى بغبطته بأن يقدم لها هذه القطعة التى أعجبت بها!**

وتحاول « ماجى » عبثا ان تغير مائدتها لتجلس بعيدا عن هذا المحب الولهان ، ولكن الفندق كله يتآمر ضدها ٠٠ فما ان تنتقل الى مائدة جديدة ، حتى تجد « الباشا » الى جانبها ومعه شلته ! ٠٠ فماذا تفعل بعد ذلك ؟٠٠ أتطلب أن يحمل الطعام الى غرفتها ؟ ٠٠ ولكنها كانت لاتكاد تجد طريقا تسلكه الى حجرتها ، من فرط ماتراكم فى الردهة من باقات الزهور !٠٠ فاذا سألت الخدم عمن أرسل تلك الزهور ، لم تتلق سوى

جواب واحد : « لسنا ندرى ياسيدتى ! » ٠٠ فتقول لهم : « ألم احذركم من قبل ؟ » ٠٠ وقبل ان تفرغ من عبارتها ، يصل خادم أسود اللون ، تتقدمه وصيفة ويتبعه احد خدم الفندق ، والثلاثة يحملون باقات جديدة من الزهور !

تنقذ « شريف باشا » من الموت !

◆ **والتقت** « ماجى » فى القاهرة بصديق كهل ، وثيق المعرفة بباريس ، هو الجنرال التركى « شريف باشا » ٠٠ وكان وزيراً تركيا سابقا ، أصدر شباب « تركيا الفتاة » حكما باعدامه مرتين ، فلاذ بمصر ٠٠ وكان متزوجا من اميرة مصرية وثيقة القرابة بالبيت المالك !

وكان شريف قد اشتهر فى باريس بأناقته ، وشاربيه الكبيرين ، وبمغامراته ، وسياراته الفاخرة العديدة ٠ ومن ثم سرت « ماجى » من لقائها به، وتقبلت صحبته بابتهاج ، وجلست تتناول الطعام الى جانبه وقد أدارت ظهرها للعاشق الآخر الذى كان يلاحقها : سلطان باشا ! ٠٠ **وسرعان مافوجئت بشريف يغادر مقعده ليتجه نحو سلطان ٠٠ وارتفعت اصواتهما فى حدة ، وتدفقت الشتائم حتى طغت على نغمات الموسيقى! ٠٠ وما لبث سلطان باشا ان غادر المكان وهو يصيح فى الآخر مهددا : « سوف تصل اليك اخبارى سريعا ! »**

فتمتم شريف باشا يجيبه وهو يعود الى مقعده : « تقصد مبارزة ؟! ٠٠ اننى موافق منذ الآن ، اذ انها لن تكون الاولى ، وارجو ان لاتكون الاخيرة ٠٠ بالنسبة لى على الاقل ! »

وأمسك شريف باشا بيد « ماجى » فقبلها وهو يقول لها :

ـ ان هذا الحادث على العموم لن يمنعنا من زيارة «السوق»!

وكانت السوق فى ذلك الوقت ـ على حد وصف ماجى ـ مجموعة من حارات ضيقة ، وأزقة يزدحم فيها الناس، وتملأها العربات والذباب ، وتجرى فيها الحمير براكبيها ، يسابقها



أصحابها المكاريون الذين يجرون بجوارها وهم يصيحون فى المارة : « بالك ! بالك ! »

وفيما كانت « ماجى » تجوس مع شريف باشا خلال السوق ، اقترب منه رجل وهمس فى اذنه ، « احترس ! » ، فلما سألته « ماجى » عما هنالك ، قال : « لاتنزعجى ٠٠ انه يحذرنى من موظف فى دائرتى طردته اليوم من عمله ! »

وأقبل فى تلك اللحظة شاب وضع يده فى جيبه ثم أخرجها تحمل سلاحا صوبه نحو شريف باشا ، فأسرعت « ماجى » ـ بحركة غريزية ـ ووقفت بين الشاب وصديقها ٠٠ واذ وجد الاول ان الفرصة قد ضاعت منه ، بادر الى الفرار !

ولما عادت « ماجى » فى ذلك المساء الى حجرتها بالفندق الكبير ، وجدت صورة كبيرة لشريف باشا وقد كتب عليها هذا الاهداء : « رمز صداقتى الخالصة ، ووفائى الذى لايتزعزع ! »

وهكذا ازدادت أواصر الصداقة بين الاثنين توطدا ٠٠ وما لبثت ماجى ان رافقت شريف باشا فى رحلة الى الوجه القبلى

غرام ٠٠ مع البرنس أوف ويلز !

◆ **ولكن** لكل شىء نهاية !٠٠ فقد كان لابد لماجى من العودة الى باريس ، لتستأنف حياة اللهو والعبث خلال سنوات الحرب ٠ وهناك أصبحت تقضى الكثير من سهراتها مع « أشيل فولد » ـ ابن الرجل الذى شغل منصب وزير المالية فى عهد نابليون الثالث ـ ومع « دوق وستمنستر » ٠٠ وفى

عام ١٩١٦ ـ وفى مصيف (دوفيل) ـ تعرفت ماجى بضابط بريطانى كبير ، قدمها الى « المركيز دى بريتيل » ، فقدمها هذا ـ بدوره ـ الى الرجل الذى سيتوج شخصيتها !

كان المركيز دى بريتيل ينتسب الى أسرة عريقة ، اعتادت ان تستضيف ملوك بريطانيا وأولياء عهودهم ، كلما حلوا بفرنسا فى زيارات غير رسمية .. وقد قدر لولى عهد بريطانيا الاسبق ان يقع يوما عن ظهر جواده ، وهو فى ضيافة المركيز ، وكان هذا الامير هو عين الملك الذى تولى حكم بريطانيا بعدذلك لفترة قصيرة باسم « ادوارد الثامن » ، ثم نزل عن عرشه ليتزوج من المرأة التى أحبها : « مسز سمبسون »

ولكن « فرانسوا دى بريتيل » ساعد صديقه الامير على السقوط فى شىء آخر ، كان أخف وقعا على نفسه من السقوط عن ظهر الجواد ! .. فقد أوقعه فى غرام ماجى ميللر !

كانت ماجى فى ذلك الوقت فى أبهى آيات جمالها ، وفى عنفوان شبابها ـ اذ كانت سنها لا تزيد على اثنين وعشرين عاما ـ وكانت تختال فى أجمل الثياب ، وتتحلى بأغلى الجواهر ! .. أما « البرنس أوف ويلز » فكان يرتدى الملابس المدنية عندما قدم اليها ، وقد مد اليها يده فى شىء من الخجل والحياء ، فانحنت احتراما لمقامه الرفيع ، وقد أشرق وجهها كله بالبشر والسعادة

وابتسم لها الامير . وما لبث ان دعاها الى كأس من الشراب فى « بار » الكازينو الذى كانا فيه .. ولكنها سرعان ما اكتشفت ان ولى عهد بريطانيا لم يكن يشرب سوى .. الماء القراح ! .. وفى كياسة ولباقة ، ردت ماجى كأس الشمبانيا ، دون ان تمسها .. وقال لها الامير أخيرا فى لطف وأدب : « هل ترافقيننى فى نزهة قصيرة ، فى سيارتى ؟ »

وتضرج وجه ماجى ، وأتت بحركة تنم عن مقدار الشرف

الذى حظيت به اذ وجه لها سمو الامير هــذه الدعوة !٠٠ ثم ما لبثت ان فركت يديها للتعبير عن سعادتها بهذه « النزهه »

وكان الامير يقطن على مسافة مائة كيلو متر من ذلك المكان !

وفى اليوم التالى وصلت سيارة خاصة من أفخم السيارات التى كانت معروفة اذ ذاك ، لتنقل « ماجى » الى (نورمنديا)، حيث تناولت الغداء مع الامير في فندق مشهور ٠٠ وبعد ان تناول حديثهما موضوعات مختلفة ، أخذ ولى العهد الشــاب يحدثهــا عن آماله ومشروعاته ، اذ كان من المحتمل ان يغادر باريس ـ بعد عودته من نورمنديا ـ الى لندن ، أو الى جبهــة القتال !

وفى احدى مقابلاتهما الاخيرة ، سجل الامير عنوان « ماجى » فى مفكرته ، ووعدها بأن يكتب اليها ، ثم قبلها مودعا

يتناول طعامه ٠٠ بيد واحدة !

◆ **قالت** ماجى تستأنف قصتها :

« وكان الامير يكتب الى بالفعل ، من آن الى آخر ، ويدعونى فى خطاباته بمرجريت ، وأحيانا يقول : « ياطفلتى العزيزة ! » ـ رغم انه كان فى مثل سنى ! ـ وكان يرفق بخطابه دائمــا احدى صوره التى تمثله سواء فى الميدان ، أوجالسا الى المائدة، أو مرتديا الملابس الرسمية لولى العهد ٠ وأرسل مرة يقول انه قادم الى باريس ، وانه سينزل فى فندق « ميريس » ٠ وما ان وصل حتى اتصل بى ، ثم حضر الى منزلى واصطحبنى لتناول العشاء ٠ **وأخذنا نتردد فى الايام التالية على المسارح ، ونشهد الحفلات الموسيقية ٠ وكان يصحبنا فى بعض الاحيــان ياوره « ليدز » ٠٠ وكان ـ فى أحيــان أخرى ـ يفد عــلى منزلى ، ويتناول الشاى مع أصدقائى ٠ وفى احدى المرات أحضر معه حاكيا (فونوغراف) ، وأخذ يديره ، ثم استدعى « ســوزان**

دانتيس » للرقص معه

« ولكنه كان دائما شديد التحفظ ٠٠ كان أميرا بمعنى الكلمة !

« وذات يوم حضر الى وهو بادى اليأس والحزن ، ولما سألته عما به قص على أنه نسى فى احدى سيارات التاكسى علبة سجائره المصنوعة من البلاتين ، وكان والده الملك جورج الخامس قد أهداها اليه فى عيد ميلاده الحادى والعشرين ٠ ولم يفلح البحث ولا الوعد بالمكافأة فى العثور على العلبة الثمينة !

« ولما سافر الى جبهة القتال ، كنت أرسل اليه الكتب المختلفة وقطع الشكولاته ٠ وكان يرسل الى من ناحيته بعض تذكارات صغيرة من الميدان ، كأزرار من ملابس الجنود الالمان ، أو قطع من أسلحتهم التى يستعملونها فى القتال ، أو خوذاتهم !

« وكان الامير يتكلم الفرنسية بطلاقة ، كأحد أبنائها ٠٠ وكان رزينا ، لايشرب الخمر ، ولا يدخن كثيرا ٠ ولكنى لم أتمكن من مساعدته على الاقلاع عن عادة لطيفة كانت من لوازمه: اذ كان كلما جلس الى المائدة ليتناول طعامه لايستعمل الا يدا واحدة ٠٠ أما اليد الاخرى فكان يضعها تحت فخذه ! »



« الزواج » الثانى !

◆ **وانتهت** الحرب ، فانتهت معها أشياء كثيرة ، وعادت الحياة الى سيرها الهادىء ! ٠٠ وفى أحد الايام ، قدم الى «ماجى»

رجل جميل الشكل اسمه « شارل لوران » ، كان أبوه أحد مؤسسى محلات « اللوفر » المشهورة فى باريس . وتمكنت « ماجى » من أن تستولى على قلب شارل لوران ، كما نال هو اعجابها بمظهره الجدى ، وذكائه وثقافته .. فلم يلبثا ان تزوجا فى ابريل من عام ١٩١٩ ، وأصبحت ماجى تحمل إسم « مرجريت شارل لوران »

وسافر الزوجان لقضاء شهر العسل فى البندقيه ، فاستأجر « شارل » قصرا يطل على « القنال » ولكنه لم يكن يسمح لزوجته بالاشتراك فى الحفلات والمراقص والمسارح .. كما كان يلازمها فى كل خطوة !

وذات مساء ، حاولت أن تغريه على أن يصحبها الى حفلة كبرى كان مقررا ان تقام فى فندق (الاكسلسيور) ، ولكنه راح يسفه الفكرة ، قائلا ان « كل الحفلات متماثلة ، ولاتختلف عما يقام فى باريس ! » .. وعادت تمنيه بما فى الذهاب الى الحفلة من تغيير يبدد سأم الحياة المتواترة الرتيبة التى كانا يعيشانها .. بيد انه أجاب باقتضاب : « لنعد الى الفندق ! » .. وانصاعت مستسلمة ، ولكنها كانت تطوى الجوانح على ثورة جهدت فى كبتها . وما لبثت ان قالت له أثناء الطريق : « ألا نعرج على بار دانييللى لنشرب كأسا ! » .. فقال : « ولكن فى امكاننا ان نشرب مانريد فى بار الفندق ! » .. فلما ألحفت ، قال : « **انك تعرفين اننى أكره الجو الذى يسود هذه البارات ، سيما حين أرى كل هؤلاء الذين يوجهون اليك التحية وقبعاتهم فوق رؤوسهم ، وأيديهم فى جيوبهم ..وأنت تخجلين من تقديمهم الى !** »

فأجابته : « آنهم غير أهل لصحبتك ياعزيزى !.. بل انى لا أكاد أعرف أسماء بعضهم ! »

ـ انك بهذا القول انما تؤيدين كلامى ! فلنعد اذن !

ـ حسنا ، فلنعد !

وسارت الحياة - بعد عودتهما الى باريس - على هذا النمط الذى كان يختلف عما ألفت مرجريت ! فقد كانت تميل الى التردد على ميادين السباق ، وركوب الخيل ، وارتياد الملاهى، وسماع الموسيقى ، والجلوس فى البارات !٠٠ واذشعر زوجها بعدم ارتياحها الى حياتها الجديدة ، قال لها ، ذات يوم : « اسمعى ياماجى ! اننى لايمكن أن أوافق على ان تستأنفى الحياة التى كنت تعيشينها قبل الحرب ، ولن أقر هذا الميل منك أو أنساق معك الى مثل هذه الحياة ٠٠ فاذا كان الحب يجمع بيننا حقا ، فلتوافقى على مرافقتى »

فسألته فى دهشة : « الى أين ؟ »

- الى اليابان !

وصاحت وهى تكاد تسقط مغشيا عليها : « اليابان ! » ٠٠ فهز رأسه ليؤكد لها ماسمعت ، ثم قال فى هدوء : « لقد فكرت فى هذا المشروع منذ مدة ، وسأسافر فى الشهر القادم،وسوف تسافرين معى ! »

ولكنها قالت : « بل انى أفضل الطلاق على السفر ! »

وسافر شارل لوران وحده الى اليابان ٠٠ وتم الطلاق !

يجرى جراحة فى انفه ، من أجل حسناء !

◆ **وفى** اليوم التالى للطلاق تلقت ماجى باقة كبيرة من الزهور، ارفقت بها بطاقة صغيرة تحمل اسم « استوريكا » ، وكان رجلا من أثرياء (شيلى) جمع ثروته الطائلة من تجارة سماد بلاده المشهور ، وتألق نجمه فى الاوساط الراقية فى (دوفيل) و (بياريتز) ٠ وكان المليونير المذكور قد عرف بأنفه الطويل ، ثم حدث مرة ان قالت له احدى اللاعبات ، وهى ترى ارباحه تتضاعف على مائدة القمار : « أتربح أنت - صاحب هذا الانف الطويل - كل هذه الاموال ؟ » ٠٠ فما كان منه الا أن لجأ الى أحد كبار الجراحين الاخصائيين فى عمليات التجميل ، وطلب

منه اجراء جراحة لتعديل شكل انفه ! ٠٠ ولا شك انه من حسن حظه ان الحسناء لم تنتقد طول لسانه أو طول يده ٠٠ مثلا !

وكان « استوريكا » شديد الرغبة فى أن يكون باريسيا بكل معانى هذه الكلمة ، ولم يكن يدخر مالا فى هذا السبيل ، ومن ثم وقع بسهولة فى غرام أجمل باريسية كانت تتحدث عنها دوائر المجتمع فى ذلك الحين ، فذهب الى ماجى غداة طلاقها ، وبادرها قائلا : « **لقد حرصت على أن اكون مستقيما ، فلم احاول الاتصال بك قبل طلاقك من زوجك ٠٠ والآن ، وقد أصبحت حرة ، فان المسألة بيننا مسألة حياة أو موت !** »

فابتسمت مرجريت وقالت له : «حسنا ! وما هى طلباتك؟»

فأجابها : « **ان لى فى شارع هنرى مارتن مسكنا خاصا تحت أمرك ، وقد وضعت على بابه الحروف الاولى من اسمك ٠ ٠ فما رأيك ؟** » ٠ فهتفت مرجريت مأخوذة : « وهل كنت واثقا من نفسك الى هذا الحد الكبير ياصديقى ؟ »

٠٠ ولم يحفل بالاجابة عن سؤالها ، بل استطرد قائلا : « **ولما كنت اعرف مقدار حبك للجياد ، وانك تميلين دائما للرقم ٧ ، فقد اخترت لك سبعة جياد أصيلة ، سجلت كلها فوزا فى ميادين السباق ، ووضعت على كل منها أيضا الحروف الاولى من اسمك !** »

واذ بدا عليها الذهول ، ابتسم الرجل وقال لها : « **لقد كان الوقت متسعا أمامى ٠٠ كنت أنتظرك بفارغ الصبر ، لاننى احبك !** »

يهوى السمراوات البدينات ، ويتخذ خليلة نحيلة شقراء !

● **وما** كان فى وسع امرأة ان تقاوم كل هذه المغريات ، سيما وقد مهد « استوريكا » بذلك لمرجريت اسلوب الحياة التى تهواها وتميل اليها : فهناك اليخت ، ولعب القمار، وارتياد البارات ، وميادين السباق ، والمراقص والمطاعم المشهورة ٠٠ الخ

واستطردت مرجريت تروى قصتها : « وكان الفيكونت

« ج.دى ف. » قد أنفق على فى شهر واحد أكثر من ثمانية آلاف فرنك ، ولكنه انفقها عبثا ، اذ فضلت عليه استوريكا وتبعته !.. ولكن هل تبعته وأنا واعية ، مدركة لما أفعل ؟.. أو اننى تبعته مدفوعة بحبى للمغامرات ؟.. **لقد أدركت منذ أيامى الاولى مع هذا الرجل اننى أحيا حياة الكلاب .. فقد صارحنى بانه لم يكن يميل الا للمرأة السمراء الممتلئة الجسم، فى حين اننى كنت نحيفة شقراء ، بل لقد صارحنى بأنه قد يفرض على من وقت لآخر صحبة نساء من النوع الذى كان يفضله ، مع احتفاظه بالمظاهر التى توحى للناس بأننى خليلته !**

« ومع كل ذلك ، فان المشاجرة الاولى التى حدثت بيننا لم تكن راجعة الى امرأة ، وانما كان سببها سمكة !.. وقد حدثت فى احدى ضواحى باريس . كنا فى مطعم « دوفان » ، وكان من تقاليد المطعم أن يصيد المرء بنفسه السمك الذى يريد أن يتناوله، من بركة صغيرة فى المطعم .. فاصطدت فى ذلك اليوم أربع سمكات ، لكننا لم نأكل غير اثنتين منها . فلما قدمت الينا قائمة الحساب ، وجدت انهم احتسبوا ثمن السمكات الاربع التى اصطدتها ، ولم يكن ثمن الواحدة منها يقل عن ٩٠ فرنكا ـ وهو سعر كان يعتبر باهظا فى عام ١٩٢١ (قبل تخفيض ثمن الفرنك) ـ فالتفت الى من كانوا قريبين منا ـ من رواد المطعم ـ وقلت مداعبة :

ـ على أى حال .. لقد كان من حق بيبيه (وهو الاسم الذى كنت اداعب به استوريكا) ان يدفع ثمن سمكتين فقط لا اربع سمكات !

فصاح بى استوريكا فجأة : « **اخرسى !.. لاتهتمى الا بشئونك فقط ، فأنا حر فى دفع ما أريد** » .. وكانت هذه أول مرة يخاطبنى فيها بلهجة فظة امام الناس ، فقلت له بكل هدوء: « يحسن بك ياصديقى أن تكون مهذبا ، ولو أمام الناس! » .. فصاح : « **أتتحدثين عن الادب والتهذيب ؟ .. اذا كنت أدفع**

ثمن السمك ، فكذلك أدفع لك انت الاخرى ثمنك !٠٠ اننى ادفع لك ٣٠ الف فرنك فى الشهر ٠٠ وعلاوة على ذلك ٠٠ »

درس ٠٠ بالسوط !

◆ « **وقبل** أن يتمادى فى حديثه ، امسكت بالسوط الصغير الذى أستعمله عندما اركب الجواد ، وانهلت به على وجهه ، فسقط منظاره على الارض ، وظهر خط احمر طويل على خده!٠٠ فهب واقفا على قدميه وقد احتقن وجهه ، وصاح قائلا : « الى بسيارتى ! »

فقلت وأنا أمسح سوطى بيدى ، كما لو كان سيفا يعاد الى غمده : « تذكر انك ستقلنى الى حيث أريد ، لاننى قد صرفت سيارتى ! »

فصاح قائلا : « لا ٠٠ لن افعل ! » ٠٠ فقلت وأنا أقلد لهجته المضحكة فى هذا الموقف : « **بل ستفعل !** »

« وكان اصدقاؤنا جميعا قد وقفوا يتفرجون على هذا المنظر العجيب ، دون ان يجرؤ احدهم على التدخل ٠٠ وفى تلك الاثناء كانت سيارته قد استدعيت أمام باب المطعم، فصعد «استوريكا» اليها وحده ، ثم اقفل الباب وراءه فى حدة وغضب ٠٠ وفى اللحظة التى همت السيارة فيها بأن تتحرك ، قلت للسائق : « رامون ٠٠٠ انزل من السيارة ! »

« وأطاع السائق امرى فى الحال ، فصعدت الى مكانه ثم قدت السيارة ، و « استوريكا » فى داخلها يكاد ينفجر غيظا !٠٠ وبعد ان سرت الى الامام مسافة قصيرة ، عدت به الى باب المطعم حيث كان الناس قد تجمعوا يسألون السائق عما حدث ٠٠ فلما رأونى أعود ، صفقوا اعجابا وسخرية ٠٠ ولكنى لم أقف ، بل أخذت أدور به ثم اعود الى باب المطعم ، ثلاث مرات ٠٠ والناس فى كل مرة يضجون بالضحك والسخرية !

« وفى اليوم التالى خرجنا سويا فى نزهة على ظهور الجياد، وكأن شيئا لم يحدث اطلاقا . ثم شربنا الخمر على نفس المائدة وكان يحيط بنا نفس الاصدقاء !

« هكذا كانت الحياة فى باريس .. فى عام ١٩٢١ » !

الى مصر ... مع العيون السود !

• « **واعقبت** هذا الحادث عدة مشاجرات من نوعه .. وكثيرا ما كان «استوريكا» يحبس نفسه فى حجرته مصرا على الانتحار، مما كان يسبب لى ثورات عصبية .. حتى انتهى الامر بانفصالنا، فسافرت الى مصر لاستشفى – كما حدث فى المرة الاولى – اذ كانت مصر تجتذبنى دائما ، كما يجتذب الشقاء ضحاياه !

« وكان فندق (سميراميس) ، أحد فنادق القاهرة الكبرى ، يماثل أى فندق كبير آخر فى أى عاصمة من عواصم العالم .. مع فارق واحد ، هو انه كان يحفل وقتئذ بعدد كبير من الضباط البريطانيين ، كما كان يتميز بأن المصريين الذين كانوا يترددون عليه ، كانوا يحرصون على ارتداء الملابس الرسمية ، وعلى وضع الطربوش الاحمر على رؤوسهم ! »

وما ان ظهرت « ماجى » فى الفندق ، حتى شرع شاب مصرى وسيم بادى الثراء – تحيط به حاشـية من المتطفلين – فى اداء الدور الذى سبقه اليه سلطان باشا فى فندق شبرد فى الزيارة السـالفة .. اذ راح يلاحقهـا بالنظـرات ، والابتسـامات ، والتحيات ! .. **وكان « العاشق » الجديد فى هذه المرة شابا ، اسود العينين ، سريع الحركة ، تبدو عليـه مظاهـر السيطرة والنشاط .. وكانت « ماجى » قد تعرفت عليـه فى زيارتهـا السابقة ، اذ قدمه اليها المالى المعروف « المسيو موصـيرى » ، على انه يدعى « الامير » فهمى كامل ! .. ورقصا معا فى احدى ليالى تلك الزيارة الاولى ، ولما امسك « الامير » بماجى بين يديه ، بدا عليه شىء من التأثر .. ومع ما أبداه من تلطف ورقة ، الا**

ان ذراعه اطبقت على جيدها فى شدة ، وكأنه لايريد أن يفلتها !

وتبعت الرقصة الاولى يومئذ رقصة ثانية ، فثالثة — رغم ان ماجى كانت فى حاجة ماسة للراحة ! — وقد قالت ماجى بعد ذلك لصديقها المالى موصيرى : « يبدو ان صديقك رجل يحب السيطرة ياصاحبى ! »

فقال موصيرى : « نعم ٠٠ ولكن يبدو مع هذا انه لايضايقك ! »

— يضايقنى ؟! لا ٠٠ انه لايضايقنى ! بل على العكس ٠٠ انه صغير ، وجميل الشكل !

وقالت امرأة اخرى كانت تجلس الى نفس المائدة : « انه امير ٠٠ ويمتلك عدة ملايين من الجنيهات ، لايعرف أحد رقمها الصحيح ، وان قيل انها تكاد تبلغ الاربعة أو الخمسة ! »

وتظاهرت ماجى بأن الامر لايهمها ٠ فلما قيل لها : « **جدير ان تأخذى الحذر** » ، تساءلت : « ومم احترس ؟ » ٠ ولم يشأ احد ان يبوح لها بأكثر من : « **ابحثى بنفسك عن دواعى الحذر !** »

رجل ٠٠ « بنج بونج » !

• **وبدأت** ماجى تتحرى ، فقيل لها ان صديقها الجديد كان رجلا « بنج بونج ! » ٠٠ وما لبثت ان عرفت ان المقصود بذلك انه اعتاد ان يتظاهر بالكرم الحاتمى مع جميع النساء ، فيقدم للمرأة التى يتعرف اليها لاول مرة جواهر كريمة وحليا ثمينة ، ولكنه كان لايلبث بعد ذلك أن يسترد هذه الجواهر والحلى منها ، بطريقة مبتكرة : بأن يسلط عليها خدمه من العبيد السود فيسلبونها اياها !

٠٠ كما قيل لماجى انه كثيرا ما كان يصحب بعض النساء الى الصحراء بحجة القيام برحلات جميلة فى ضوء القمر ، أو فى غير ضوء القمر ٠٠ فاذا انتهت الرحلة الجميلة عاد الامير الى القاهرة وحده ، تاركا المرأة على الرمال ، بعد ان يجردها من

جواهرها وثيابها ، بمساعدة خدمه !

وذعرت ماجى عندما سمعت هذه القصص ، وبدأت تأخذ حذرها من الشاب ، برغم الهدايا الثمينة التى كان قد بدأ يرسلها اليها ، وبرغم السحر الذى كان يكمن فى عينيه السوداوين !.. بل برغم ان « الامير » ذهب فى تودده اليها الى درجة انه نظم حفلة تكريم لها على ظهر يخته ، ووضع على بطاقات الدعوة حرفى « م.م. » أى ماجى ميللر ، ولكن ماجى لم تلب الدعوة !.. ثم غادرت مصر فى تلك المرة دون ان تودع « الامير » ، الامر الذى جعله يتميز غيظا .. فما جرؤت، امرأة من قبل على صده بهذا الشكل !

مناورات .. ولقاء فى باريس !

• **وبينما** كانت ماجى تترجل عن جوادها فى (كاتيلان) بباريس ــ ذات صباح ــ اذا بها تفاجأ بلقاء « على فهمى بك » بصحبة سكرتيره الاول الصحفى « م.أ. » ، الذى كان يعمل محررا بجريدة الاهرام ! .. وبدأ على فهمى بالتحية ، فردت ماجى تحيته بسرعة ، وابتعدت عنه فى صحبة الفارس الذى كان يرافقها ، وهو البارون « ج. » ، الذى كان قد بدأ يغرم بها الى درجه الجنون ، حتى أنه طلق زوجته من اجلها،واستأجر حظائر لخيله بالقرب من حظائر خيلها ، واخذ ينتظرها فى كل صباح ليصحبها فى ركوبها الى الغابة للنزهة ، بالرغم من ان المليونير « استوريكا » كان قد عاد اليها ، وأخذ يؤكد لها توبته ، ويعدل من طباعه وعقليته ليرضيها !

وحدث بعد ظهر أحد الايام ان كانت ماجى جالسة فى حجرتها تقرأ كتابا ، حين انبعث رنين جرس التليفون ، واذا بالمتحدثة امرأة من أجمل نساء باريس اسمها «مادلين مارتليه» . وكانت على قسط كبير من الحسن ، كما انها كانت غضة الشباب ، ذات شعر اشقر وجسم بديع . ودعت مادلين « ماجى » الى

الشاى ، فاعتذرت بانهماكها فى قراءة احدى الروايات ٠ واذ ذاك قالت مادلين : « اذن تعالى لتشاهدى رواية حية ٠٠ فسوف اقدم لك شابا من أجمل الشبان ! »

ـ شكرا لك ٠٠ فقد شهدت روايات حية كثيرة ، كما اننى صادفت كثيرين من الشبان ذوى الجمال !

ولكن « مادلين » ألحفت،وقد حشدت فى الحديث كل ظرفها ولباقتها ، حتى لم تجد « ماجى » بدا من الاستجابة لها ٠ وما ان وصلت ، حتى فوجئت بأن الشاب الجميل لم يكن سوى على فهمى ٠٠ وكان معه سكرتيره الذى لايفارقه ٠٠ الصحفى المصرى !

ولم يكن فى باريس ـ بالطبع ـ مايستدعى الحذر من «الامير» المصرى ٠٠ فما كانت هناك صحراء ، ولا خدم سود !٠٠ وفى اليوم التالى بدأ تقديم الهدايا ، والزهور ٠٠ كما استؤنف رقص التانجو !

غير أن « ماجى » لم تلبث ان رحلت الى (دوفيل) بصحبة « استوريكا » ، ونزل الاثنان فى فندق « نورمندى » ، فاذا على فهمى يصل فى اليوم التالى ، وينزل فى فندق « رويال » ٠ وفى نفس ذلك المساء التقى الاثنان فى الكازينو،فحيت «ماجى» المصرى الفاتن ، واسرعت لتلحق باستوريكا فى صالة اللعب !

وأخيرا ٠٠ تستسلم لسحر المصرى !

• **ولندع** ماجى تستأنف رواية ماحدث بعد ذلك بلسانها :

« وعندما دخلت الى صالة اللعب فى كازينو (دوفيل) ، اتجهت فى الحال نحو المائدة التى كان يجلس اليها « استوريكا » ، فلما اقتربت منه وجدته يمسك ورق اللعب باحدى يديه ، فى حين انه كان يعبث باليد الاخرى فى ساقى جارة حسناء كانت قد التصقت به ، ورفعت ساقيها فأسندتهما الى ركبتيه ، وهى

تعتقد انها فى مأمن من الانظار ! .. وكظمت غيظى ، واقتربت منه وأنا اتظاهر بأننى لم أكن أرى شيئا مما يحدث،فلما أطمأن قال لى فى هدوء : « عسى ان تكونى قد ربحت ياشوسوت ! » .. فقلت له بنفس هدوئه : «سوف ترى اذا كنت قد ربحت.. أم خسرت ! »

« وغادرت الكازينو فى الحال فقصدت الىفندق «نورمندى» ، وقلت لوصيفتى الخاصـه : « أعـدى الحقـائب فى الحـال يا « ايميه » !.. فسننتقل فورا الى فندق « رويال » . ولم يكن الطريق طويلا بين هذا الفندق والآخر ، فقد كانتالمسافة التى تفصل بينهما لاتزيد على مائتى متر . ووجدت فى الفندق الآخر حجرة خالية ..

« وفى صباح اليوم التالى ، عند استيقاظى من النوم ،قدمت لى علبة من البودرة طعمت بالاحجار الكريمة ، كانت معروضة فى محل « أربل » بمبلغ ٣٥ الف فرنك . وكانت هذه أول هدايا على فهمى ، فى مقرى الجديد ..

ولم ينقض يومان ، حتى كنت قد انزلقت !

« وبدأت بعد ذلك الرحلة السابقة لشهر العسل ! .. فقد نزلنا فى فندق « ماجستيك » فى (باريس) ، و « باليه » فى (بيارتيز) ، وجميع فنادق « ماركيت » الممتازة فى اسبانيا..

لطيف ولكن .. حذار !

• « **وكان** « على » ساحرا بلطفه .. ولكن جميع اصدقائنا كانوا يقولون لى : « حقـا انه لطيف فى اوروبا . . ولكنـك لاتعرفين الشرقيين جيدا ، وهذا الرجل بوجه خاص . ان مبدأه الذى يعتنقه هو : « لن تخدعنى امرأة ! » .. وكانوا يضيفون قائلين : « ان شئت ان تعرفى مايفعله ، فاسألى « دالالبانى » !

ــ ولكن ماذا فعل لدالالبانى ؟.. لعله انجب منها طفلا ؟

ــ لا ! لم يرزق منهـا بطفل .. ولكنه صحبهـا الى محل « بوشيرون » تاجر المجوهرات المشهور ، وجعلها تتخير خاتمـا

ثمينا ذا حجر من الزمرد ، وعدها بأن يرسل اليها فى اليوم التالى . ولكنه لم يلبث ان استبدل بالحجر الثمين -قبل ان يرسله - حجرا زائفا .. فى حجمه وشكله تماما !

- أوه ! ولكنه لا يمكن ان يفعل ذلك معى !

- لعلك تقولين فى نفسك انه غنى ، فما حاجته الى ان يفعل ذلك ؟.. والواقع ان مايفعله ليس الا نوعا من « السادية » ، أى التلذذ بتعذيب الآخرين واذلالهم ، وهو لايريد ان يقع اسيرا فى يد امرأة . وقد سبق ان سمعت كذلك انه استرد من جميع النساء الحلى والجواهر الثمينة التى قدمها اليهن !

- أوه ! لا ! لايمكن أن يفعل معى مثل هذا . انه يريد ان يتزوجنى ، وقد طلب منى ذلك بالفعل !

- هراء ! .. وحتى اذا كان يريد الزواج منك فمعنى هذا انه يريد الانتقام منك !

وتعلق ماجى على هذا الحديث فتقول : « ولكنى كنت دائما أنسب هذه الاحاديث الى الغيرة التى تشتعل دائما فى قلوب النساء !.. ومع ذلك فقدرفضت السفر مع « على » عندما آن له ان يعود الى مصر ، فى شهر اكتوبر ! »

يستدعيها .. ليراها قبل أن يموت !

◆ **وتستطرد** مرجريت فى قصتها فتقول : « ولكنى فى الشهر التالى تلقيت من « على » خطابا يدل على مقدار جنونه بحبى !.. فقد ذكر لى فى هذا الخطاب انه على وشك الموت ، ولا بد له من ان يودعنى قبل موته ، كى يؤكد لى انه باق على حبى ، وأنه يموت وهو يحبنى ، حبا طاهرا كذلك الذى يكنه لامه !.. وانه لولا عاطفته القوية الحارة لما وجد فى نفسه الجرأة على ان يكتب الى ، طالبا منى الحضور الى مصر ، لادخل على قلبه شيئا من الراحة والسلوى ، ولو لمدة دقائق فقط ، قبل ان يلفظ أنفاسه !.. ثم اختتم « على » خطابه بهذه العبارة

المؤثرة : « **ولكن هل تحضرين ؟ هل تحضرين حقا ؟٠٠ ليتك تعلمين بالاحلام المزعجة التى تنتابنى !٠٠ ربما تمت المعجزة بعد حضورك ، فشفيت من مرضى !٠٠ اننى واثق من هذا ٠٠ اننى متأكد منه ٠ ولو وصلت الى منك رسالة برقية تنبئنى بموعد حضورك فاننى سأستمد منها قوة لانها ستملأ نفسى سعادة٠٠ لاشك اننى سأعيش الى يوم وصولك ٠٠ وسوف تتم المعجزة بعد حضورك !** »

وهنا تنهدت مرجريت ، ثم واصلت رواية قصتها :

« وبعد ! فماذا كنت تريد منى ان اصنع ، سيما واننى كنت اعرف مقدار ما لى من سحر على هذا المخلوق الغامض ، الجميل ، الفاتن ، الذى ينزع الى السيطرة ، رغم رقته العظيمة واحساسه المرهف ؟!٠٠ كان أشبه بالنمر الجميل المستكين الذى ينام عند قدمى ٠٠ فاذا اراد ان يداعبنى لم يجد غير اظافره ينشبها فى جسمى !

« ومن ثم أسرعت ألبى الدعوة !

« ووصلت الى ميناء الاسكندرية ، فكان أول شخص رأيته واقفا على رصيفها هو ٠٠ على فهمى !

« كان واقفا يبتسم بقامته المديدة الصلبة ، والى جانبه باقات من الزهر تغطى الارض !٠٠ ولم يكن مصابا بأى مرض ، ولا بزكام بسيط !٠٠ ولذلك فقد بادر الى الاعتذار بمجرد نزولى٠ وأضاف انه لم يكتب لى كل ماكتب الا ليحثنى على الحضور ، وقد فعل ذلك مدفوعا بحبه لى !٠٠ **ثم اخبرنى بأن اسرته وافقت على زواجه منى !**

« وكانت هذه أول مفاجأة لى !

« وانحنى افراد الحاشية جميعا ، وهم وقوف على بعد خطوات منا ٠ وكان رصيف الميناء مغطى بالزهور ، من سلم الباخرة الى العربة التى ركبناها !

« وكان « على » مفعما بالسعادة فى ذلك اليوم ٠ اما أنا

فكنت فى شبه ذهول ، مشوب بالسعادة،وشىء من الخوف!٠٠
ولما قدم الى شقيقاته ، هدأت مخاوفى ، سيما وقد أخذت كل منهن تبدى اعجابها بى ٠٠ وسمعتهن يقلن لى : « كم انت جميلة، وظريفة !٠٠ اننا سعيدات بانضمامك الى اسرتنا !٠٠ ولا شك فى ان هدايته الى سواء السبيل ستكون على يديك ! »

« ووضع « على » منزله كله واملاكه تحت قدمى ٠ وكان يلبى أصغر رغبة من رغباتى فى الحال ٠ وكانت الزهور الجميلة تستبدل فى كل ساعة ، والهدايا تقدم الى كل صباح ! ٠٠وفى مقابل ذلك كله لم يطلب منى سوى شىء واحد ، وقد طلبه اطاعة لقوانين البلاد ، وحتى لايحرم من ميراث والديه : كان طلبه هو ان أعتنق الدين الاسلامى ، مع انه كان يعلم اننى قد نشأت وتعلمت فى مدارس الراهبات !٠٠ وقال لى ، يعزز طلبه : « إن المسألة لاتعدو ان تكون اجراء شكليا » ! ٠٠ ثم استطرد يقول: « ويمكنك الاستمرار فى التردد على الكنيسة للصلاة كل يوم أحد ، كما كانت عادتك فى الماضى ٠ بل فى وسعك ان تترددى فى أى وقت آخر اذا شئت ٠٠ أكثر من الماضى !

وفى العدد القادم ، أقدم لك الفصل الثانى والاخير من هذا الكتاب الشائق عن حياة المرأة التى كانت حديث عواصم العالم الكبرى فى يوم من الايام !

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ، هذه الكتب على التوالى :

« ديكاميرون » : بوكاشيو

« دون كيشوت » :

« الالياذة » : هوميروس

« اميل » : جان جاك روسو

« حى بن يقظان » : ابن طفيل

« روبنسن كروزو » : دانييل ديفو

« غرام الاخوين » : (كاتب فرعونى مجهول)

« يوتوبيا » : توماس مور

« الجمهورية » : افلاطون

« الكوميديا الالهية » : دانتى

« الأوديسة » : هوميروس

« العالم كما يسير » : فولتير

« غرام مشبوب » : لين يوتانج

« رباعيات عمر الخيام »

عفاف (كوزى سانكتا) : فولتير

« رسالة الغفران » : المعرى

« نظرية التطور » : داروين

« رأس المال » : كارل ماركس

« العقد الاجتماعى » : روسو

« الابطال وعبادة البطولة » : توماس كارليل

« أسرار انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية » : ادوارد جيبون

« الامير » : نيقولو مكيافيللى

« خفايا العلوم الفرعونية » : ت. سودو

وهاك اليوم وصية ريشيليو السياسية



الوصية السياسية

لكردينال فرنسا الأحمر

ريشيليو

مع صفحات من سيرته الحافلة

الكاردينال الأحمر !

◆ اعتاد « كتابى » ان يقدم لك بين آن وآخر بعض الشوامخ السياسية التى خلدها تاريخ الحكم والسياسة ، والتى قامت عليها مذاهب تركت آثارا هائلة فى حياة الشعوب ٠٠ فقدم من قبل « يوتوبيا » لتوماس مور ، و « الجمهورية » لافلاطون ٠٠ الخ ٠٠وكان آخر الكتب التى قدمها لك فى هذا الميدان ، كتاب « الامير » لمكيافيللى٠ واليوم ، هاك « الوصية السياسية للكاردينال ريشيليو » ، وهى الوثيقة التاريخية التى سجل فيها داهية السياسة الفرنسية آراءه فى الحكم ، والعدالة ، والمالية ، والتعليم ، والاشراف، والشعب ، والملك، والسياسة الداخلية ، والسياسة الخارجية !٠٠ واذا تذكرنا ان « ريشيليو » هو الذى جعل من عهد لويس الثالث عشر عهدا ذهبيا لفرنسا ، بحيث أخر قيام الثورة الفرنسية قرنا ونصف قرن !٠٠ اذا تذكرنا هذا ، استطعنا ان ندرك قيمة « ريشيليو » ومكانته من التاريخ !

أما ان « ريشيليو » كان - كما يرى البعض - من الساسة الانتهازيين ، الذين يناصرون الظلم فى سبيل مجد وثراء زائفين ، ومن ثم استحق كراهية الفرنسيين ٠٠ أو انه كان وطنيا لا يحفل بغير مصلحة فرنسا ، ويرى مع « مكيافيللى » ان الغاية تبرر الواسطة ٠٠ فهذا ما أدعوك الى أن تدرسه معى خلال سيرة ذلك الداهية ، التى أقدمها لك فيما يلى ، وخلال وصيته التى تعقب هذه السيرة :

أسقف ٠٠ رغم أنفه !

◆ **ثمانى عشرة** سنة قضتها فرنسا وهى تتطلع فى خوف واعجاب ، وفى توجس ورجاء ، الى راهب كان حفيف مسوحه فى ابهاء قصرى « اللوفر » و « سان جرمين » يثير ان الحقد والرهبة فى قلوب ملكة فرنسا وأشرافها الاقطاعيين !٠٠راهب استطاع ان يخضع كل سلطان فى فرنسا لسلطان « الملك » - الذى كان قد ظل ردحا من الزمان ألعوبة الوصيفات ورجال الحاشية - وان يرفع فرنسا الى مكان الصدارة بين دول أوربا !

ذلك هـو « ارمان جان دى بليسى دى ريشيليو » ٠٠ أى « الكاردينال ريشيليو » كما عرفه التاريخ !

ولقد ولد هذا الرجل لاسرة عريقة فى النبل ـ ولكنها فقيرة ـ فى (بواتو) ، فى سنة ١٥٨٥ ٠٠ ونشأ فى وسط يمجد الروح العسكرية ، فما ان بلغ التاسعة من عمره ، حتى أرسل الى باريس ليتلقى تربية عسكرية فى أرقى كليات فرنسا اذ ذاك ـ كلية دونافار ـ ثم انتقل الى «أكاديميه بلوفينل » ليتخرج منها جنديا فى حاشية الملك ٠٠ ومن ثم فقد تعلم الرقص الى جانب المبارزة وفنون النزال ، وتفتحت أمامه أبواب الامل ٠ على انه لم يكد يبلغ السابعة عشرة ، حتى بددت أحلامه الفتية رسالة من أمه ـ التى كانت قد ترملت ـ تنبئه فيها بأن أسقفية (ليسون) قد خلت ، وانه قد اختير من بين أخوته ليشغلها ، اذ أنها كانت وقفا على أسرته !

ولم يكن لدى « ريشيليو » أى ميل للمناصب الكنسية ،ومع ذلك فانه كان قد فطر على ان ينصرف بكل نفسه آلى أداء مايدعى آلى أدائه كواجب ، ومن ثم عكف على الدراسات الدينية التى فرضت عليه ، بكل حماسة وتفان ٠٠ **فلم يكد يصل الى سن الثانية والعشرين حتى عين اسقفا لليسون « أفقر وأقذر أبرشيات فرنسا » !٠٠ فأخذ الرجل العسكرى ، الذى ارتدى مسوح الاسقف ، على عاتقه ان يصلح كل شىء فى متناوله ٠٠ فنظم الابرشية ، واستطاع بنفوذ أصدقائه واخوته فى البلاط الملكى ان يخفف من عبء الضرائب الباهظة عن كواهل أهل الابرشية** ٠ فلم يلبث ان اكتسب ـ باصلاحاته وجهوده ـ احترام أولئك القوم وثقتهم ، على اختلاف طبقاتهم

فى مجلس الطبقات ٠٠ والبلاط الملكى !

◆ **على** ان « ريشيليو » كان مشبوب الطموح ، فلما اغتيل الملك هنرى الرابع ـ فى سنة ١٦١٠ ـ وأصبحت « مارى دى

مديتشى » وصية على ابنها الملك الصبى « لويس الثالث عشر » ـ الذى كان فى التاسعة من عمره فى ذلك الوقت ـ وجد الاسقف الشاب ان الفرص تنفسح أمامه ، اذ انتهى عهد استيلاء العسكريين على أزمة الحكم ، ليبدأ عهد رجال الكنيسة وأفراد الحاشية

ومع ان « ريشيليو » ظل فى (بواتو) لايبرحها الى (باريس) الا لماما ، فانه ظل على اتصال بأصدقاء له أخذوا على عاتقهم ان يطلعوه بطريقة مستمرة على أحداث العاصمة ٠ **وما لبث مجلس الطبقات ان تألف فى سنة ١٦١٤ من مندوبين عن رجال الكنيسة والاشراف وكبار الملاك ، وعين « ريشيليو » بين المندوبين الكنسيين ، فعمل جهده على أن يجتذب انتباه « مارى دى مديتشى » ، التى ما لبثت ان بهرت بلباقة الاسقف الذى لم يتجاوز الرابعة والعشرين ، فعينته مشرفا على أموال الصدقات الخاصة بملكة فرنسا المقبلة ، « آن » النمسوية ، زوجة لويس الثالث عشر** ٠٠ وهكذا صار لريشيليو مركز فى البلاط ، فى وقت استفحلت فيه المحسوبية ، فلم تعد أمامه سوى خطوة واحدة ليبلغ أمله ٠٠ فيدخل غمار السياسة !

الكاردينال ٠٠ بين الملك وأمه !

◆ **وكانت** الفوضى والانهيار يسودان فرنسا فى تلك الاثناء ٠٠ كما كانت الملكة الوالدة غبية ، لايفوق حبها للسلطان سوى افتقارها الى المواهب ، فعملت جاهدة على ان تقصى ابنها عن شئون الدولة ، بينما كانت وصيفتها الحدباء « ليونورا » ، وزوجها الاحدب « كونشينى » يحكمان فرنسا ويساعدان على استنزاف خزانة البلاد فى سبيل المصالح الخاصة !٠٠ وكانا زوجين عجيبين : كان « كونشينى » من أصل نبيل ، بينما كانت « ليونورا » ابنة غسالة أرضعت الملكة !٠٠ وكان « ريشيليو » يكره هذا النوع من الحكم ، ولكنه كان السلم

الوحيد الذى يستطيع ان يرقى به الى المكانة التى كان يرجوها، والتى كان يأمل فى ان يخدم عن طريقها بلاده !٠٠ وهكذا لم تنقض شهور على زواج الملك الشاب ، حتى خلع « كونشيني » على « ريشيليو » ـ فى سنة ١٦١٦ ـ منصب وزير الحربية٠٠ وهكذا دخل الاسقف الشاب معمعة السياسة !

وكان الملك الصغير « لويس » قد بلغ السادسة عشرة ، ولم يعد يرتضى ان يكون ملكا بالاسم ٠ وفى احدى الليالى ، سهر مع مدرب صقور الصيد الملكية يتهامسان ، فلما أقبل « كونشيني » فى الصباح على قصر « اللوفر » ، فوجىء بسيل منهمر من الرصاص قضى عليه فى الحال !٠٠ وألقيت «ليونورا» فى غياهب سجن الباستيل الرهيب ، وأقصيت « مارى دى مديتشى » ـ أم الملك ـ الى (بلوا) ، حيث تبعها « ريشيليو » ٠٠ وظل مدرب الصقور « شارل لالبير دو لوين » يحكم فرنسا ولويس من سنة ١٦١٧ الى سنه ١٦٢٤

ولم ين « ريشيليو » خلال تلك السنوات عن خدمة مصالح الملكة بالحيلة والدهاء والخداع، وهو يحرص ـ فى الوقت ذاته ـ على توثيق اتصاله بلوين ، فلما مات هذا ، بادر«ريشيليو» الى اصلاح ذات البين بين الملك وأمه ، فعادت هذه الى البلاط ، وبذلت كل نفوذها حتى فاز «ريشيليو» برتبة «الكاردينال» ٠٠كما أغرت الملك على ان يعينه عضوا فى مجلس وزرائه ، حتى اذا انعقد المجلس فى ٢٩ ابريل سنة ١٦٢٤ ، اتجهت كل



الانظار الى الشاب النحيل ، الذى تقدم فى مسوح قرمزى اللون ، فسار فى برود وترفع أثارا الكراهية والتوجس فى صدور الكثيرين . **وأشار الحاجب - للكاردينال - الى مقعد فى الصف الثالث ، ولكن « ريشيليو » سار فى برود الى المقعد المجاور لرئيس المجلس « الكاردينال دى لاروشفوكو » .. وأبدى الحضور استنكارهم ، ولكن « ريشيليو » رد فى هدوء وثبات ، بأن أى « كاردينال » من رجال الكنيسة يجب ان يتقدم سواه من أعضاء المجلس .. وأفحم المعارضون !..** ولما كان « لاروشفوكو » مسنا ، فقد كان كثير التغيب ، ومن ثم أصبح « ريشيليو » هوالرئيس الفعلى للوزراء .. رغم سخط زملائه !

ريشيليو .. المحارب الداهية !

◆ **ومع** ان لويس الثالث عشر كان يحس نفورا طبيعيا من الكاردينال الذى لم يتجاوز السابعة والثلاثين ، الا انه أدرك ان رجاحة عقله كفيلة بأن تعود على فرنسا بأعظم النفع ،لذلك لم يلبث - بعد عامين - ان حل المجلس ، ثم عين « ريشيليو » رئيسا للوزراء . وبدأ الكاردينال حكمه بأن كرس كل ولائه للملك ولفرنسا ، فرسم لنفسه برنامجا أدى تنفيذه الى كراهية الفرنسيين كلهم لشخصه .. كان أعضاء حزب « الهيجينوت » يقتسمون الدولة مع الملك ، وكان كبار الاشراف يتصرفون وكأنهم ليسوا من الرعية ، وكان حكام الاقاليم يحكمون وكأنهم ملوك .. والمسائل الخارجيه مهملة ، والمصالح الشخصية مقدمة على الصالح العام

ومن ثم كان أول عمل لريشيليو ، ان عمد الى القضاء على نفوذ « الهيجينوت » ، اذ أثار ضدهم حربا لم تكن دينية ، وانما كانت سياسية محضة .. وكان الملك السابق « هنرى الرابع » قد منحهم امتيازات طائفية جعلت لهم جيشا وأسطولا مستقلين،

فضلا عن منحهم مدينتى (لاروشيل) و(مانتوبان) الحصينتين، فأنشأوا دولة داخل الدولة ، وعقدوا محالفات مستقلة مع الدول البروتستانتية . لذلك أعلن « ريشيليو » الحرب عليهم، ورأس بنفسه ـ كقائد عام ـ حصار مدينتهم (لاروشيل) ..
وكانت أطراف المدينة منيعة ، وفى وسع السفن الانجليزية ان تمدها بالنجدة من البحر ، ومن ثم أمر القائد الكاردينال ببناء سد فى البحر طوله حوالى ١٢ كيلو مترا ، لمنع النجدات الانجليزية عن المدينة ، فاستغرق هذا العمل الجبار ستة أشهر
.. ومع ذلك ، فان المدينه ظلت صامدة ، وأثبت عمدة (لاروشيل) انه ند لريشيليو ، فظل « الهيجينوت » عاما بأكمله يحاربون تحت قيادته كلا من جيش الكاردينال ، والجوع !.. بيد ان الجوع العاتى لم يلبث ان أجبرهم على احناء رؤوسهم ، بعد ان فل قواهم . وعندما دخل الملك ورئيس وزرائه المدينة، وجدا شوارعها زاخرة بجثث صرعى الجوع .. ولم يبق من الخمسة عشر ألف مدافع عن (لاروشيل) سوى أربعة وستين فرنسيا ، وتسعين انجليزيا !

يعفو عن « الهيجينوت » .. ويقطع رقاب الاشراف !

• **وهكذا** كسر « ريشيليو » سطوة « الهيجينوت » ، ولكنه شاء ان يعامل أعداءه المهزومين بكرم ، فأصدر عفوا عاما .. عفوا من ملك رحيم ، عن رعايا متمردين ، لا عن خصوم !.. وعفوا جرد « الهيجينوت » من الامتيازات ، فأصبحوا من الرعايا العاديين . وأمعن « ريشيليو » فى التسامح ، فكفل لهم حرية العقيدة والعبادة ! وبهذا أمن الكاردينال جانبهم

على انه كان أقل توفيقا فى تحقيق الشطر الثانى من برنامجه . فقد حارب الاستقلال الذى كان كبار الاشراف الاقطاعيين يدعونه لانفسهم ، فاذا ثورات أمراء الاقطاع ومؤامراتهم تعكر عليه صفوه حتى نهاية حياته !.. وكان قطب

هذه المؤامرات الدائم هو « جاستون دورليان » شقيق الملك ، الذى ظل سنين طويلة الوريث الاوحد للعرش ٠ وكانت الملكة تؤازر الامير ، وتشترك بنفسها فى رسم تفصيلات التآمر !٠٠ فلم يشأ « ريشيليو » أن يبدى رحمة فى هـذا الصدد ، اذ ما لبث ان اعتقـل الاخوين « فاندوم » ، وكانا أخوين غير شرعيين للملك ، كما أعدم الكونت شاليه ، الذى تآمر عليه فى سنة ١٦٢٦

وبهت الاشراف والامراء ، فقد كانوا يخالون انهم فى حصانة لا سبيل الى انتهاكها !٠٠ وازدادت صدمتهم يوم حوكم «دوق مونمورنسى » ـ محـافظ (لانجدوك) ـ لانه حـاول اثارة الاضطراب من أجل « جاستون دورليان » ، الذى كان متحالفا مع أسبانيا سرا ٠ ثم أسر « جاستون » نفسه فى قتال دار فى (كاسلتاندارى) !٠٠ وان هي الا شهور حتى اهتزت فرنسـا بأسرها ، اذ حكم على دوق مونمورنسى ـ أول بارونات المملكة، وزوج ابنة عم الملك ـ بالاعدام ، ثم نفذ الحكم بالفعـل فى (تولوز) !٠٠ وكان هذا التصرف سببا فى ان نعم «ريشيليو» بالطمأنينة لعدة سنوات !

لا رحمة للخائنين والغادرين !

◆ **لكن** الكاردينال الاحمر ـ كمـا اشتهر ـ لم يلبث ان اكتشف مؤامرة أخرى فى سنة ١٦٤٢ ٠ كانت فرنسا يومئذ فى حرب مع أسبانيا،وكان الجيش الفرنسى يحاصر (باربينان) التى كانت فى ذلك الحين مدينـه أسبانية ٠٠ وفى هـذه الظروف ، وقع « سانكمار » ـ وكان من المقربين الاثيرين لدى الملك لويس الثالث عشر ـ معاهدة سرية مع أسبانيا ، محاولا ان يقلب بها حكومة « ريشيليو » ٠٠ ولـكن « ريشيليو » لم تكن تخفى عليه خافية ، فما لبثت الوثيقة ان وقعت فى يده ، بفضل جواسيسه ٠ **وفى ذات صباح رهيب ، أعدم «سانكمار»**

وأحد أصدقائه فى مدينة (تيون) ٠٠ وبكى الملك من أجل صديقه ، وبكى والد « سانكمار » ـ وكان من أصدقاء ريشيليو ـ ولكن قلب الكاردينال الاحمر لم يلن !٠٠ كان قد آلى على نفسه ان لا يرحم أى غادر أو خائن !

وبوحى من هذه القاعدة ، قضى « ريشيليو » على كثير من الاشراف ٠ وهدم قلاع الاقطاعيين واحدة بعد أخرى ، فلم يبق الا على ما كان يقع منها على الحدود ٠ ومضى فى مكافحة الاشراف دون هوادة ، حتى لم يعد فى فرنسا ـ عندما حانت منيته ـ سوى ملك واحد !

يجمع جيشا كبيرا فى أيام !

• على ان الصراع الداخلى لم يله الكاردينال الاحمر عن الخطر النمسوى ، فلم يغفل لحظة عن محاولة الحد من قوة النمسا ٠٠ وظل طوال حكمه منهمكا ـ سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ـ فى حروب الثلاثين عاما ، التى دامت من سنة ١٦١٨ حتى سنة ١٦٤٨ ، والتى امتدت حتى شملت الدول الاوربية الكبرى تباعا ٠ وكان أمراء ألمانيا البروتستانت يحاربون لاسباب دينية ، ومن أجل استقلالهم ، بينما كانت النمسا تحارب لتضم ألمانيا الى امبراطوريتها !٠٠ فعمد « ريشيليو » ـ فى سنى الحرب الاولى ـ الى كسب ود ملكى الدانمرك والسويد ، بالطرق الديبلوماسية والسياسية ٠٠ لكنه ظل يتفادى الاشتراك فى الحرب الى ان مات ملك السويد، والنصر معقود له فى معركة (لوتزن) فى سنه ١٦٣٥ ٠٠ وعندئذ رأى « ريشيليو » ان الفرصة سانحة ، فدخل الحرب!

لكن البداية لم تكن موفقة ، فما لبث النمسويون ان صاروا على بعد بضعة فراسخ من (باريس) !٠٠ **واذ ذاك ثارت النخوة العسكرية فى صدر الكاردينال ، فحشد جيشا كبيرا فى بضعة أيام ، وسار مع الملك على رأسه ، فانقلب ميزان**

الحرب ، وتقهقرت الجيوش الغازية !٠٠ و هب أمير «فيمار» الالمانى « برنار » ـ حليف ريشيليو ـ فاحتل الألزاس ، كما انتصرت ايطاليا على النمسويين فى عدة معارك ٠٠ وفازت فرنسا بمقاطعتين.

وكانت رحى الحرب لاتزال دائرة ، عندما مات «ريشيليو» ٠٠ ولكنه فارق الحياة قرير العين ، وقد اطمأن الى النصر !

الملك يكرهه ٠٠ ويدافع عنه !

◆ **ولكن** خلف كواليس التاريخ ، وطيلة السنوات الثمانى عشرة التى قضاها ريشيليو فى رياسة الوزارة ، كانت تجرى قصة أخرى ٠٠ مأساة رجلين معلولين : ملك ، ورئيس وزرائه ٠٠ فلقد كان « لويس » و « ريشيليو » ضعيفى البنية ، عرضة للامراض ، علاوة على ان الصداقة والحب كانا معدومين بينهما ٠٠ ومع ذلك فقد ظلا يحاربان معا ، جنبا الى جنب ،فى الداخل والخارج !٠٠ أفتراهما كانا يتحالفان من أجل الابقاء على نفوذهما ، أم ان تحالفهما كان خالصا من أجل فرنسا ؟٠٠ لا أحد يستطيع ان يجزم برأى فى هذا الصدد !

وكم من مرة واجه « ريشيليو » الدمار ٠٠ ولقد برح المرض بلويس مرة ـ فى سنة ١٦٣٠ ـ حتى قيل انه كان يحتضر ، فظل « ريشيليو » فى كامل عدته ، يذرع أرض قصره ،وينتظر نبأ وفاة الملك ، ليبادر الى الفرار من فرنسا !٠٠ فلقد كان يدرك ان بينه وبين « جاستون » ـوارث التاج ـ ثأرا وأى ثأر!

وتعرض « ريشيليو » فى نفس ذلك العام لازمة أخرى ٠٠ أزمة سجلها التاريخ كمهزلة !٠٠ فقد تحالفت « مارى دى مديتشى » وزوجة ابنها « آن » النمسوية ، وراحتا تطالبان بخلع « ريشيليو » ، ولكن لويس أخذ يستمهلهما الى أن تنتهى الحرب مع أسبانيا ٠ فلما تناهت اليهما أنباء معاهدة (ريجنسبورج) ، ألحت « مارى » على ابنها كى يبر بوعده ٠٠



فوافاها الملك فى جناحها الخاص بقصر لوكسمبورج ، ولكنهـــا ما لبثت ان فوجئت بريشيليو يدخـــل من باب جانبى ، دون استئذان .. وما ان آفاقت الملكة الوالدة من ذهولهـــا لجرأة الكاردينال ، حتى انهالت عليه بالسباب فى حضرة الملك !

وانصرف « ريشيليو » وهو موقن من انه قد ضيع كل شىء، سيما وان الملك أبدى شيئا من التداعى لأمه ، فعين « ماریاك » – وكان من أكثر المقربين حظوة لديها – قائدا للجيش الفرنسى فى ايطاليا . **وجلست الملكتان – مارى وآن – فى « اللوفر » تتلقيان التهانىء .. وبعثتا بالرســـل الى العواصم الاوربية ، يحملون أنباء سقوط الوزير العظيم !.. ولكن الملك ما لبث ان التقى فى قصر « فرساى » باثنين من أنصـــار « ريشيليو » ، وأنصت اليهما . وفى غمرة الفرح الذى ســـاد « اللوفر » ، وصل رسول يقول ان الملك استقبل « ريشيليو » ، وحزم أمره على ان يدافع عنه ضد مناوئيه جميعا !.. ولم يحن صباح اليوم التالى ، حتى كان أعداء « ريشيليو » بين سجين ومنفى، وعادت الملكتان تخشيان « الكاردينال الاحمر » وترهبانه !**

ليس له أعداء .. الا أعداء الدولة !

. ولم يكن « ريشيليـــو » يقضى كل وقتـــه فى تصريف شئون الدولة ، فكان ينصرف فى أوقات فراغه الى معالجة الأدب والتأليف .. واستطاع ان يثبت انه يجيد السيطرة على القلم،

كما كان يجيد امتشاق السيف . وفوق هذا فانه يعتبر من طلائع « الصحفيين » الفرنسيين ، اذ كان يساهم فى تحرير صحيفة « الجازيت » ، التى كانت أول صحيفة أسبوعية فى فرنسا .. وقد بسط رعايته على الادباء - لاسيما المؤلف المسرحى « كورنى » - وأنشأ الاكاديمية الفرنسية

وفى نوفمبر سنة ١٦٤٢ ، انهار جسده الضعيف تحت وطأة المهام الجسيمة التى اضطلع بها فى حياته ، فرقد على فراش الموت ، وقد اطمأن الى أنه أدى رسالته ، وأتم البرنامج الذى رسمه لنفسه عندما اختاره الملك على رأس وزرائه : قضى على نفوذ الهيجينوت .. و حد من تدخل الملكة فى شئون الحكم .. وأودى بسلطان الاشراف .. وكسر شوكة النمسا ووطد التوازن بين الدول فى أوربا .. الخ . ولم يكن ثمة مناص من ان يتعرض فى سبيل هذه الغايات للكراهية والحقد ، ولكنه لم يسمح للعواطف قط بأن تحيد به عن أهدافه .. كان رجلا كبير العقل ، مجردا من العاطفة .. وكان من رجال الدين ولكنه لم يسمح للكنيسة مطلقا بأن تتدخل فى شئون الحكم الدنيوى .. **وفيما كان يحتضر ، سئل هل يطلب الصفح من أعدائه ، فلم ينس فى لحظاته الاخيرة ان يقول : « أعدائى ؟! .. ليس لى أعداء سوى أولئك الذين يعادون الدولة ! »**

وفى ٣ ديسمبر ، زاره الملك للمرة الاخيرة .. ولم يغفل الكاردينال - قبل ان يفقد وعيه - ان يثبت انه كان وفيا لواجباته حتى النهاية ، اذ قال للملك : « مولاى .. لقد دربت وزيرا جديدا ليكون فى خدمة جلالتكم .. اننى أرشح مازاران » ! .. وغادره لويس وعيناه مغرورقتان بالدموع .. فقد كان يقدر خدمات الكاردينال - الذى لم يبق بينه وبين الموت سوى لحظات - رغم ان أحدهما لم يكن يحب الآخر أو يطمئن اليه !

أما وقد استعرضنا سيرة «الكاردينال الاحمر» ، فتعال نقرأ وصيتــه التى ظلت دستورا لسياسـة الحكم فى فرنسـا فترة طويلة من الزمان ، والتى كانت سببا فى تأخير قيام الثورة الفرنسـية قرنا ونصف قرن ٠ وهى موجهـة ـ فى الاصـل ـ الى الملك لويس الثالث عشر

الجرأة ٠٠ مقياس للكفاءة !

◆ **فى** الوقت الذى اتخـذتمونى فيـه وزيرا لجـلالتكم ، وعهدتم الى بتصريف الشئون العامة ، كان حزب « الهيجينوت» ـ والحق أقول ـ يتقاسـم حكم الدولة مع جـلالتكم ، فاذا الاسرات الكبيرة تتصرف وكأنما ليس لها حاكم أعلى ، واذا حكام الاقاليم يتصرفون وكأنهم حكام مطلقون ٠ واتخذ كل انسان جرأته مقياسا لكفاءته ، ومن ثم كان أكثرهم تظاهرا وادعاء ، يعتبر أحكمهم وأعقلهم ، وكثيرا ماتبين أنه كان أكثرهم حظا كذلك ؟

كانت صداقة فرنسا موضع ازدراء فى الخـارج ، وكانت المصالح الخاصة مقدمة على المصالح العامة فى الداخـل !٠٠ وتداعت كرامة العرش الى حد كبير ـ نتيجة اخطاء من سبقونى ـ حتى أنها لم تعد موضع اعتراف تقريبا !٠٠ وكان استمرار بقاء زمام الدولة فى أيديهم كفيلا بأن يفضى الى نكبة لا سبيل الى اصلاح آثارها ٠ ومع ذلك ، فان أى تغيير أسرع وأكبر مما ينبغى ، كان ـ من ناحية أخرى ـ خليقا بأن يحمل فى طياته الاخطار ٠٠ وكان أعقـل الناس يرون انه يكاد يـكون من المستحيل ان نجتاز تلك الظروف العصـيبة دون ان ترتطم سفينة الدولة بالصخور والاحجار ، حتى لقد تكهن الكثيرون بسقوطى ، قبل آن ترفعونى جلالتكم الى الحكم !

العلاقة بين الملك وأمه !

• **ومع** ذلك ، فان درايتي بما فى وسع الملوك ان يفعلوه ، اذا ما أحسنوا استغلال سلطانهم ، جعلتنى أبشر جلالتكم بأن حكمتكم وحزمكم لن يلبثا ـ ببركة الله ـ ان يمنحا هذه المملكة عافية جديدة !

أما من جانبى ، فقد وعدت بأن أكرس كل جهودى ، وكل ماقد يخلع على من نفوذ وسلطة ، للقضاء على حزب «الهيجينوت» ، وكسر حدة الزهو المستفحل فى نفوس عليه القوم ، ورد كل [illegible] جدير به من سمعة بين الامم الاجنبية • وفى سـبيل هذا ، سألت جلالتكم ثقة مطلقة ، وأكدت لكم ان سياستى ستكون على النقيض تماما من سياسة أسلافى ، بمعنى اننى بدلا من ان أقصى الملكة ـ والدتكم ـ عن شئونكم ، رأيت ان أوثق الروابط بينكما ، لما فى ذلك من النفع الكبير والرفعة للمملكة • وان النجاح الذى أعقب الجهود الطيبة التى شاء الله ان يمكننى من بذلها لادارة شئون هذه الدولة ، لقمين بأن يبرر للاجيال المقبلة مدى الدأب الذى واصلت به هذه الخطة •• أعنى ان الصلة القائمة بين جلالتيكما بحكم الطبيعة ، تصبح مكتملة أيضا بحكم ماتنعمان به من مجد • فاذا قدر لهذا الهدف ـ بعد سنوات عديدة ـ ان يخذل بمكر أعدائكم ، فسيكون عزائى ان أتذكر القول الذى طالما صدر من جلالتكم ، من انه عندما كنت أبذل قصارى وسعى لرفعة الملكة ـ والدتكم ـ كانت هى تتآمر على خرابى !

التعليم يسبب كثيرا من المتاعب !

• **ان** المعرفة من أعظم مايزين الدول ، ومن ثم فان تنميتها ضرورية للأمة • **على ان من المؤكد انها يجب الا تلقن لكل امرىء دون تمييز •• فالامة التى يباح العلم لكل فرد من رعاياها ،**

تشبه الوحش العملاق الذى أوتى عيونا فى كل جزء من جسده .. اذ لن يلبث الزهو والادعاء ان يتفشيا فيها ، بينما تتلاشى الطاعة تقريبا !.. ثم ان تداول المعرفة دون ماقيود ، يمحو تداول السلع الذى تدين له الدول بثرواتها ، ويدمر الزراعة - وهى الام الحقيقية والمربية للشعوب - ويقضى على مورد الجنود لجيشنا ، وهو مورد يستمدفيضه من الجهل والسذاجة. لا من قوى الثقافة والعلوم !.. ان اباحة التعلم خليقة بأن تملأ فرنسا بأنصاف المتعلمين ، وبعقول لا تملأها سوى القشور ، وبأناس قد يفسدون الاسرات ، ويقضون على الامن العام ، ولكنهم لن يكونوا قط ذوى نفع للدولة !.. وسيتأتى عن ذلك ان يصبح عندنا من القادرين على الشك والظن أكثر ممن لدينا من القادرين على تبديد الشكوك والظنون !.. ومن ذوى الذكاء القادرين على المعارضـــة ، أكثر ممن يقدرون عـلى الدفاع عن الحقيقة !

والواقع اننى كلما رأيت العدد الضخم ممن يتخذون التعليم حرفة ، وحشود الاطفال الذين يتلقون العلم ، أتمثل فى خيالى جموعا لا حصر لها من الضعاف المرضى ، الذين لا يحتاج علاجهم الى أكثر من تناول الماء القراح ، والذين يدفعهم عطش مبرح الى شرب كل مايقدم اليهم ، وان كان معظمه غير نقى ، بل هو فى كثير من الاحيان مسمم .. ومن ثم يزداد عطشهم ويشتد مرضهم !

ان ثمة شرين رئيسيين يترتبان على العدد الكبير من المدارس الثانوية التى تقوم فى كل منطقة : أما أولهما ، فهو عدم توفر الكفاية من المدرسين الاكفاء لتلك المدارس .. وثانيهمـــا ، أن كثيرا من الاطفال الذين لم يؤتوا استعدادا كافيا لتلقى العلم، يقسرون على الدراســـة بضغط من أهلهم . والنتيجـــة - فى الحالين - ان التلاميذ جميعا يغادرون مدارسهم دون ان يحصلوا سوى قشور من العلم : بعضهم لســـوء التدريس ، وبعضهم

لنقص الذكاء الذى يمكنه من استيعاب المزيد !

والعلاج الذى أقترحه هو : **لنقصر فصول المدارس الثانوية. فى جميع المدن التى لا تكون عواصم للاقاليم ، على سنتين أو ثلاث سنوات دراسية ، تكفى لأن ترفع الفتيان من وهدة الجهل المزرى ، الى الدرجة التى لا يترتب عليها اضرار حتى بأولئك الذين يوجهون للخدمة العسكرية أو للتجارة . ذلك لان سنتين أو ثلاثا ستغدو كافية للكشف عن استعدادات الاطفال ومواهبهم ، قبل ان يتقرر توجيههم الى أية وجهة خاصة فى الحياة . أما الاطفال الذين يظهرون اذ ذاك استعدادا أكثر مما لدى سواهم ، فانهم يوفدون الى المدارس الثانوية فى عواصم الاقاليم ، حيث يكون استعدادهم للنجاح أفضل ، اذ تكون لديهم - فى هذه الحال - عقول مهيأة للتربية ، فيتولى صقلها خير الاساتذة**

وأخيرا ، لنحرص على ان لا تؤول كل المدارس الثانوية والعليا الى نفس الايدى التى تسيطر عليها الآن .. فان الجامعات من ناحية ، و « الجيزويت » من ناحية أخرى ، يتجهون الى احتكار التعليم ، فلندع تنافس الفريقين يضاعف من ميزاتهما وكفاءتهما ، ولكن لا ينبغى ان نحرم أيا منهما من تعليم النشء ، ولا ان نمكن أيا منهما من الاحتكار !

الطبقة الاقطاعية عماد كل ملكية !

◆ **تعتبر** طبقة النبلاء من الشرايين الرئيسية فى الامة ، ومن الممكن ان تساهم فى تعزيز وحدتها وسلطانها ، ولكن أقدارها انحطت منذ وقت مضى ، على أيدى عدد كبير من رجال الدولة الرسميين الذين رفعهم نكد الطالع فى عصرنا الى مناصب النبل ، ودفعهم الى الحقد على أبناء هذه الطبقة . لذلك فمن الواجب معاضدة تلك الطبقة ضد مشروعات هؤلاء القوم الذين أوتوا من المال والنفوذ ما تغلبوا به على النبلاء الذين لا ثروة لهم سوى شجاعتهم !.. على انه اذا كان لابد من حماية النبلاء

من مضطهديهم ، فكذلك نرى من الواجب ان يكبحوا بدورهم عن اضطهاد من هم أدنى منهم ٠ ان العدالة غير المتحيزة يجب أن تنشر الامان لاضعف مخلوق من رعاياكم ، فى ظل من قوانينكم !

على أن النبلاء الذين لا يخدمون الدولة ، يكونون عبئا عليها ٠٠ ولست أتردد فى القول بأن أولئك الذين انحطوا منهم ، فتخلوا عن فضائل آبائهم ، وأصبحوا يتفادون خدمة التاج بسيوفهم وأرواحهم ، يستحقون ان يجردوا من مراتب الشرف والميزات التي ورثوها ٠٠ وان يخفضوا بحيث يشاركون الشعب فى تحمل الاعباء

« الترميم » خير من الهدم واعادة البناء !

◆ **ان** تعرف وجوه النقص فى العدالة أيسر وأسهل من وصف العلاج لها ٠ فمن المؤكد ان هذه الوجوه بلغت من السوء درجة ما بعدها من تفاقم ، ومع ذلك فانى أعرف ان جلالتكم ترغبون فى ان يبلغ القضاء من النزاهة والنقاء أقصى ماتستطيع شوائب البشر ومفاسدهم ان تسمح به !٠٠ والعلاج الاسمى – فى رأى الغالبية العظمى من الناس – يتألف من قمع الرشوة، والغاء مبدأ توارث المناصب القضائية ، ومنح هذه المناصب – دون ما مقابل – لرجال عرفوا بالنزاهة والكفاءة الى الدرجة التى لايمكن معها لشىء ، حتى الحسد والغيرة ، ان يتغلب على جدارتهم !٠٠ على ان تحقيق هذا الحلم مستحيل ، فمن العبث اذن اقتراح الوسائل اليه ٠٠ وانى لاجرؤ على القول بأن من الخير – فى الاوضاع الراهنة ، وفى أية أحوال أخرى يمكن التكهن بها – ان نتحمل الرشوة وتوارث مناصب القضاء ،على أن نقلب النظام القضائى رأسا على عقب !٠٠ **حقيقة ان المساوىء الحالية كبيرة ، ولكنى أعتقد ان اقامة نظام يكون فيه التعيين**

للمناصب القضائية من لدن الملك ، قد يؤدى الى مساوىء أشد ٠٠ اذ يجعل توزيع هذه المناصب متوقفا على رضاء الحاشية ودسائسها !٠٠ وان المهندس الذى تمكنه براعته من ان يصلح نواحى الضعف فى مبنى قديم ، ويقوم ما اعوج من هذا المبنى بحيث يصل به الى شىء من الاعتدال دون ان يهدمه ، ليستحق من الاطراء أكثر مما يستحقه الشخص الذى يبادر الى الهدم ليقيم مبنى جديدا من أوله الى آخره ٠ وهكذا ، من العسير ان تغير النظام الراسخ ، دون ان تغير قلوب أصحابه !

رجال المالية طبقة ثقيلة العبء !

● **ويؤلف** رجال المالية فى الحكومة ، طبقة ثقيلة العبء على الدولة ، ولكنها ضرورية لها ، وليس لنا سوى ان نأمل الحد من نفوذ أفرادها الى الحدود المعقولة ٠ ان حريتهم وتماديهم لا يحتملان ، ومن المستحيل ان يمضوا فى زيادة ثرواتهم ونفوذهم دون ان يقضوا على الدولة بالافلاس ٠ ولست أنصح بمصادرة مقتنياتهم ـ وان كان من السهل اثبات اقبالهم على تكديس الثروات ، بالمقارنة بين ماكانوا يمتلكون عندما تولوا مناصبهم ، وما يملكونه حاليا ـ لان الذهب الذى جمعوه لانفسهم قد مهد لهم أسباب التحالف مع العائلات العريقة !٠٠ ومن ثم فليس بوسعى ان أنصح ـ فيما يتعلق بهم ـ بأكثر من تخفيض عددهم بدرجة كبيرة ٠٠ وهو اصلاح سهل التنفيذ ، يجب ان يعقبه فى المستقبل عدم تعيين أحد ما لم يكن له من الشخصية والخلق والمركز مايؤهله لحمل هذه المسئولية

الرفاهية المغالى فيها ٠٠ وهل تفسد الشعب ؟!

● **يجمع** الساسة كلهم على أنه اذا عاش أفراد الشعب فى رفاهية بالغة ، فان كبحهم في حدود واجباتهم يغدو من المستحيلات ٠٠ ذلك لان معرفتهم وثقافتهم تكونان عادة أقل

من نصيب غيرهم من الطبقات فى الدولة ، ومن ثم فانهم لا يتبعون بسهولة ما قد يكون هناك من قواعد يمليها العقل والقانون ، ما لم يضطروا الى ذلك تحت ضروزة معينة !

ولا يتيح لنا العقل ان نعفيهم من كل ضريبة ، خشية ان ينسوا وضعهم الشرعى ، اذا مافقدوا رمز تبعيتهم وخضوعهم ٠٠ وان يظنوا ، حين يتحررون من كل جزية ، انهم يتحررون أيضا من الطاعة ! ٠٠ **ان البغال التى اعتادت حمل الاثقال تتعذب بالراحة الطويلة أكثر مما تتألم من العمل ٠٠ على انه يجب ـ من ناحية أخرى ـ ان يكون عملها معتدلا ، وان تكون أحمالها متناسبة مع قوتها** ٠ وكذلك شأن الضرائب مع الشعب ٠٠ فالجزية التي يتقاضاها الملوك من شعوبهم ترتد الى الشعوب ثانية ، ممثلة فى استمتاع أفرادها بالسلام ،وفيما يبسط على أرواحهم وممتلكاتهم من أمن ٠ وانى لاعرف أمراء (حكاما) فقدوا ممالكهم ورعاياهم لانهم تركوا سلطانهم وقواهم تتداعى بالخوف من فرض الضرائب ٠٠ كما ان شعوبا سقطت قبل اليوم فاستعبدها أعداؤها ، بسبب رغبتها فى قسط من الحرية أكثر مما يلزم لها !

العقل ٠٠ والحكومة !

◆ **خليق** بالانسان ان لا يفعل شيئا الا بواعز من العقل ، والا كانت تصرفاته مناقضة للطبيعة ، وبالتالى لخالق الطبيعة ٠ وكلما كان الرجل عظيما ، وكلما سما منصبه ، ازداد تقيدا باتباع قواعد العقل ٠ فاذا كان ملكا ، جعل الحكم للعقل ،أى ان واجبه يقتضيه ان يجعل أولئك الخاضعين لسلطانه يوقرون العقل ويطيعونه ، عن عقيدة ٠ والحب هو أكثر الحوافز على الطاعة جدوى ومفعولا ، ومن المستحيل ان لا يحب الرعايا أميرهم أو حاكمهم ، اذا عرفوا ان العقل هو نبراسه فى كل أعماله

واذا كان لابد للعقـل من ان يكون مرشـد الحكام ، فمن الواجب ان لا يسمح للعاطفة بأى تأثير على تصرفاتهم ٠٠ ذلك لان العاطفة لا تملك سوى ان تعميهم ، فيتقبلوا الظل على انه الاصل !

٠٠ ان الحكم يتطلب رجـولة فاضلة ، وحزما لا يلين ، لان اللين يعرض أصحابه لما يريده بهم أعداؤهم ٠ ولهذا السبب ، وبغض النظر عن حالات استثنائية ، نجد ان العاطفـة واللين جعلا النساء غير صالحات للحكم !

المصالح العامة ٠٠ أولا !

• **وخليق** بالمصلحة العامة ان تكون الغاية الوحيدة للملك ووزرائه ، أو على الاقل ان تتقدم على كل مصلحة خاصة ٠ومن العسير تقدير ما يحققه الحاكم ووزراؤه من خير ، اذا ما اتبعوا هذا المبدأ بايمان ٠٠ كما ان من المتعذر تقدير النكبات التى تحيق بالدولة التى تخضع مصالحها العامة للاهواء الخاصة !

ومن السهل على الحكام ان يقروا اللوائح العـامة للدولة ، لان هذه اللوائح لا توضع الا على هدى العقل والعدالة ٠٠فاذا ما سنحت الفرص لتنفيذ هذه اللوائح ، فاننا نجد ان الحكام لا يظهرون الحزم الكافى للتقيد بالعقل والعدالة ، اذ انمصالح الطوائف والاقليات تضغط عليهم ، كما ان العطف ، والرثاء ، والايثار ، والالحاح ، لا تلبث ان تجعلهم يحيدون عن خططهم ٠٠ سيما وانهم لايجدون من القوة مايمكنهم ــفى كل الاحوالــ من قهر أنفسهم ، ونبذ الاعتبـارات الطائفيـة التى يجب ان لا يكون لها حساب فى جميع شئون الدولة ٠ وفى مثل هـذه الحالات ، يجب عـلى الحكام ان يحشدوا كل قواهم لمقـاومة ضعف نفوسهم ، وان يتذكروا ان الله أقامهم فى مناصـبهم لرعاية الصالح العام

كنز القلوب خير وأبقى من كنز الجيوب !

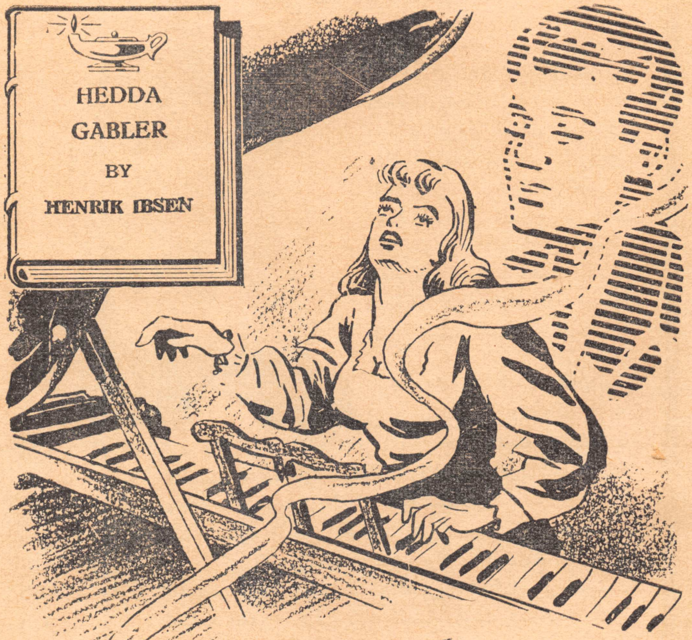
• **والقوة من أهم الضرورات لعظمة الملوك ولسعادة شعوبهم، ومن ثم فواجب كل من له شأن بسياسة الدولة ان لا يرتكب ما قد يضعف من نفوذ رئيسه الاعلى ، ومن كرامته ، فى أنظار العالم . وكما ان الخير هو غاية الحب ، فكذلك القوة هى سبب الخوف . والخوف الذى ينشأ عن تقدير وتوقير ، يجعل من صالح كل فرد من الرعية ان يصدر فى تصرفاته عن ولاء لرئيس الدولة ، كما يردع الاجانب عن محاولة المساس بالحاكم** .. واذا لم يقم نفوذ الحاكم على التقدير والتوقير ، فانه يغدو بالغ الخطورة .. فالحكام لا يكونون فى خطر قدر الخطر الذى يتعرضون له اذا ما كانوا هدفا للكراهية أو السخط ، بدلا من أن يكونوا موضع رهبة معقولة !

والنفوذ الذى يتمتع به الحاكم .والذى يكفل له ان يكون مهابا ، عن تقدير وحب ، يتضمن عدة عناصر مختلفة من القوة والسلطان . فهو شجرة ذات فروع عديدة تستمد غذاءها من أصل واحد ، مشترك . **فلابد للامير أو الحاكم من ان يكون قويا بسمعته ، وبعدد مناسب من الجند يكون دائما تحت أمرته ، وبقدر ملموس من الذهب فى خزائنه ، معدا للمناسبات التى تحدث على غير ارتقاب .. ثم - أخيرا - بسيطرته على قلوب شعبه** .. واذا وجهت الموارد المالية وفقا للمبادىء التى أوردتها من قبل ، فسوف يجد الشعب راحة تامة ، وسوف يرسى الامير نفوذه على أسس من امتلاك قلوب رعاياه ، اذ يعرفون انهم موضع رعايته ، فتقودهم مصالحهم الى حبه . ولقد كان ملوك الازمان السالفة يقدرون هذا الاساس من أسس الملك أسمى تقدير ، ويعتزون به .. **ومع ان كنز القلوب قد لا يكون اليوم كافيا لرفع سلطان الملوك ، الا ان من المؤكد ان كنز الذهب لا يكاد يكون ذا قيمة تذكر بغيره .. أى ان ثروة**

الملك والحكومة تكون غيرذات قيمة بدون ولاء الشعب ومحبته!

وختاما : لما كان الحكام مضطرين الى أن يؤدوا من الاعمال فوق ما يؤدون فى حيـــاتهم الخاصة ، وفى حدود كفـاءتهم الخاصة،فانهم يكونون أكثر تعرضا للمؤاخذة ، عما «يتهاونون» فيه ، من الافراد العاديين عما يرتكبونه فعلا من أخطاء ايجابية. وهم – كبشر – معرضون لكل ما يتعرض له البشر من زلات. أما وهم يحملون أعباء رعاية الصالح العام ، فانهم لايملكون التهاون فى هـذه الاعباء دون أن يكون فى هـــذا التهاون اثم وخطيئة . فاذا أهمل الحكام بذل قصـــارى وسعهـم فى حكم مختلف الطوائف فى الدولة ، وإذا هم تهاونوا فى اختيار خير الناصحين لاستشارتهم، أو اذا هم استهانوا بأعوانهم الرسميين (الوزراء) ، وأخفقوا فى أن يجعلوا من أنفسهم مثلا وقدوة ، وتكاسلوا عن اقرار العدالة ، وفشلوا في حماية البرىء ، وفى مكافأة العاملين فى ميادين الخدمة العامة ، وفى عقاب المذنب والمتمرد .. وإذا هم أغفلوا بعد النظر والاستعداد للمحن التى قد تطرأ ، أو لتفادى العواصف التى قد تخيم على الافق .. واذا كانت المحاباة – وليست الجدارة – رائدهم فى اختيــار وزرائهم وأعوانهم فى مناصب الدولة العليـــا .. واذا هم لم يدعموا بنيان الدولة لتحتل المركز اللائق بها ، وبالقوة اللائقة بها .. واذا هم لم يؤثروا المصالح العامة على المصالح الخاصة فى كل المناسبات ..

.. اذا لم يفعلوا هذا ، فانهم يرتكبون ذنبا أشد وأبشـع من ذنب الذين ينتهكون أوامـر الله وقوانينـه ، مهما يكونوا مستقيمين فى حياتهم !



قصة تمثيلية كبرى

الهاربة.. من الفضيحة!

(هيدا جابلر)



لعميد المسرح النرويجي

هنريك إبسن

ابسن .. فى ذكراه الخمسينية



• فى ٢٨ مايو الماضى ، احتفلت المحافل الادبية فى العالم بذكرى مرور نصف قرن على وفاة الكاتب المسرحى النرويجى ، بل العالمى : « هنريك ابسن » ، أحد أساطين المسرح فى العصر الحديث .. ولهذه المناسبة ، أقدم لك فيما يلى هذه المسرحية الشائقة من مسرحياته المشهورة التى كتبت لاسمه الخلود .

وقد ولد «هنريك جوهان ابسن» فى (سكيين) بالنرويج فى ٣٠ مارس عام ١٨٢٨ ، وكان أبوه تاجرا ثريا من تجار المدينة . فلما بلغ الصبى الثامنة ، أفلست تجارة أبيه ، فعاشت الاسرة منذ ذلك الحين فى فقر مدقع ، ترك آثاره فى مدارك الغلام طيلة شبابه

وفى سن الخامسة عشرة التحق بالعمل فى صيدلية ، حيث بدأ يتتلمذ على الصيدلى ، لكن العمل لم يرض ميوله ، فوضع همه فى المطالعة وقرض الشعر ! وفى الثانية والعشرين انتقل الى مدينة (كريستيانيا) ليطلب العلم . وفى ذلك العام مثلت مسرحيته الاولى الوطنية « كاتالين » . وفى العام التالى عين فى أحد مسارح مدينة (برجن) - كمخرج ، ومؤلف ، ومدير فنى ، ومصمم مناظر فى وقت واحد ! - فكتب للمسرح فى الثلاثة عشر عاما التالية عددا من الروايات ذات الموضوعات القومية والوطنية . وفى عام ١٨٦٤ غادر وطنه ليعيش السبعة والعشرين عاما التالية متنقلا بين روما وميونيخ ودرسدن . وفى تلك الحقبة كتب مسرحياته الاجتماعية التى خلدت اسمه ، وأهمها : بيت الدمية ، الاشباح ، أعمدة المجتمع ، عدو الشعب ، البطة المتوحشة ، سيدة من البحر ، البناء الاعظم ، و « هيدا جابلر » - التى تقرأها فيما يلى - وتسيطر على هذه المسرحيات جميعا فكرتان : الاولى أن أهم شىء فى الحياة هو تدعيم الشخصية الفردية .. والفكرة الثانية ان أفجع شىء فى الحياة هو انكار الحب !

وفى عام ١٨٩١ عاد «ابسن» الى النرويج ، حيث قضى أعوامه الخمسة عشر الاخيرة . وقبيل وفاته أصيب بانهيار - جسمانى وعقلى - كامل ، جعله يعتزل الناس جميعا ، بما فيهم اسرته !

- ١ -

• « هيدا جابلر » هي مأساة امرأة تستبد بهـا غرائزها القوية ، ولكن تنقصها الشجـاعة !٠٠ امرأة يدفعهـا فضـول مشئوم الى أن ترقص على شفا تجارب تخاف أن تلقى بنفسهافى خضمها !٠٠ ونتيجة لهذه الشخصية غير المتـوازنة ، تجـد التعسة نفسها قد تورطت بالتدريج فى « شبكة عنكبوت » من الظروف الأليمة ، تعجز عن تخليص نفسها منها !٠٠ انها تظل زمنا تجاهد للنجاة بنفسها ، لكن قواها تخور فى النهاية ٠٠ فيسحقها قدرها !

وحين ترفع الستار ، نرى « هيدا » قد عادت لتوها من رحلة شهر العسل مع زوجها « جورج تيسمان » ، الرجل ذى الموهبة العلمية ، والشخصية غير المحبوبة !٠٠ ونرى العمة «جوليانا» ـ عمة العريس ـ منهمكة مع الخادم فى تزيين دار العروسـين بالزهور ، ونعلم من حديثهما معا ان العمة قد تركت أختهـا المريضة وجاءت لتشرف على تنظيف الدار واعدادها لاستقبـال العروسين ٠٠ الدار التى اشترتها لهما فى غيبتهما ، واضطرت لرهن معاشها الخاص كى تدبر ثمنها !٠٠ **ورغم ان « الفيللا » أكثر اتساعا وأبهظ نفقات من أن تناسب موارد العروسـين ، فقد كان لابد منها لسكنى « ابنة الجنرال جابلر » ، التى عاشت حياة مترفة للغاية فى بيت أبيها ، قبل أن تتزوج ! »**

الصباح جميل مشرق الشمس ٠٠ ويدخل الزوج ـ جورج تيسمان ـ الى حجرة الاستقبال وهو « يدندن » بنغـم مرح ٠ انه يقبل مستبشرا على حياة جديدة من البحث العلمى والاستقرار البيتى ٠٠ وتقول له العمة جوليانا فى لهجة من تغبطه : « من كان يظن ياجورج أن تكون انت الفائز بهيدا جابلر !٠٠ وهى التى كان يتزاحم عليها المعجبون ! »

تيسمان : نعم ، يخيل الى ان كثيرين من أصدقائى الاعزاء

فى المدينة يتمنون لو كانوا مكانى !

العمة : انك قد ظفرت بالزوجة التى كان يتمناها قلبك ياعزيزى جورج

وفى هذه اللحظة تدخل الحجرة « الزوجة التى كان يتمناها قلبه » ،فتستدير لزوجها قائلة فى برود : « تيسمان ، لقد ترك الخادم فيضانا من اشعة الشمس يغمر الحجرة ، فهلا أسدلت الستائر ؟ ان ذلك يجعل الضوء خافتا مريحا »

ولا تقوى العمة جوليانا على احتمال هذا البرود المفاجىء الذى شاع فى جو الاسرة ، فتضع قبعتها على رأسها وتتأهب للانصراف .. الى منزلها الخاص . لكنها ـ وقد أوتيت قلبا طيبا محبا للخير ـ لاتنصرف قبل ان تمنح العروسين بركتها : « ان هيدا فاتنة ، فاتنة .. فليحفظها الله لجورج تيسمان »

وتغادر العمة البيت ، **وعندئذ تدخل المأساة من الباب فى صورة السيدة « تيا ايلفستيد » ، الزوجة الشابة للشريف ـ أو العمدة ـ « ايلفستيد » المتقدم فى السن ، الذى يعيش مع زوجته فى الاقاليم** . وقد جاءت الزوجة الى العاصمة لتطلب من اسرة تيسمان صنيعا غريبا ، تمهد لشرحه بالقول ان المدعو « ايليرت لوفبورج » قد عاد !

هيدا : لوفبورج !

مسز ايلفستيد : نعم ، ولقد انقضى على حضوره اسبوع كامل .. تصورى ! اسبوع بأكمله فى هذه المدينة الفظيعة ، بمفرده .. مع كل المغريات التى تحيط به من كل جانب !

هيدا : ولكن ياعزيزتى مسز ايلفستيد ، لماذا تبدين كل هذا الاهتمام بلوفبورج ؟

مسز ايلفستيد : لقد كان معلم الاطفال ـ اطفال زوجى من زوجته الاولى ، فليس لى أولاد كما تعلمين

ثم تقول لمحدثتها ان «لوفبورج» ، الذى كان عبقريا «بوهيميا» بطبعه ، قد استطاع بفضل تأثيرها وزوجها أن يخلد الى

الاستقرار والعمل ، فوضع كتابا ناجحا عن (الحضـارة) ٠ لكنه الآن قد غادر البلدة التى تعيش فيها أسرة ايلفستيد وعاد الى العاصـمة ٠٠ « **ومن ثم ارجـوك وأتوسـل اليك يامستر تيسمان أن تراقبه مراقبة دقيقة ٠٠ انك ستعدنى بهذا ، أليس كذلك يامستر تيسمان ؟** »

ويعدها ٠٠ بل انه سيكتب توا رسـالة الى « لوفبورج » يدعوه فيها الى زيارته فى بيته الليلة !

مسز ايلفستيد : أوه ، كم هى مكرمة منك ! شـكرا ، شكرا ، شكرا !٠٠ فالواقع ان زوجي مولع به أشد الولع !

ويمضى « تيسمان » الى الغرفة المجاورة ليكتب الرسالة ٠٠ وفى هذه الاثناء تفلح زوجتـه فى ان تنتزع من ضيفتها سرها الخفى : **ان مسز ايلفستيد عاشقة لذلك الشاب « لوفبورج » ٠٠ وان تأثيرها الساحر عليه هو الذى أخذ بيده فمكنه من أن ينبذ أساليب حياته السابقة ويعكف على تأليف كتابه الهام !**

وفيما هيدا « تستجوب » مسز ايلفستيد ، تبـدى اهتماما غير عادى بقصة غرام محدثتها بذلك الشاب ٠٠ ثم تسألها :

هيدا : اذن فقد استرددته ثانية ؟

مسز ايلفستيد : نعم ، هذا مايقوله هو بالحرف الواحد ! حقا ٠ علمني كيف أفكر ، وأفهم أشياء كثيرة

هيدا : انكما فى الواقع صديقان لائقان أحدكما للآخر !

مسز ايلفستيد : عم ، هذا ما يقوله هو بالحرف الواحد !

هيدا : أو لست انت واثقة من حبه ، حتى لو لم يقل ذلك؟

مسز ايلفستيد : ان شبح امرأة أخرى يقف بين «لوفبورج» وبينى !

هيدا (وهى تنظر اليها فى قلق) : ومن تكون ؟

مسز ايلفستيد : لست أدرى

وتسمع خطوات تيسـمان عائدا الى الغـرفة ، بعـد أن فرغ من كتابة الرسالة الى الشاب ، فتهمس هيدا لزائرتها :

هيدا : تذكرى ، كل هذا الحديث يجب ان يظل سرا بينك وبينى !

وفيما تتأهب مسز ايلفستيد لمغادرة الدار ، يقبل القاضى « براك » صديق الاسرة ليدعو جورج تيسمان الى حفلة - للرجال فقط - تقام لمناسبة زواج الاخير من هيدا .. ثم يجرهما الحديث الى الكلام عن شخصية الشاب « لوفبورج » :

براك : أوه ، بهذه المناسبة ، سمعت ياتيسمان ان لوفبورج سوف يكون منافسك للحصول على كرسى الاستاذية بالجامعة؟!

تيسمان : ان هذا لو صح ياعزيزى القاضى براك لينطوى على منتهى الاستخفاف بى وبمستقبلى .. اذ لايخفى عليك اننى رجل متزوج ، والواقع اننا قد تزوجنا - هيدا وأنا - اعتمادا على هذا الامل الذى كان يلوح تحقيقه مرجحا ، بل وتورطنا فى الديون استنادا الى هذا الاساس ، واقترضنا نقودا من العمة جوليانا أيضا .. يا الهى ، انهم كانوا قد وعدونى بهذا المنصب !

براك : على كل حال ، فان من الخير ان تعرف حقيقة الموقف

ثم ينصرف القاضى براك ، فتعود هيدا من توديعه لتقول لزوجها :

هيدا : اذن فلن أستطيع الحصول فى الوقت الحاضر على خادم خاص ذى زى رسمى ، كما كنت آمل ؟

تيسمان : كلا ، لسوء الحظ

هيدا : وجواد الركوب الذى كنت أنوى ابتياعه ، أحسب اننى ينبغى الا أفكر فى أمره الآن ؟!

تيسمان : بحق السماء ، كلا !

هيدا : حسنا ، على الاقل سيبقى لى شىء واحد ألعب به

تيسمان : وما هو ياهيدا ؟

هيدا : مسدساتى ياجورج ، مسدسات أبى الجنرال جابلر

- ٢ -

• **فاذا** كان الفصل الثانى رأينا « هيدا جابلر » تلهو بالمسدسات ٠٠ بينما ذهب زوجها تيسمان ليزور عمته ٠٠ وأقبل القاضى « براك » ليصطحب تيسمان معه الى السهرة التى سيقيمها أصدقاؤه من الرجال ـ فقط ـ احتفالا بزواجه

براك : أود لو كففت ياسيدتى عن اللهو بهذه المسدسات !

هيدا : ولكن ياعزيزى القاضى براك ، انك لا تقدر كم بلغ بى الضجر القاتل ! ٠٠ الضجر من البقاء مدى الحياة فى صحبة شخص واحد ، دون سواه !

براك : حتى اذا كنت تحبين هذا الشخص الواحد ؟

هيدا : أف ٠٠ بربك لا تلفظ هذه الكلمة التى تثير الاشمئزاز !

براك : ولكن افرضى ان شخصا ثالثا ظهر فجأة لينضم الى صحبة الزوجين ؟

هيدا : آه ، ان هذا يكون عزاء مريحا لا شك فيه !

ويقطع عليهما خلوتهما الهادئة وصول الزوج ، الذى يدخل حاملا تحت ابطه وفى جيوبه عددا من الكتب ٠٠ فتتبادل الزوجة والقاضى براك النظرات ذات المعنى ، بينما يقول تيسمان : « انها بعض كتب جديدة فى الموضوع الذى أبحثه . ثم أنظرا ، لقد حصلت أيضا على كتاب « لوفبورج » الجديد ! »

وفى اللحظة التى يشرع فيها الرجلان فى الانصراف الى حفلهما ، يدخل « لوفبورج » ملبيا الدعوة التى تلقاها من الزوج فى رسالته ، فيهنئه الجميع على نشر كتابه الجديد :

تيسمان : لقد ابتعت نسخة منه ، وان لم أجد الوقت لقراءتها بعد

لوفبورج : تستطيع ان توفر على نفسك هذا العناء

تيسمان : لماذا ؟

لوفبورج : لانه كتاب تافه ، يتحدث عن حضارة الماضى • **(يخرج من جيبه مخطوطا)** أما عندما يظهر هـذا الكتاب ياجورج تيسمان ، فسوف يتعين عليك أن تقرأه •• لان هذا هو كتابى الحقيقى • انه يتناول حضارة « المستقبل »

تيسمان : ما أغربه من موضوع !•• ماكنت لافكر فى كتابة شىء من هذا القبيل

هيدا : إعتقد ذلك

لوفبورج (وهو يضع المخطوط عـلى المنضدة ، ملتفتا الى الرجلين) : لقد أحضرته معى آملا ان أستطيع قراءة صفحات منه عليكما الليلة

لكنهما ـ الليلة ـ لايملكان وقتا ينصتان فيه الى المخطوط ، فانهما على وشك ان يخرجا للذهاب الى حفلهما • ويدعو القاضى « براك » الشاب « لوفبورج » لمصاحبتهما ، لكنـه يرفض • وتشجعه هيدا على الرفض :

هيدا : أنا واثقة من ان مستر لوفبورج يؤثر ان يبقى هنا ويتناول العشاء معى

لوفبورج (ينظر اليها) : معك انت يامسز تيسمان ؟

هيدا : ومع مسز ايلفستيد

لوفبورج : آه ، شكرا على الدعوة يامسز تيسمان • سأبقى للعشاء هنا

ويدلف القاضى « براك » و « تيسمان » الى الحجرة المجاورة ليتناولا شرابا فاتحا للشهية قبل ان يذهبا الى الحفلة •وتبقى هيدا ولوفبورج وحدهما :

لوفبورج (فى نعومة وصوت خفيض) : هيدا •• جابلر !

هيدا : صه ؟

لوفبورج : هيدا جابلر قد تزوجت ! ومن جورج تيسمان ؟

هيدا : انها حال الدنيا !

لوفبورج : أوه ، هيدا ، هيدا ٠٠ كيف استطعت ان تلقى بنفسك الى مصير كهذا ؟

هيدا : لا تقل ذلك !

لوفبورج : أجيبينى على سؤال واحد ياهيدا

هيدا : وما هو ؟

لوفبورج : ألم تكن صداقتك القديمة لى تنطوى على حب ؟

هيدا : انى لاتساءل !٠٠ عندما أستعيد ذكراها أشعر بأنه قد كان هناك شيء جميل ، خلاب ، جرىء ، فى تلك الصداقة التى لم يحلم بمثلها كائن بشرى !

لوفبورج : اذن لماذا قطعت صلتك بى ؟

هيدا : لان صداقتنا أنذرت بأن تتطور الى شيء أكثر جدية وخطرا ٠٠ واخجلتاه لك يا لوفبورج !

لوفبورج : أوه ، لماذا لم تنفذى تهديدك لى ؟ لماذا لم تقتلينى؟

هيدا : لانى بطبعى أرتعد خوفا من الفضيحة !

لوفبورج : نعم ياهيدا ، انك جبانة القلب !

هيدا : وأى جبانة ! (**وتنحنى نحـــوه ، دون ان تواجهــه بنظرتها ، وتردف بصــوت أكثر نعومة**) لكننى ســـأدلى اليك الآن باعتراف !

لوفبورج : وما هو ؟

هيدا : كونى لم أجرؤ على قتلك يومئذ ٠٠

لوفبورج : أكملى ٠٠

هيدا : لم يكن ذلك أسوأ ما انطوى عليـــه جبنى فى تلك الليلة !

لوفبورج (فى همس مشبوب) : آه ، اذن فقد كان ظمأك للحياة ، الذى ٠٠؟

وهنا يعلن قدوم مسز ايلفستيد ٠٠ ويتلو ذلك مشهد من الصراع النفسى المستتر ، تتمزق فيه نفس « لوفبورج » بيـن

عاملين : احترامه « لملهمته » مسز ايلفستيد ، وحبه المشبوب لهيدا جابلر !

واذ ينهار تحت عبء الصراع ، يعلن فجأة انه سيذهب إلى الحفلة :

لوفبورج (وهو يضع المخطوط فى جيبه بينما يدخل تيسمان): أود أن أقرأ لك هذا

تيسمان : هـذا يكون مدعاة لاغتباطى · ولكن ، ياعزيزتى هيدا ، كيف تعود مسز ايلفستيد الى بيتها ؟

لوفبورج : سوف أعود ثانية لارافقهـا الى دارها ·· فى الساعة العاشرة

ويخرج الرجال الثلاثة ·· ثم تدخل الخادم حاملة مصباحا مضاء :

مسز ايلفستيد : أوه ، هيدا ، هيدا ·· ماذا سينتج عن هذا كله ؟

هيدا : انه سيكون هنا فى الساعة العاشرة ·· وانى لاراه منذ الآن وقد التفت شرائط الورق الملون على شعره ،واصطبغ وجهه بحمرة الخمر ·· جسورا لا يهاب شيئا !

مسز ايلفستيد : أواه يا الهى ! ليته يأتى فقط كما ترينه الآن !

هيدا : انه سوف يأتى كما أراه ، تمـاما ، وليس بهيئـة أخرى

لكن لدى مسز ايلفستيد شكوكها التى تساورها !

- ٣ -

• **فاذا** كان الفصل التالى ، علمنا ان شكوك مسزايلفستيد لم تكن على غير أساس ·· فنحن فى وضح النهـار الآن ، ولم يعد من الحفلة أحد بعد !·· وتقنع هيدا ضيفتها بأن تأوى الى مخدعها لتنال قسطا من النوم

.. وأخيرا يظهر جورج تيسمان ، رب البيت ، بادي الانهاك ، مهموما !

هيدا : هل استمتعت بحفلة القاضي براك ؟

تيسمان : نعم ، ولا سيما في النصف الاول من السهرة ، حين كان « لوفبورج » يقرأ لي جزءا من مخطوطه

هيدا : حدثني عنه

تيسمان : أعتقد انه من أحسن الكتب التي وضعت في تاريخ الادب. ولكنه أمر يدعو الى الرثاء أن يكون هذا الشاب ، مع كل مواهبه ، على هذا النحو .. غير قابل للاصلاح !

هيدا : لم ؟ ماذا حدث ؟

تيسمان : لقد اضطررنا الى ان نحمله الى بيته ، فقد أفرط في الشراب أكثر مما يحتمل

هيدا : وبعد ؟

تيسمان : ولكن هنا يجيء الجزء الاعجب من أجزاء القصة: لقد صادف ان كنت متأخرا في سيري عن الآخرين ، فماذا تظنينني وجدت في جانب من الطريق ؟ تصوري ياعزيزتي اني وجدت هذا المخطوط !.. فانه وهو مخمور أضاع هذا الكنز الثمين ولم يتنبه الى فقده !

هيدا : ولكن لماذا لم ترده اليه من فورك ؟

تيسمان : لم أجرؤ ، في الحال التي كان عليها .. ولكن ينبغي أن أرده اليه الآن

هيدا : كلا ، اذن لا ترده إليه توا .. دعني أقرأه أولا

ويعطيها تيسمان المخطوط .. ثم يهرع الى الخارج لزيارة عمته التي علم انها مريضة وفي حالة سيئة للغاية

ومن هذه اللحظة ، تتطور المأساة بخطى أسرع : اذ يصل القاضي « براك » ليقص على هيدا أنباء مغامرات لوفبورج الاخيرة ، فلقد أفلت من أصدقائه الذين حملوه الى بيته ، ومضى الى بيت من البيوت المريبة !

هيدا : وكيف إنتهت المغامرة ؟

براك : بشجار وعراك ، ألقى على أثره القبض على لوفبورج ٠٠ ومنذ الآن سوف يغلق كل بيت محترم بابه فى وجهه !

هيدا : بما فى ذلك بيتى ؟

براك : نعم

ولكن لا يكاد القاضى ينصرف ، حتى يدخل الشـــاب ٠٠ وتهرع مسز ايلفستيد خارجة من مخدع هيدا ، وهى تهتف: « آه ، لوفبورج ، أخيرا ! »

لوفبورج : نعم ، أخيرا ٠٠ وبعد فوات الاوان !

مسز ايلفستيد : ولم « بعد فوات الاوان » ؟ ألا تجدنى على استعداد لان أعاونك الآن ، كما عاونتك من قبل ؟٠٠ ينبغى ان أكون معك حين يصدر الكتاب

لوفبورج : كتابنا لن يصدر قط ٠٠ لقد مزقت المخطوط الى ألف قصاصة ٠٠ لقد مزقت حياتى ذاتها شر ممزق !

مسز ايلفستيد : سأظل الى يوم مماتى يا لوفبورج ، أشعر كما لو انك قتلت طفلا حيا !

٠٠ كل ذلك و « هيدا » ـ التى سمعت كل شىء ـ لاتنبس ببنت شفة عن المخطوط الذى فى حوزتها !٠٠ ولا تعيده الى لوفبورج بعد انصراف مسز ايلفستيد !٠٠ ويحدثها هو عنـه فيقول : « **ان ذلك الكتاب كان ينطوى على روح مسز ايلفستيد الخالصة !** » ٠٠ لكن هيدا لا تحرك ساكنا لرد روح صديقتها الى لوفبورج ، وانمـــا ـ بدلا من ذلك ـ تعطيه واحـــدا من مسدساتها الخاصة : « خذ يا لوفبورج ٠٠ واستعمله »

لوفبورج : شكرا

هيدا : استعمله استعمالا جميلا يا لوفبورج٠٠عدنى بذلك!

وحين ينصرف الشاب بالمسدس ، تخرج المخطوط من درجها وتلقى به الى الموقد ، وهى تغمغم : « **انى أحرق طفلك يامسز**



ايلفستيد ! طفلك وطفل لوفبورج !٠٠ انى أحرق ٠٠ أحرق طفلكما !

- ٤ -

• **والآن** تقترب الكارثة بسرعة الاعصار !٠٠ فلقد عاد تيسمان من زيارة عمته المريضة، فصارحته زوجته بأنها قد أحرقت مخطوط لوفبورج: «لقد فعلتها من أجلك ياعزيزى ٠ لم أحتمل فكرة أن يتفوق أحد عليك ، ويلقى بك الى الظل ! »

ويتألم « تيسمان » ، ويسر ، فى آن واحد : « يا للزميل المسكين !٠٠ حبيبتى هيدا !٠٠ ولكن يجب ان لا يعلم انسان بقصة المخطوط !؟ »

وفى هذه اللحظة تقبل مسز ايلفستيد مندفعة كالمجنونة : « أخشى ان يكون قد أصاب لوفبورج المسكين مكروه !٠٠ فهناك شائعات مفزعة تتردد عنه اليوم فى كل مكان ! »

وهنا يدخل القاضى براك ليعزز الشائعات : ان لوفبورج قد نقل الى المستشفى على شفا الموت ٠ لقد أطلق الرصاص على صدره !

هيدا : على صدره ، وليس على صدغة ؟

براك : على صدره يا مسز تيسمان

هيدا : حسنا ، حسنا ، ان الصدر أيضا موضع مناسب٠٠ أخيرا ، أقدم الشاب على عمل جسور !

مسز ايلفستيد : كلا ، كلا ، لابد انه فعلها وهو مخمور ٠٠

كما حدث حين مزق مخطوطنا !

تيسمان : انه لامر يؤسف له ان يرحل لوفبورج من هذا العالم دون أن يخلف كتابه العظيم وراءه

مسز ايلفستيد : لعلنا نستطيع جمع مادة الكتاب من جديد . انى أحتفظ بمسوداته جميعا

تيسمان : فلنحاول ان نجمع شتاته ، أنت وانا

ويتجهان الى منضدة فى المؤخرة ، وسرعان ما يستغرقان فى فحص المسودات

هيدا (هامسة للقاضى براك) : ياله من عمل جميل ،انتحار لوفبورج هذا ، بطلقة فى صدره !

براك : آسف اذ أصارحك بما يبدد خيالك .. فمن أجل مسز ايلفستيد المسكينة آثرت طلاء الحقائق بشىء ذى بريق !



هيدا : وما هى الحقائق ؟

براك : أولها أن لوفبورج قد مات بالفعل !

هيدا : وماذا أخفيت أيضا ؟

براك : أنه وجد قتيلا فى مخدع .. غانية محترفة !

هيدا : لكن الرصاصة اخترقت صدره ؟

براك : كلا ، بل امعاءه

هيدا : أية لعنة هذه التى تجعل كل شىء ألمسه يتحول الى شىء هزلى وضيع ؟!

لكن ذلك ليس كل شيء . فان القاضي يذكرها بأن المحققين قد عثروا على مسدسها فوق جثة الشاب !

هيدا : وماذا يحدث اذا عرفت شخصية صاحب المسدس ؟

براك : يحدث ؟.. تحدث الفضيحة يا هيدا !

هيدا : الفضيحة !

براك : نعم ، الفضيحة .. ولكن ، لن تحدث فضيحة بالطبع ما دمت أنا أمسك لساني . انى لن أتقدم بالشهادة عن شخصية صاحبة المسدس ، اذا ... ؟

هيدا : اذا وضعت نفسي تحت جناحيك أيها القاضي براك.. اذا منحتك جسمي ، وصرت طوع أمرك ورهينة اشارتك منذ هذه اللحظة !

براك : أيتها العزيزة هيدا .. صدقيني انني لن أغالي في استغلال هذا الوضع !

هيدا : كلا ، لست أستطيع احتمال مجرد الفكرة ! أبدا ! .. ولا هي تستطيع اختيار الاحتمال الآخر : الفضيحة الوشيكة الوقوع !.. ومن ثم تنظر الى زوجها ومسز ايلفستيد المنهمكين في مراجعة مسودات كتاب لوفبورج .. وتغمغم : « **ألا يبدو لك ذلك غريبا ياعزيزتي مسز ايلفستيد ؟.. ها انت تجلسين مع تيسمان ، كما اعتدت الجلوس مع لوفبورج !** »

ثم تستأذن الجماعة في ان تخلد الى شيء من الراحة : « انى متعبة . سأذهب الى الحجرة المجاورة وأتمدد على الاريكة بعض الوقت »

وتتركهم وتمضي الى الحجرة المجاورة .. **وفجأة يسمعونها وهي تعزف على البيانو لحنا لرقصة ضارية !**

ثم يسمعون طلقة من مسدس !

ان خوفها من مواجهة مشكلات الحياة ، كان أقوى من حبها لمغامراتها !

(ستار)

الخالدون



عظماء .. فى عالم السياسة

عزيزى القارىء :

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حيـاة : « ديفاليرا » .. و « غاريبالدى » .. و «لويس باستير» .. «أميل زولا» .. و «ماركونى» .. و «تشايكوفسكى» .. «فمصطفى كمال» .. ثم « شوبان » .. و « جى دى موباسان » و «مختار» و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن » و « موسولينى» و «شيللى» و «بلزاك» و «بودلير» و «دستويفسكى» و«موليير» وأخيرا «كونفوشيوس» و «جيته» وبوذا والكسندر ديماس و « «ميكيل انجلو» ، وموزار وشوبنهاور وهم اولئك العظماء فى السياسـة ، والطب ، والادب ، والاختراع ، والموسيقى..والفنون..الخ

واليوم أقدم لك فيما يلى حيـاة الفيلسوف الاشهر نيتشه

وفى الاعداد التالية أعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منـذ بعيـد : لورد بيرون ، براونـنج ، شـوبرت .. فولتير ، أرسطو .. داروين ، اينشـتين .. شكسـبير ، اديسـون ، فورد .. والتر سكوت ، كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك ..رفاييل، ليوناردو دافنتشى ، وغيرهم ...



أعلام الفلسفة

فريدريك نيتشة

الفيلسوف الذى بشر بفلسفة القوة
.. وابن القس الذى تحدى الله!

فيلسوف عبقرى .. أم ملحد مجنون ؟

◆ كان تبسيط الفلسفة ، ونشر سير حياة أعلام الفلسفة ، وكفاحهم فى سبيل تعميم نظرياتهم ، من أهداف « كتابى » التى وضعها نصب عينه منذ صدوره .. فقدم لك فى اعداد سابقة سيرة وفلسفة كل من « كونفوشيوس » و « شوبنهاور »

واليوم ، يسر « كتابى » أن يقدم لك فيما يلى سيرة الفيلسوف الالمانى الجبار « نيتشه » ، ثم يردفها بتلخيص ممتع لكتابه الخالد : « هكذا تكلم زرادشت » ..

وقد وصف « اميل فاكيه » -عضو المجمع العلمى الفرنسي- نيتشه ، فقال : « ما من مفكر كان أشد اخلاصا من نيتشه ، فما بلغ أحد قبله ماوصل اليه وهو يسبر الاغوار فى طلب الحقيقة ، غير مبال بما يعترض سبيله من صعاب » .. وهناتكمن عبقرية « نيتشه » ، بل جبروته .. كان مثقلا بالعقد النفسية ، والضعف البدنى ، والامراض ، فلم يشأ ان يعيش حياة العاجزين ، بل اجتاح تلك العقبات ، واستمد منها فلسفة هزت دنيا الفكر .. استمد من الضعف دعوة الى القوة،والحرب، وعدم الرحمة ، وحث الانسان على ان يرقى فوق مستواه العادى .. وناوأه أهل جيله فوصفوه بالجنون ، فاذا به يصيح : « ان فى الجنون حكمة » ، ثم يمضى مواصلا كفاحه .. ورموه بالكفر ، ثم أدركوا -بعد موته- انه انما كفر بالاصنام التى أقامها بعض المتخبطين من رجال الدين ، وكان فى كفره هذا يمجد الله الحقيقى !

يتمرد على القدر منذ السابعة من عمره !

◆ **سمى** ، حين ولد : « فردريك فيلهلم » ، تيمنا بملك (بروسيا) .. ومع ذلك فانه لم يكن بروسيا ، وانما كان بولندى الاصل ، ينحدر من أسرة « نيتسكى » ، وهى أسرة عريقة فى الارستقراطية ، ظلت تكافح جيلا بعد جيل لتمثل « السوبرمان » ، أى الانسان المثالى ، السامى ، الذى يرقى الى مستوى فوق مستوى الانسان العادى ، ويقترب من مرتبة أنصاف أو أشباه الآلهة ، التى كان الاغريق يرفعون اليها

أبطال جبل « أوليمب » !

ولكن « فريدريك نيتشه » ـ الذى ولد فى مدينة (روكن) الالمانية فى ١٥ أكتوبر سنة ١٨٤٤ ـ كان فرعا ذابلا فى هذه الشجرة القوية ، فقد ورث جسمه الضعيف عن أبيه الذى كان قسا ، وكان مصابا بالصرع ، وضعف البصر ، ونوبات الصداع التى كانت تجعله زائغ البصر غير مستقر النظرات ٠٠ وقد أخذ ابنه عنه هذه المتاعب التى كانت سببا فى مصرع القس ذات ليلة ، اذ كان يصعد درج منزله ، حين تولته نوبة الصرع فجأة ، فترنح ثم سقط على ظهره ، واصطدم رأسه بالدرجات ، فأصيب بشلل فى المخ ٠ **وكان « نيتشه » فى ذلك الوقت فى السابعة من عمره ، فاستحوذ عليه الذهول وهو يرى والده الصريع يحمل الى الفراش ٠ ثم ظل يرقبه شهورا طويلة وهو يعانى آلاما مبرحة بطيئة ، ويرى قواه العقلية تضمحل بالتدريج ، وأخيرا شاهده وهو يموت ، ثم وهو يوارى رمسه ٠٠ كل هذا رآه جيدا ، فظلت ذكراه المؤلمة مطبوعة فى ذهنه طيلة حياته ! ٠٠ ولعلها كانت المصدر الاول لروح التمرد على القدر ، التى سادت فلسفته ومؤلفاته !**

الليل والوحدة ٠٠ صديقاه الحميمان !

♦ وأصبح « فريدريك نيتشه » وأخته « اليزابيث » خاضعين ـ بعد موت أبيهما ـ لنفوذ أربع سيدات حزينات : أمه ، وجدته ، وعمتيه ٠٠ واستولت عليه حالة نفسية سيئة، كان مبعثها الاول عجزه عن مشاركة الناس فى رياضتهم ولهوهم بسبب ضعف عينيه ، وما كان ينتابه من صداع فظيع ،موجع٠ واستنفدت الآلام قواه ، فأصبح فى المدرسة موضع سخرية زملائه الذين كانوا يتندرون بجسمه الضئيل ورأسه الضخم٠ ولم يجد أمامه من يخلص له الود سوى أخته ، ففيما عداها لم

يكن له صديق أو صاحب يبثه ذات نفسه ، فعاش فى وحدة تكاد تكون تامة . وكان يخشى زملاءه من الاولاد ، ولم يكن يعرف كيف يحدثهم أو يشاطرهم لعبهم .. بل انه ما كان يفهم الالفاظ والعبارات الشائعة التى كان الصبية يتندرون بها ويتمازحون . فلا عجب أن رأيناه يكتفى باللعب مع أخته ، فاذا كانت غائبة أو مشغولة دفن رأسه فى الكتب !

ولعله كان يؤثر هذا ، اذ كان مولعا بالقراءة .. لم يكن يرى الا ومعه كتاب ، مثله فى ذلك مثل أبيه .وكانت أمه تفخر بذلك وتتمنى أن يحذو حذو أبيه فيصبح قسيسا ، اذ لم يكن ينقصه شيء من صفات رجل الدين : فقد كان فصيحا فى موضوعات الكبار ، رغم عيه فى موضوعات أقرانه - وكان ذا صوت مؤثرمقنع .وكانوجهه صورة مجسمة للحزن الازلى- وليس في ذلك عجب ، فقد حكي عنه أن آيات الاسي والالم كانت ترتسم على وجهه عندما هبط من جوف أمه الى الدنيا ، يوم مولده !

وكانت أمه تعتقد أنه خلق لكى يؤدى رسالة عظيمة !.. فلما شب عن الطوق ، أرسلته الى مدرسة « بفورتا »التجهيزية، حيث درس اليونانية واللاتينية .. بل انه درس كل شيء -فى الواقع - عدا الحياة ! وكانت عيناه تضايقانه بضعفهما وزيغ بصرهما ، كما كان يشعر بآلام لا تطاق اذا أطال القراءة ، ولم يكن يسعه حينئذ الا أن يرتمى على فراشه ، وقد فقد كل رغبة فى أن يعيش !.. ولماذا يعيش وهو لايستطيع أن يظل مفتوح العينين فى النور الساطع ، بينما ضوء الشمس يبهر بصره ويدفعه الى الصراخ من فرط الالم ؟.. كان الليل وحده هو الذى يمنحه الراحة والسكينة ، ففيه تطمئن نفسه وتقر عينه .. وكان يقضى الساعات الطوال فى غرفة نومه - اذا ما هبط الليل - محدقا فى الظلام ، مستمتعا بالسكون والهدوء ..

كان الليل هو صديقه الوحيد ٠٠ الليل والوحدة !

غرق فى اللهو والمجون ٠٠ ثم طلقهما !

◆ **واكتشف** هواية تريح أعصابه خلال ساعات الوحدة ، ألا وهى الموسيقى ٠ فكان كلما عزف أو سمع غيره يعزف ، غرق فى بحار من الاحلام ، ووجد فى الاوهام معينا من النشاط كان يفتقده فى عالم الحقيقة ، فعاش فى خيال المغامرات التى سمعها عن أجداده ، وفى المعارك التى خاضوا غمارها !٠٠وفى روعة هذه الاوهام وجلالها ، ذاق طعم القوة والعنف ، ولكن من غير ألم ٠٠ ولو انه كان يشعر بالالم فى ساعات يقظته ، اذا ماعاد الى عالم الواقع ٠ ٠ولئن لم يكن هذا الالم عنيفا ، فان أوجاعه غدت مزمنة ،واستنفدت كل قواه،الى درجةان هذه الأوجاع ذاتها لم تعد تجدمن قواه مايمكنها من ان تعنف !

ومع هذا فقد كان شابا !٠٠وكان يريد أن يعيش!٠٠ وكان يشعر فى أعماقه بما يشعر به الشباب من حنين الى تذوق التجارب التى تزخر بها الدنيا، ومن فضول ذهني وفضول مادى أيضا ـ اذا أمكن ! ـ تلك كانت نفسيته حين دخل جامعة « بون » ، وبدأ يشرب الخمر ، ويروى النكات المجوجة ، ويقرض الشعر المبتذل ،وأحيانا يذهب الى المواخير ٠ وفى تلك الاثناء قرأ أشعار « بيرون » ٠٠وتعلم المبارزة ٠٠ على أنه ما لبث ـ بعدشهورقليلة ـ أن طلق حياة اللهو والعبث



والمجون ، وأشاح بوجهه عن الدنيا ، وانزوى عن المجتمع ، مستأنفا حياة الوحدة ٠٠ وبدأ يضيق بنفسه ويحتقرها !

ثم انتقل الى جامعة « ليبزج » ، حيث انهمك فى دراسة اللغات ، واعتزم أن يكرس حياته للتدريس وليس للوعظ كما كانت تريد أمه !٠٠ اذ كان فى واد وأمه فى واد آخر ٠٠ كانت الشكوك تساوره فى كل ما يتعلق بالدين ، فبدأت نفسه تنصرف عن الايمان ٠ وكان يعجب من حاله ، ويتساءل قائلا: هل من الممكن حقا أن تتقمص « روح قوية » ، مثل ذاك الجسد الهزيل الضعيف الذى منى به ؟٠٠ كان يتوق بحرارة الى القوة الجسمانية ، والى حيوية الشباب ٠٠ وكان ينفر أشد النفور من هذه الحقيقة ، وهى أنه ولد كهلا !٠٠ كان يريد ان يخوض خضم الحياة الزاخر بألوان المتعة ٠٠ كان يصبو الى ان يشعر بنبضات تلك الحياة تخفق قوية فى صدره !٠٠ ولكن قدميه لم تستطيعا الحراك ، وظل قابعا على شاطىء الاحداث يرقب تواليها دون أن يساهم فيها ! ٠٠ وقلما كانت تساوره الشهوة الجنسية ، مما كان يؤرقه ويعذبه : لماذا يجد نفسه محروما من ملذات الحياة ومسراتها ؟٠٠ لماذا توصد فى وجهه أبواب المتع الحسية ؟

الخطيئة من ابتكار متهوسين ضعفاء !

◆ **ومن** هنا بدأ يتمرد على الدين ، لانه يشجع على انكار ملذات البدن ٠ ووجد فى هذا التمرد أداة للدفاع عن ضعفه ٠ **ألم يبشر القديسون باحتقار رغبات النفس وشهواتها ؟٠٠ ولكن لماذا يبشرون بذلك ؟٠٠ وأجاب « نيتشه » عن هذا التساؤل بقوله : « أليس من الجائز أنهم فعلوا ذلك استجابة لما كانوا يشعرون به من نقص وعجز ـ ومكره أخاك لابطل ؟!»** وهكذا راح « نيتشه » ينزلق فى طريق خطير وعر ٠ وأخذ تفكيره يقوده الى آفاق غريبة غير مطروقة ، فجعل يتساءل :

أليس من الجائز أن يكون بعض « المجاذيب » ومختلى التفكير قد ابتكروا فكرة « الخطيئة » ليبرروا بها هوسهم الذهنى وعجزهم الجسمانى ، فاذا بالاجيال المتعاقبة تصدقهم وتسير كالخراف وراء دعوتهم ؟٠٠ وأليس من الجائز أن تكون الاخلاق المزعومة مجرد « خدعة » ؟٠٠ أليس هدف الحياة هو السعادة ؟٠٠ وما دمنا قد قبلنا أن نعيش ، فهذا يعنى أننا قبلنا الحياة برمتها ، دون تمييز بين حلوها ومرها !

ووجد « نيتشه » نفسه فجأة أمام سؤال رهيب ، جمد له الدم فى عروقه : وما وظيفة الدين اذن ؟٠٠ وأجاب عن هذا السؤال الرهيب بجواب أشد منه رهبة : ان الدين لا يبشر بالحياة ، وانما يدعو ـ بدلا من ذلك ـ الى انكارها !!

وماذا يضمن الحياة اذن ؟٠٠ تضمنها « ارادة » الحياة ٠ وقال « نيتشه » لنفسه انه اذا استطاع أن يوجد هذه الارادة بدرجة كافية ، غدا بوسعه أن يتغلب على صداعه وعلى زيغ بصره وعلى آلامه !٠٠ اذ ان « الارادة » وحدها هى التى تستطيع أن تجعل منه رجلا حرا

الانسان يستطيع التغلب على المرض ، بقوة الارادة !

◆ **هذه** هى الافكار التى كانت تفرخ وتتوالد فى غرفة الرجل المريض ٠٠ وكم من أفكار مشابهة كان المرض يوحى بها لاسراه على أميال عديدة من مخدع « نيتشه » ٠٠ ففى أمريكا قام بعض الناس يبشرون بأن الانسان يستطيع التغلب على مرضه بقوة الارادة ، فكانوا رواد العلاج بالايحاء الذهنى ٠٠ وفى الجانب الآخر من العالم ـ فى الهند ـ قامت جماعة من الكهنة بتدريب ارادة الانسان حتى جعلوها تأتى من الاعمال مايشبه السحر : فكانوا يوقفون تنفسهم ، ويسلطون على أنفسهم ارادة الموت ، ويدفنون أنفسهم ساعات عديدة ٠٠ ثم

يسلطون على أنفسهم ارادة الحياة فيبعثون من جـديد !٠٠ وكانوا يسيرون على الجمر الملتهب دون أن يحسوا ألما ، لانهم استبعدوا من ذهنهم فكرة الالم

وسيطرة قوة العقـل على أمراض الجسـم ومتاعبه ليست جديدة • فقديما كان حواريو السيد المسيح يحتملون قسـوة الجوع فى الصحراء ، ويصمدون لضرب السياط ،ويستقبلون أنكى أنواع العذاب والاضطهاد ، بجلد وسكينة • أو لم يرتض المسيح ذاته أن يصلب ، تدفعـه الى ذلك « ارادة » تخليص الانسان من خطاياه ؟

وقد اعتنق الفيلسوف الالمـانى « آرثر شوبنهور » هـذا المذهب ـ مذهب « سلطان الارادة » ـ وقال انه العامل المسيطر على الحياة ، فان النبات والحيـوان والانسـان لا يتكاثرون ويتناسلون الا بسبب وجود « ارادة » مسيطرة تدفعهم دفعا الى الحياة • ولما كان « شوبنهور » يميل الى التشاؤم ،ويعتقد أن الحياة عديمة الخير والجـدوى ، فقد أعلن أنه اذا حـول الانسان هذه الرغبة فى الحياة الى رغبة فى الموت ، أى انه اذا « أراد » أن يوقف الزواج والنسل ، لانتهت الآلام فى هـذه الدنيا ، ولوضع البشر حدا لما يقاسونه من عذاب !

يفر من الكوليرا ، ومن الخدمة العسكرية !

• **وتلقف** « نيتشه » رأى « شوبنهور » عن الارادة ، ولكنه حول هذا الرأى من فلسـفة سلبية الى فلسـفة ايجابيـة : فالانسان ينبغى أن لا يستخدم ارادته ليموت ، بل ليحيا ،ومن الجبن أن « يريد » الانسان الموت ليتخلص من آلامه ، بل انه لما يزيده سموا ونبلا أن يريد الحيـاة على الرغم من الآلام والاوجاع !

٠٠ لقد وجد نيتشه الآن معنى لحياته ، فعقد العزم عـلى أن يخوض الحياة مظفرا • ومع ذلك فقد كانت نوبات اليأس

والهلع تستولى عليه من حين لآخر ـ اذ لم يكن قد تشبع بعد تشبعا تاما بمذهبه الجديد ـ وعندما اجتاحت الكوليرا مدينة (ليبزج) استحوذ عليه الرعب ففر الى مكان بعيد ، وهو يخال أن الموت يترصده فى كل طريق !٠٠ **ولما استدعته حكومة (بروسيا) للخدمة العسكرية ، طارت نفسه شعاعا وتوسل اليها أن تعفيه ، بحجة أنه ابن أرملة وليس ثمة من يعولها سواه ٠ ولكن ذلك لم يجده فتيلا ، فقد جند فى سلاح الفرسان، حيث قضى بضعة شهور فى التدريب ، الى أن سقط عن ظهر جواده يوما ، وتمزقت احدى عضلات صدره ٠٠ وحينئذ تنفس الصعداء ، وأدرك أن الفرصة سنحت لكى يطلب اعفاءه من الخدمة وتجنب مافى الحياة النشطة من مخاطر ، وأن يخلد الى مكمنه السلبى فى جسده العاجز !**

وما ان سرح من الجيش حتى عاد الى الحياة الجامعية ٠ وسرعان ما وصلت أنباء تفوقه فى اللغات الى مسامع جامعة « بال » ، فعرضت عليه كرسى اللغات ـ مع أنه لم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره ! ـ فقبل هذا المنصب ، وعاش قريرا فى الجو الجامعى الهادىء فترة من الزمن ٠ولكن نفسه المتمردة ، المتقلبة ، عادت تثير له المتاعب من جديد ٠٠ اذ ردته الى التفكير فى موضوع قوة الارادة ٠ وأخذ يبحث عن ميدان يعلن فيه أفكاره وآراءه ٠ وتبين له أن هذا الميدان لايمكن أن يكون فى جو اللغة اللاتينية واللغة اليونانية !٠٠ وراح يحلق فى سماء الاحلام ، وهو يلقى على الطلبة محاضراته فى حجرة الدراسة ٠٠ ولكنه أفاق فجأة من أحلامه على صوت الاحداث المثيرة التى بدأت تقع فى وطنه : فقد أعلنت الحرب بين ألمانيا وفرنسا !

يجند للحرب ٠٠ ثم يعمل ممرضا للجرحى !

◆ **وذات** يوم رأى فرقة من الفرسان البروسيين تسير الى جبهة القتال ، وفى هذه اللحظة بالذات بدأت فلسفته كلها

تتبلور وتأخذ شكلها النهائى ٠ وقد كتب فى هـــذه المناسبة يقول : لقد شعرت ـ لاول مرة ـ بأن أعظم وأقوى ارادةللحياة لا تجد لها متنفسا فى مجرد النضال التافه من أجل البقاء ، وانما فى ارادة الحرب ، وارادة فرض الســلطان ، وارادة السيطرة ! »

وجند « نيتشه » في الجيش من جديد بسبب قيام الحرب، ولكنه أعفى من الخدمة العاملة نظرا لضعف عينيه ، فاقتصر عمله على تمريض الجرحى من الجنـــود ٠ واذ كان يميل الى قرض الشـــعر ، فان فلسفته العــارمة ـ فيمــا يتعلق بارادة السيطرة على الانسان ـ ما لبثت ان استحالت الى شعرلطيف يدور حول ارادة السيطرة على البؤس والشــقاء : **فقد رأى الدم ، وشم رائحة العرق ، وجلس فى عربات الماشية ـ التى تنضح بالماء ـ مع الجنود الذين كانوا يقاسون من «الغنغرينا»، فامتلأت نفسه تقززا ، وأفعم قلبه بالسخط ! ما معنى كل هذه المناظر البشعة ؟٠٠ وأين هو المجد الخالد الذى بشر به رجال الدين ؟٠٠ أليس من الاحرى أن يطلق على هذا « المجد الخالد » اسم « العذاب الازلى » ؟**

ولما انتهت الحرب أصيب بالدفتريا ، فذهب يستشفى فى الجبال ، وهناك أتاح له الهواء العليل فرصة للتفكير والتأمل، ووصل الى استنتاج فريد : وهو ان كل هذه الآلام التىيعانيها العالم لها ما يبررها ٠ فالبؤس والالم والشقاء تجارب لابد من أن يمر بها الانسان لكى يعرف معنى السعادة ويتذوق طعمها !

ورغم ان حياة نيتشه كانت مأساة ، فان روحه لم تعان من جرائها ، بل أخذت تستخلص من الالم بهجـة وسرورا ٠ كان يقول ان الانسان يتألم لانه يريد أن يكون حرا ، فعن طريق الالم يصل الانسان الى الحرية ٠٠ والاغبيـاء فقط ، وقصــار النظر ، هم الذين يفرون منالآلام والاحزان ، ويبيعونانسانيتهم فى سبيل حياة سهلة رخيصة وادعة !

يعد نفسه للموت ٠٠ تحت تأثير الوهم !

• **وأطلق** نيتشه شاربيه غزيرين ، لكى يخفى جوانب فمه التى تنم عن الحس المرهف ، اذ رغب فى أن يبدو للعالم فى هيئة الرجل غير المكترث ، الذى لا يبالى بشىء ، والذى يحتقر كل شىء !٠٠ وكانت عيناه العميقتا الاغوار الضعيفتا الابصار تبدوان وكأنهما لا تكترثان بالاشياء والاشخاص المحيطين به ، وانما تتطلعان فى سمو واستعلاء الى الآفاق البعيدة اللانهائية٠ وكان يخفى نفسه عن معظم الناس لانه كان يخافهم ، ولكن رجلا واحدا ظل يستحوذ على لبه : ذلك هو الموسيقى الالمانى العبقرى « ريتشارد فاجنر » ، وفيما عداه كان نيتشه يعيش بدون أصدقاء ، مكتفيا بفلسفته الغريبة ، وبالظلام الخلاب ، والالم البهيج !

ولما اشتدت وطأة نوبات الصداع عليه ، عرض نفسه على طبيب ، فاذا الطبيب يجزع من كثرة هذه النوبات وحدتها ، واذا هو يصارحه ــ فى غير تبصر ولا حكمة ــ بأنه معرض للاصابة بشلل فى المخ ، **فاستولى الهلع على نيتشه ، وقصر طعامه على الخضر ، عسى ان يسترد صحته ٠٠ ولكنه ازداد وهنا على وهن ، وأصبح يعتقد أنه سيموت بالسرطان ، وجعل يتنقل من مصح الى آخر ٠ وأخيرا عاد الى داره يائسا ، ولكنه عجز عن الهرب من نفسه !٠٠كان مايزال فى الخامسةوالثلاثين من عمره ، ومع ذلك فقد أعد نفسه للموت ٠٠ ألم يمت أبوه فى هذه السن ؟٠٠ ثم ، ألم يمت الاب نتيجة لاصابته بشلل فى المخ ، مصحوب بصداع مخيف ؟**

وكتب « نيتشه » فى مذكراته أن أجله قد يحين فى أية لحظة !٠٠ ولكن العام انقضى دون أن يموت ، وان أصيب خلاله بأكثر من مائة نوبة أليمة ٠ وترك وظيفته ، ويمم شطر مدينة (مارينباد) الجبلية للاستشفاء ، ولكن شمس الجنوب

الهبت رأسه فلم يحتملها وقفل راجعا الى بلده !

الفشل فى الحب ، يعلمه الحقد والكفر !

• وفى العام التالى فارقته آلام رأسه ، فاستطاع ان يعود الى التفكير فى الحياة مرة أخرى ٠ وسافر الى روما حيث وقع له حادث مثير ، قطع عليه حبال تأملاته : فقد تعرف هناك الى فتاة فنلندية جميلة تدعى « لوفون سالومى » ، فسألها ان تقبله زوجا ، ولكنها رفضت ٠ اذ كانت تحترمه لعبقريته الفكرية ، ولكنها كانت تخشى فى الوقت ذاته هذا العقل الجبار الذى أوتيه ٠ **كما ان جسمه الضعيف لم يكن يرشحه لان يغدو شريكا لمثل هذه الحسناء الناضجة الدافئة الجسد ! ٠٠ وفجع نيتشه بهذا الرفض ، وظن ان رفضها كان راجعا الى خشيتها من أن الزواج قد يعطلها عن تحقيق مشروعات معينة ، وخيل اليه أنها قد تقبل حبا حرا دون زواج ٠ أو لم تكن الفتاة من أتباعه المعجبين به ؟٠٠ ثم ألم يكن صديقهما المشترك ـ الموسيقى « فاجنر » ـ على حب « حر » مع « كوزيما » ؟٠٠ ولكن الفتاة رفضت أيضا هذا الاقتراح ، فشعر نيتشه بالمذلة والهوان ، واعتكف مع كتبه ٠ ثم جاءته الانباء بأن فتاته قد قبلت هذا الاقتراح ذاته من رجل آخر لم يكن فيلسوفا !**

وامتلأ قلبه حقدا على الناس ـ فالحقد سلاح المهزومين ! ـ وقال مواسيا نفسه : « انني لم أخلق العالم ، ولم أخلق « لوفون سالومى » ٠ ولو كنت قد فعلت لجاءا فى صورة أكمل وأفضل ! »

ودفعه فشله فى الحب الى طريق جديد خطير من التأملات : فقد بدأ يفكر فى الاخلاق ، وفى الخير والشر ٠ وقال : « ان جميع الافكار الخاصة بالخير والشر لم تأت من الله ، لانه

لايوجد اله !٠٠ كذلك هى لم تفرض بقانون أخلاقى علوى ، لانه لايوجد مثل هذا القانون ، وانما هي من بنات عقل الانسان !٠٠ فكلمة الخير لاتدل على صفة أخلاقية وانما هى اصطلاح اجتماعى وسياسى اقتضته ظروف الانسان ٠ فأفضل الناس فى كل مجتمع هم الطبقات الحاكمة والمحاربون والنبلاء ٠ والرجل الصالح هو الرجل الشجاع القوى ٠ وما قام نفوذ الطبقة الارستقراطية الا على قوتها ٠ أما أسوأ الناس فى هذا المجتمع فهم الذين يشغلون المراكز الوضيعة بسبب عدم استعدادهم الجسمانى » !

سلاح « التقوى » ٠٠ لمن لا يملكون السيف !

• **ومضى** نيتشه يقول : « ولكن تطورا مشئوما أصاب تاريخ الاخلاق - مع مضى الزمن - فاذا بالمعنى الاصلى لكلمتى الخير والشر يتغير ، اذ ظهرت طبقة جديدة من الرجال احتلوا مكان الصدارة ٠ ولم يكن رؤساء هذه الطبقة محاربين أو « أقوياء » ، وانما كانوا من « الكهنة » أو بمعنى آخر كانوا رجالا ضعفاء ، يعتمدون على قوتهم العقلية وليس على قوتهم الجسمانية ٠ وهم فى نضالهم ضد سادتهم المحاربين السابقين فرضوا على المجتمع قانونا جديدا للسلوك ٠ **ونظرا لافتقارهم الى قوة الجسد اخترعوا مازعموا انه فضائل الروح ،وابتكروا نظاما للاخلاق ليخفوا وراءه نقائصهم وعيوبهم الخاصة ! ولما كانوا عاجزين عن الانتصار بالسيف ، فقد حكموا بسلاح « التقوى والصلاة » ٠٠ ولضمان بقاء نفوذهم ، نادوا بحقوق الطبقات الدنيا المغلوبة على أمرها ، وبشروا بعودة العزة والمجد الى المستضعفين ، والكرامة والسؤدد الى المستذلين !٠٠ ثم وضعوا أسس دعاية دينية تمجد نقائصهم الخاصة ، قالوا فيها أن البؤساء وحدهم هم الصالحون ، والفقراء والضعفاء هم الاخيار ، والمحتاجين والمرضى والمتألمين هم الاتقياء المباركون ،**

الذين كتب لهم وحدهم الخلاص! ٠٠ أما الاقوياء والارستقراطيون فهم فى كل عصر أصل الشر والبلوى ، وهم الملحدون والزنادقة، الذين تحل اللعنة على رؤوسهم الى الابد » !

ومضى نيتشه يقول : « وهكذا احتل الثعلب مكان النسر ٠٠ لقد كان انتقاما بارعا من جانب الجبناء ضد ذوى الجرأة والجسارة ٠ لقد أبعد السادة الاقوياء من مملكة السماء ، وانتصرت أخلاق الرعاع والدهماء ! »

الخير لدى الاسد ٠٠ شر لدى الحمل !

• **واستطرد** الفيلسوف المتمرد يقول : « ان ما أدخل على المجتمع المتمدين من اصطلاحات الضمير والخير والشر ليس سوى نفاق محض ٠ والواقع ان الانسان القوى الحر لايشعر بالخجل مما يرتكبه من أعمال ، وهل تشعر النسور الجارحة بالخجل اذا هى حطت على الحملان الضعيفة وافترستها ؟ ٠٠ وهل يحق لنا ان نطلب من الاقوياء ألا يمارسوا قوتهم ؟ **ان القوى لايملك الخيار فى أن يصبح ضعيفا ، تماما كما لايملك الضعيف أن يصبح قويا ! وليست فى الاخلاق قيم مطلقة ، فليس ثمة خير محض ولا شر محض ، انما كل شىء نسبى ٠ فما هو خير للاسد أو النسر قد يكون شرا للحمل والشاة ! »**

وذهل أصدقاء نيتشه القليلون لهذه الآراء الجريئة ،ونظروا ـ وقد استولى عليهم الرعب والخجل ـ الى هذا الرجل الذاوى الواهن الذى انبثقت من بين شفتيه كل هذه الحمم البركانية ! ٠٠ وما لبثوا ان قاطعوه ونبذوه وتركوه وحيدا ٠ فما كان ليخطر لهم على بال أن يرتكب نيتشه هذه الخطيئة التى لاتغتفر، وهو الرجل الوادع الرقيق فى حياته الخاصة ، الذى لم تكن نفسه تطاوعه على قتل حشرة ، فاذا هو يدعو الى تحطيم كل القيم ٠٠ ويهاجم الدين ٠٠ ولا يتورع عن ابادة الايمان بالسماء ذاتها !

تكلم زرادشت ٠٠ فلم يستمع أحد !

• **وعندما** ذهب الى ايطاليا راح يصـعد الى قمم الجبال ويستغرق فى التأمل ٠٠ وهناك خطرت له فكرة الرجل المتفوق — أو السامى — « السوبرمان » ٠ وكانت فكرة لم تخطر من قبل على بال أحد : « يامن تشكون اليوم من الوحـدة ، يامن تقفون فى عزلة ، انكم ستصبحون شعبا فى يوم ما ٠٠ أنتم يامن اصطفيتم أنفسكم ، سـتكونون شعبا مختارا ، ومنـه سيظهر الرجل المتفوق ٠٠ السوبرمان ! » ٠ وبدأت الصـورة تكبر وتتضح شيئا فشيئا أمام بصيرته : صورة «السوبرمان» !

وروى نيتشه قصة هذا الخاطر على لسان نبى فارسى يدعى «زرادشت» ، واطلق على الكتاب: « هكـذا تكلم زرادشـت » ٠ وقد كتبـه على شكل ملحمة من الشعر المنثـور ، تمتـزج فيها البساطة والوضوح ، بالغموض والابهام ! ٠٠ **لكن العالم أبى أن ينصت لما قاله « زرادشت » ، فأعرض عن الكتاب الذى طبـع منه « نيتشه » أربعين نسخة على نفقته الخاصة ، فلم يجد من يشتريها على قلة عددها ، واضطر الى توزيعها دون مقابل !٠٠**



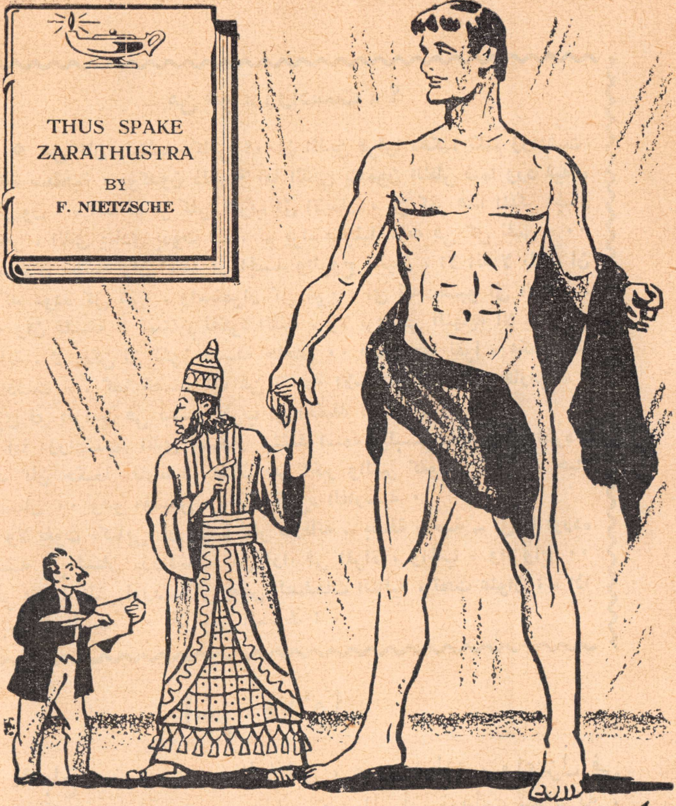
لقد أرسل « صاعقة » فى دنيا البشر ، فاذا به أول ضـحايا قوتهـا : اذ عاوده الصداع القديم ، وأعمى الالم عينيه فلم تعودا تقويان على أن تحدقا فى الافق البعيد !

ومن عجب ان الكتاب الذى أعرض عنـه العـالم فى حيـاة نيتشـه ، لم يلبث ان وجـد رواجا وخلودا — بعـد وفاته — كلون من ألـوان الفلسـفة والفكر !

يتنبأ بحروب القرن العشرين !

• **وراح** نيتشه يتنقل ، من سويسرا الى البندقية ، ومن جنوا الى نيس ، ومن تورين الى مارينباد ، لا يكف عن الدعوة الى السلام عن طريق الحرب !.. وضعف بصره الى درجة انه لم يعد يستطيع أن يكتب سوى عبارات قصيرة كان يسميها « وحيا » . وكان مما كتبه : « ان كل شيء يتكرر على نفس النمط مهما طال الزمن . انه البعث الازلى . **فلتحذر شعوب الدنيا ، ولترتعد أمم أوربا فرقا !.. أن حكوماتها سوف تشتبك خلال خمسين عاما فى حرب كبرى من أجل أسواق العالم . ثم لا يلبث العالم حتى يشهد حربا طاحنة أخرى لا تبقى ولا تذر . وحينئذ سوف تبعث الوحوش الضارية ، وينهض عنصر الظافرين والسادة من بين رماد البشر المحترق** .. فلتحل اللعنة على الذين لايستطيعون احتمال فلسفتى !.. أما الذين يقدرونها حق قدرها ، فقد كتب عليهم أن يصبحوا سادة العالم ! »

ومضى عقله يضمحل ويضعف بالتدريج . وفى ٣ يناير عام ١٨٨٩ ـ وكان حينئذ فى الخامسة والاربعين من عمره ـ أصيب بالجنون .. وظل عقله مغمورا فى الظلام أكثر من عشر سنوات ، حتى لحق جسده بالعقل الميت ، فلفظ آخر أنفاسه فى عام ١٩٠٠ ، وهو فى السادسة والخمسين . **وهكذا انتهت حياة هذا الفيلسوف الذى وقف فى وجه الآلهة .. لقد حاول أن يطعنها ، فردت اليه الطعنة فى موطن تفكيره ، وحرمته من أعز ما يمتلكه الانسان : العقل !**



هكذا تكلم "زرادشت"!

الكتاب الأشهر للفيلسوف الألمانى "نيتشة"، الذى سرد فيه فلسفته عن الإنسان الأسمى -السوبرمان- على لسان الحكيم الفارسى "زرادشت".

من هو « زرادشت » ؟

◆ هل كان «نيتشه» كافرا ؟٠٠ان الذين قرأوا «هكذا تكلم زرادشت» قراءة سطحية ، يؤكدون ذلك ٠ أما الذين يمعنون النظر فيما ورد فيه ، فيقولون : « اننا لم نر كفرا أقرب الى الايمان ، من كفر هذا المفكر الجبار الثائر ، الذى ينادى بموت الله ، ثم يراه متجليا أمامه فى كل نفس » ٠٠ ذلك لأن نيتشه وان اعتقد أن الجسد والروح فانيان ، الا أنه لا يلبث أن يؤكد عودة كل شيء ، واستمرار كل شيء ، أى أنه يصبو الى الابدية ! ٠٠ وان فلسفة لا تستنيم لفكرة الفناء ، ولا ترى فى النهاية الا عودة الى بداية ، لا يمكن أن تكون فلسفة جاحدة ٠٠ فتعال معا نقرأ « هكذا تكلم زرادشت » ، كما لخصناه لك عن ترجمة الاستاذ « فليكس فارس » ، لنرى أى الرأيين فى نيتشه أقرب الى الحقيقة !

أما «زرادشت» الذى استعار نيتشه اسمه ليلبسه أفكاره وخواطره ، فقد كان حكيما «فارسيا» كشف عن الخير والشر كقوتين تتنازعان حياة الانسان ٠٠ وهو مؤسس ديانة «الماجى» الفارسية ٠

ولا يفوت «كتابى» أن يلفت نظر قارئاته ـ بصفة خاصة ـ الى ما أورده نيتشه على لسان «زرادشت» من آراء فى المرأة ، والحب ، والزواج ٠٠ وهى الآراء التى أوردتها فى بعض الصفحات التالية ، تحت عنوان : « اذا ذهبت الى النساء ٠٠ فلا تنس السوط ! »

الجزء الأول

◆ **لما بلغ** « زرادشت » الثلاثين ، هجر وطنه ، واعتزل فى جبل ، يفكر ، طيلة عشر سنوات ٠٠ الى أن تبدلت سريرته ، فانتصب أمام الشمس يناجيها قائلا : « **منذ عشر سنوات ما برحت أيها الكوكب العظيم تشرق على كهفى ٠٠ لقد كرهت نفسى حكمتى ، كالنحلة ، أتخمها ما جمعت ، فمن لى بالأكف تنبسط أمامى ، لأهب وأغدق ٠٠ الى أن يغتبط الحكماء من الناس بجنونهم ، ويسعد الفقراء منهم بثروتهم ؟ ٠٠ لقد وجب على أن أتوارى الآن ، أسوة بك** »

وهكذا غرب زرادشت عن عالمه الذى عاش فيه معتكفا ، اذ راوده الحنين للناس ، فهجر عزلته ، ليعود انسانا ٠٠ فانحدر من الجبل ، حتى بلغ الغاب ، فاذا به يلتقى بشيخ عرفه ، فقال له: « لقد استيقظت يا زرادشت ، فماذا أنت فاعل قرب النائمين ؟ » ٠٠ فأجابه : « اننى أحب الناس ٠٠ وسأذهب لكى أهديهم ٠٠ وأنت ؟ »

ـ لقد حولت حبى الى الله ٠٠ فما الانسان فى نظرى الا كائن ناقص ، اذا ما أحببته قتلنى حبى !

ـ ومن يصف لك الحب الآن ؟ اننى انما أقصد الناس لأنفحهم بالهدايا

ـ انهم يحاذرون المنعزلين عن العالم ، ولايصدقون أننا نأتيهم بالهبات ٠٠ لا تقترب من هؤلاء الناس ٠٠ لا تبرح مقامك فى الغاب !

ـ وما عمل القديس فى هذا الغاب ؟

ـ اننى أنظم الأناشيد لأترنم بها ٠٠ فبالانشاد والبكاء والضحك أسبح الله ربى ٠

وافترقا وهما يضحكان كالأطفال ٠ فلما انفرد زرادشت،قال لنفسه : « انه لأمر جد مستغرب ٠٠ ألم يسمع هذا الشيخ فى غابه بأن الاله قد مات ! »

الانسان «الأسمى» ٠٠ أو الانسان المتفوق !

♦ **وواصل** زرادشت سيره ٠٠ فلما بلغ أول مدينة فى طريقه، رأى أهلها يحتشدون ليشهدوا بهلوانا اعتزم القيام ببعض الألعاب ، فوقف زرادشت فيهم خطيبا : « اننى آت اليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادى الا كائن يجب أن نفوقه ، فماذا أعددتم للتفوق ؟ ٠٠ ان كل كائن من الكائنات قد أوجد من نفسه شيئا يفوقه ٠٠ ولقد كنتم من جنس القرود فيما مضي ، وأنا آتيكم بنبأ الانسان المتفوق ٠ انه من الأرض كالمعني

من المبنى ، فلتتجه ارادتكم الى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحا لها .. أتوسل اليكم أن تحتفظوا للأرض باخلاصكم ، فلا تصدقوا من يمنونكم بآمال تتعالى فوقها .. **لقد كانت الروح تنظر فيما مضى الى الجسد فى احتقار . كانت تتمنى الجسد ناحلا ، قبيحا ، جائعا ، متوهمة أنها تتمكن بذلك من أن تعتق منه ومن الأرض التى يدب عليها . ولقد آن للاحتقار أن يبلغ أشده فيكم ، بعد أن استحال شرفكم ذاته ، كما استحالت عقولكم وفضائلكم الى أشياء تثير الكراهية والاشمئزاز!»**

ومضى زرادشت ينبههم الى أنهم فى حاجة الى لهب يطهرهم .. والى جنون ! .. وان «الانسان المتفوق» : « هو ذلك اللهب، وذلك الجنون ! » .. وهنا صاح الناس : كفانا ما سمعنا عن البهلوان ، « فليبرز الينا لنراه ! » .. لقد ظنوا أن زرادشت يمهد لظهور «البهلوان» بحديثه عن «الانسان المتفوق» . فبهت وصاح فيهم : « **ما الانسان الا حبل منصوب بين الحيوان والانسان المتفوق ، فهو الحبل المشدود فوق الهاوية .. وان فى العبور للجهة المقابلة لمخاطرة .. ولكن فى البقاء وسط الطريق خطرا محققا .. وكذلك الأمر فى الالتفات الى الوراء ، وفى كل تردد ، وكل توقف !** .. اننى أحب الذين يمرقون كالسهم الى الضفة الثانية .. أحب من يعيش ليتعلم ، ومن يتوق الى المعرفة كى يحيا الرجل المتفوق بعده .. أحب من يعمل ويخترع ليبنى مسكنا للانسان المتفوق ، فيهيىء ما فى الأرض من حيوان ونبات لاستقباله .. أحب من يحب فضيلته ، فما الفضيلة الا الطموح الى الزوال .. أحب من يجود بروحه فلا يطلب جزاء ولا شكورا، ولا يسترد ، فهو يهب دائما ولا يفكر فى استبقاء شىء لذاته .. أحب من يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم اليه ، اذ يحب أن يهلك بغضب ربه .. »

على هذا النحو مضى زرادشت يتحدث ، لكن الناس ظلوا يضحكون منه ، فتحول يتنبأ لهم بنهاية الأرض ونهاية البشر !

.. ولكنهم لم يفقهوا له قولا ، فقد كانوا منصرفين الى «البهلوان» وهو يلعب على الحبل .. غير أن البهلوان لم يلبث أن هوى فأصيب جسده برضوض . وحين أفاق من غشيته ، رأى زرادشت جاثيا الى جواره ، فقال له : « ما كنت أجهل أن الشيطان سيوجه خطواتي يوما الى الضلال ، وها هو ذا يجرني الآن الى جحيمه! » . ولكن زرادشت قال له : « **وشرفي يا صديقي أن ما تذكره لا وجود له .. فليس هناك شيطان ، ولا جحيم .. بل ان روحك ستموت بأسرع من جسدك ، فلا تخش بعد الآن شيئا .. انك اتخذت المخاطرة مهنة لك ، ولم يكن فيها ما يشين . أما الآن ، فمهنتك هي أن تفنى .. من أجل هذا سأدفنك بيدي !** »

وهكذا كان صيد زرادشت في يومه ، جثة هامدة ، ما لبث أن حملها ليدفنها . ولكن حفاري القبور رفضوا دفنها ، لأن أيديهم « أطهر من أن تدنس بجثة البهلوان ! » .. وهكذا شيعوا زرادشت ساخرين :

« أتريد أن تختلس من الشيطان طعامه ؟ .. ولكن الشيطان أمهر منك ! »



الانسان المتفوق يقفز فوق المترددين والمتأخرين!

◆ **وظل** زرادشت يضرب في الظلام ، خلال الاحراج والمستنقعات ، حتى صادف بيتا منعزلا ، فطرق بابه .. ووافاه شيخ يسأله حاجته ، فقال له : « أتيناك اثنان : حي وميت .

اعطنى مأكلا ومشربا » ٠٠ وبعد أن أكل وشرب ، انطلق ثانية فى الطريق ٠٠ ومع طلائع الصبح ، وصل الى غابة كثيفة ، فأخفى الجثة فى فراغ شجرة ، ثم نام على الأرض منهوك الجسم ، مرتاح الضمير ٠٠ ولم يستيقظ الا وأنوار الضحى تغمر عينيه٠٠وهزه المرح اذ اكتشف حقيقة جديدة : « **لقد انفتحت عيناى ٠٠ اننى بحاجة الى رفاق أحياء ، لا الى رفاق أموات ٠٠ ليس على زرادشت أن يخاطب جماعات ، بل عليه أن يخاطب رفاقا ٠٠ اننى أطلبهم مبدعين ، ولا أطلبهم جثثا وقطعانا ومؤمنين ٠٠ انظـــروا الى المؤمنين بجميع المعتقدات ، أتعرفون من هو ألد أعدائهم ؟ : انه من يحطم الألواح التى حفروا عليها سننهم ٠ ذلك هو الهدام ، المجرم ، غير أنه هو المبدع !** ٠٠ ان زرادشت يطلب من هم مثله مبدعون ، يشاركونه الحصاد والراحة ٠٠ لن أكون راعيا ، ولا حفارا للقبور ، وسوف لا أقف بعد الآن فى الجماعات خطيبا ٠٠ اننى أســـير الى هدفى وأتبع طريقى ، فأقفز فوق المترددين والمتأخرين ٠٠ وهكذا سيكون سيرى جنوحا الى الغروب ! »

قصة الجمل ، والأسد !

• **ودعونى** أقص عليكم كيف تحـول العقل جملا ، وكيف استحال الجمل أسدا ! ٠٠ ان العقل السليم يفتش عن أثقـــل الأحمال ، فينيخ ظهـــره كالجمل ، متوقعا رفع خـــير حمـــل اليه٠٠انه ينادى الأبطال : أى حمل هو الأثقل لأرفعه فتغتبط به قوتى ؟ ٠٠ هل أثقل الأحمال أن يتخلى الانسان عن مطلب اذا ما اقترن هذا المطلب بالظفر ؟ ٠٠ أم أثقلها هو تحمل المرض، أو مزاملة الصم الذين لا يسمعون ٠٠ أو الانحـــدار الى المياه القذرة ، اذا كانت الحقيقة فيها ٠٠ أو هو محبة من يحتقرنا ؟

ان الجمل ــ أى العقل ــ يحمل جميع هذه الأثقال المرهقة ، ويندفع نحو صحرائه ٠٠ وهناك ، يتم التحول الثاني ، اذ ينقلب

العقل أسدا ، لأنه يطمح الى نيل حريته وبسط سـيادته على صحرائه ٠٠ **وفى هذه الصحراء يفتش عن سيده ليناصبه العداء، فهو يستعد لمكافحة التنين ٠٠ والتنين هو كلمة « يجب عليك » ، لأن عقل الأسد يريد أن ينطق بكلمة : «أريد» ٠٠ ان «الواجب» يترصد الأسـد على الطريق ، ممثلا فى تنين مدرع بآلاف الأصداف ، وعلى كل صدفة تتوهج ـ بأحرف من ذهب ـ كلمة « يجب عليك » ٠٠ وعلى هذه الأصداف تشع شرائع ألف عام** ٠٠ والأسد يعجز عن خلق شرائع جديدة ، ما لم يستعد بتحرير نفسه ٠٠ والعمل الذى تحتاجون فيه أيها الاخوة الى الأسد هو تحرير أنفسكم ، والوقوف موقف البطولة والامتناع فى وجه كل شيء ، حتى فى وجه الواجب !

انتقموا ٠٠ ولا تحتقروا !

◆ **واستسلم** زرادشت للكرى يوما تحت شجرة تين ، فلسعته أفعى فى عنقه ، فصرخ متألما ٠٠ ثم قال لها : « **لا تذهبى قبل أن أقدم لك شكرى ، لأنك نبهتنى فى الزمن المناسب لأقوم بسفر بعيد » ٠ فأجابت فى أسى : « بل سـفرك قريب ، لأن سمى زعاف قاتل! » ٠٠ فابتسم وقال : « هل لزعاف الأفعى أن يقتل تنينا ؟ ٠٠ خذى سمك ، فلست من الغنى بحيث تقـدمين لى هدية ! »** ٠٠ فالتفت الافعى حول عنقه تلعق جراحه !

« اذا كان لكم عدو فلا تقابلوا شره بالخير ، وانما أكدوا له أنه أحسن بعمله اليكم ! والأجدر بكم ألا تحتقروا أحدا ٠ تظاهروا بالغضب ٠٠ واذا ما أنزلت بكم مظلمة كبيرة ، فبادلوا المعتدى مثلها ، وارفقوها بخمس مظالم صغرى ! ٠٠ لئن ينتقم الانسان قليلا ، فذلك أدنى الى المعروف ، وليس من الانسانية أن يترفع المظلوم عن الانتقام !

« واذا ظفرتم بعدو فصبوا عليه بغضكم ، وحذار أن تصبوا عليه احتقاركم ، فما عدوكم الا مدعاة لمباهاتكم ٠٠ فاذا عملتم

بوصيتى ، يصبح انتصاره انتصارا لكم أيضا . ان المحارب الصادق يفضل واجبه على رغباته ، فعليكم أن تسيروا دائما نحو هذا الهدف : ما الانسان الا كائن يجب أن نتفوق عليه » !

وتحدث زرادشت عن خطر الزهد ، فقال : « ما أكثر المنذرين بالموت ، الداعين الى الزهد ، انهم لأشد الناس خطرا ! هؤلاء هم المصابون بسل الروح ، فانهم لا يكادون يولدون للحياة حتى يبدأ موتهم ! .. انهم يتلفعون برداء فضفاض من الأسى ، ويتشوقون الى الحوادث التى تجر وراءها الموت .. ولكنهم يتوقعون الموت وأسنانهم تصطك فزعا ، فى الوقت الذى يمدون فيه أيديهم الى ما لذ وطاب ، هازئين .. فكأن الحياة قشة يهزأون بها ، ولكنهم يحرصون عليها !

الاخلاص للجسد ، فضيلة .. والعقوق له ، رذيلة

◆ **وترامى** زرادشت يوما بخياله الى ما وراء الانسانية ، فتراءى له هذا العالم كما يراه جميع المأخوذين بالعالم الآخر ، « خليقة اله متألم مضطرب » — كذا ! — فقال : « رأيت الدنيا كأنها أحلام نائم ، فى صورة أبخرة متقلبة متلونة ، ترتد عنها النفس غير راضية .. ولاح لى الخير والشر والأفراح والأحزان وذاتى وذات الآخرين ، كما تلوح الأبخرة الملونة لعين المبدع ، ولعل المبدع أراد أن يتحول ببصيرته عن ذاته فأوجد العالم ! .. ان المتألم لا ينتشى بمسرة أشد من مسرته حين يعرض عن آلامه وينسى نفسه .. هكذا تكشف لى العالم يوما فرأيت مسرته ثملا ونسيانا ، وهو يتقلب أبدا فى نقائصه .. ان العوالم الأخرى لم توجد فى هذا العالم سوى الآلام والشعور بالعجز .. وأوجدت معه هذا الجنون السريع الزوال ، بسعادة ما ذاقها من الناس الا أشدهم آلاما !

« صدقونى أيها الأخوة .. ان الجسد قد تملكه اليأس من

الأرض ، فسمع صوتا يناديه من قلب الوجـود ، فأراد أن يخترق برأسه أطراف الحواجز ، ليعبر الى العالم الثانى ٠ غير أن العالم الثانى جد خفى عن الناس ٠٠ لقد شاء الناس الفرار من الشقاء ، فاخترعوا أوهامهم وكؤوسهم الصـغيرة المترعة بالدماء ٠ وحسب هؤلاء الناس فى عقوقهم لأجسادهم انهم فازوا بالنعيم بعيدا عن جسدهم وعن الأرض ، وتناسـوا أن تنعمهم ورعشة ملذاتهم انما نشأت من جسـدهم ، ومن هذه الأرض ! » ـ (فكأنما يرى نيتشه أن الألوهية والمعتقدات من ابتكار الانسان ليسرى عن نفسه الشقاء !)

« ان زرادشت يشفق على أصحاب العقائد ورجال الـدين ، فلا يغضب لما أوجدوه من وسائل السلوان ، ولا يتمرمر لأنهم سلكوا مسلك العقوق نحو جسدهم ، بل هو يرجو لهم الشفاء ٠٠ انهم يكرهون الى حد الهـوس كل من يطلب المعـرفة ، ويكرهون أبسط الفضائل ، وهى فضيلة الاخلاص ٠٠ « **لقد عرفتهم ، أولئك المتجلين على صورة الله ومثاله ، فتيقنت من أن جميع رغباتهم تتجـه الى أن يؤمن الناس بهم ! » ٠٠ أما أنتم يا اخوتى ، فاصغوا الى صوت الجسد الذى شفى من دائه ، لأن الجسد السليم يتكلم بكل اخلاص وبكل وفاء !**

« الطفل يحق له أن يقول : «أنا جسد وروح» ٠٠ أما الانسان الذى انتبه وأدرك ذاته فيقول : « اننى جسـد لا غير ٠ وما الروح الا تسمية « لجزء » من هذا الجسـد ٠٠ ما الجسـد الا مجموعة آلات مؤتلفة يسيطر عليها العقل ٠٠ ما الجسد الا أداة صغيرة وألعوبة صغيرة ، تكمن وراءها الذات الحقيقية ، متأملة بعيون الحس ، ومصغية بآذان العقل ٠٠ والـذات تتحكم فى الشخصية لتسود عليها ، فان وراء احساسك وتفكيرك يكمن سيد أعظم منهما سلطانا ، لأنه الحكيم المجهول ٠٠ وهذا الحكيم

هو « الذات » المستقرة فى جسدك .. وهى جسدك بعينه ! » (١)

اذا ذهبت للنساء .. فلا تنس السوط !

◆ **بينما** كنت أسير اليوم منفردا فى طريقى ، عند الغروب، التقيت بشيخة ألحت فى الرجاء أن أحدثها عن النساء ، فقلت لها :« **كل ما فى المرأة لغز ، وليس لهذا اللغز الا مفتاح واحد ، هو : « الحمل » .. ليس الرجل بالنسبة للمرأة الا وسيلة ، وسيلة غايتها الولد ! .. أما الرجل الحقيقى فيطلب أمرين : المخاطرة ، واللعب . وذلك ما يدعوه الى طلب المرأة ، فهى أخطر الألعاب ! .. لقد خلق الرجل للحرب ، وخلقت المرأة ليسكن اليها الرجل .. ولا يحب المحارب الثمرة اذا ازدادت حلاوتها ، فهو لذلك يتوق الى المرأة ، لأنه يستطعم المرارة فى أشد النساء حلاوة !** .. وان المرأة لتفهم الطفل أكثر مما تفهم الرجل ، غير أن الرجل أقرب الى خلق الطفل من المرأة ، ففى كل رجل حقيقى يحتجب طفل يتوق الى اللعب ، فلتعمل المرأة على اكتشاف الطفل فى الرجل . ولتجعل من نفسها لعبة صغيرة له ، لعبة نقية ، كالماس ، تشع فيها فضائل العالم المنتظر .. ليتوهج الكوكب السنى فى حبك أيتها المرأة ، وليهتف شوقك قائلا : « لأنجب للعالم الانسان المتفوق » .. **وليحذر الرجل المرأة عندما يستولى الحب عليها ، فهى تضحى بكل شىء فى سبيل حبها ، اذ تضمحل فى نظرها قيم الأشياء كلها ازاء قيمته ! .. وليحذر الرجل المرأة عندما تساورها البغضاء ، لأنه اذا كان**

---

(١) كان الايمان لدى الغربيين يعتبر الجسد آلة شهوة يجب اذلالها ، فأنكر الحياة .. ولكن نيتشه يتمرد على هذا الوضع ، ويشطر الكيان الانسانى الى ذات والى شخصية تتألف من عقل وادراك زائلين ، قائلا ان الجسم وما فيه من حوافز مجردة خفية ، انما هو نفسه الذات التى تندفع الى التكامل لتبلغ مرتبة الانسان المتفوق ، والألوهية !

قلب الرجل مكمنا للقسوة ، فقلب المرأة مكمن للشر ! »

قالت العجوز : « سأعلن لك حقيقة صغيرة ، مكافأة لك على ما قلت : اذا ذهبت الى النساء ، فلا تنس السوط ! »

العشق جنون .. والزواج هو الحماقة الكبرى !

◆ **أنت** فى مقتبل العمر ، وتتمنى أن يكون لك زوجة وولد. ولكن ، قل لى : هل أنت الرجل الذى يحق له هـذا التمنى ؟ أأنت الظافر المنتصر على نفسه ، الحاكم على حواسه ، السائد على فضائله . أم أن تمنيك هذا ليس الا شهوة حيـوان ، أو خشية منفرد ، أو اضطراب من قام النزاع بينه وبين نفسه ؟

ان ما أريده منك هو أن تتوق بانتصارك وحريتك الى التجدد بالولد .. ليس عليك أن ترسل سلالتك الى الأمام فحسب ، بل عليك أن ترفعها الى ما فوق . فليكن عملك فى حقل الزواج منصبا الى هذه الغاية .. ما الزواج فى عرفى الا اتحاد ارادتين لايجاد فرد يفوق من كانا علة وجوده !

من الناس من ينطلق كالأبطال سعيا وراء الحقـائق ، فلا يلبث حتى يصطاد رباطا مزيفا يدعوه زواجا .. **ان ما تدعونه عشقا ليس سوى جنـون يتتالى نوبة بعـد نوبة ، حتى يجىء زواجكم فيختتم هذه الحماقات بالحمـاقة المسـتقرة الكبرى ! ويا ليت حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل كانا اشـفاقا يتبادله الهان يتألمان . ولكن هذا الحب لا يتجلى فى الغالب الا تفاهما بين احساس حيوانين !**

(وودع زرادشت المدينة التى شغف بها قلبه ، وكانت آخر دعوته لأتباعه : « لقد مات جميع الآلهة ، فلم يعد لنا من أمل الا ظهور الانسان المتفوق ! » .. هكذا تكلم زرادشت)

الجزء الثانى

يكره الرحماء .. ويحـذر من الرحمة !

◆ **ورجع** زرادشت الى الجبال ، آلى عزلة كهفه ، ليحتجب عن

الناس - كالزارع ألقى بذوره فى شقوق أرضه وبات يتوقع نبتها ! ولكنه ما لبث أن حنت جوارحه الى أحبابه ٠٠ وأوحى اليه أحد الأحلام بأن تعاليمه مشرفة على خطر ، اذ استأسد أعداؤه فشوهوها ، حتى أصبح أتباعه يخجلون منها ! ٠٠ فلقد رأى فى الحلم ولدا يحمل مرآة ويدعوه الى النظر فيها ٠٠ « وما نظرت الى المرآة حتى صرخت وخفق قلبى ٠٠ لأن ما انعكس على المرآة لم يكن وجهى ، بل كان وجها تقطبت أساريره بضحكة شيطان ساخر ! ٠٠ فهتفت لنفسى : « لقد فقدت صحبى ، وآن لى أن أفتش عمن فقدت ٠٠ أنا هو ريح الشمال تهب على الأثمار الناضجة ٠٠ ان تعاليمى تتساقط اليكم أيهاالصحاب ، فتذوقوها الآن ٠٠ بعد أن تعلمتم الهتاف باسم الانسان المتفوق ٠٠ ان الله افتراض ، وأنا أريد أن لا يذهب بكم الافتراض الى أبعد مما تفترض آرادتكم المبدعة ٠٠ أفتستطيعون أن تخلقوا الها ؟ ٠٠ اذن ، اقلعوا عن ذكر الآلهة جميعا ، وحسبكم ايجاد الانسان المتفوق !

« اننى والحق أكره الرحماء الذين ينشدون الغبطة برحمتهم ٠٠ لقد قال لى الشيطان يوما : « ان للرب جحيما ، هو جحيم محبته للناس » ٠٠ وقد سمعت هذا الشيطان يقول أخيرا : « لقد مات الاله ، وما أماته غير رحمته » ٠٠ احترسوا من الرحمة ، لأنها لا تلبث حتى تعقد فوق الانسان غماما متلبدا ٠٠ ان المحبة العظمى تتعامى عن الرحمة ، لأن لها هدفها الأسمى ، وهو خلق من تحب ! »

لماذا يلبس الكهنة السواد ؟

◆ **وتراءى** لزرادشت مرور رهط من الكهنة أمامه ، فقال لأتباعه : « عليكم أن تمروا أمامهم صامتين ، فان بينهم - وان كانوا أعدائى - أبطالا تحملوا شديد العذاب، فهم لذلك يريدون أن يعذبوا الآخرين ٠٠ اننى أتألم مع الكهنة ، لأنهم فى نظرى

سجناء يحملون وشم المنبوذين فى العالم . لقد أراد هؤلاء الكهنة أن يعيشوا كأشلاء الموتى ، فسربلوا جثثهم بالسواد ، فاذا هم ألقوا مواعظهم انتشرت منها رائحة اللحود والاكفان !

« انكم لتحقدون على ـ أيها الكهنة ـ لأنى أعلم الناس أن ليس هنالك معاقب ولا مثيب .. وليس للفضيلة ما تجزى به نفسها جميل الجزاء .. ان ما يؤلمنى هو أن العقاب والثواب قد حشرا حشرا فى أعماق نفوسكم .. **انكم تحبون فضيلتكم كما تحب الأم طفلها ، فهل سمعتم أن أما طلبت مكافأة عن عطف الأمومة فيها ؟ .. هل فضيلتكم الا ذاتكم نفسها ، وهى أعز ما لكم ؟ .. ولكن من الناس من يخال أن الفضيلة أشبه بتشنجات تحت سياط الجلاد ! .. ومن الناس من يرى الفضيلة فى الكسل والرذيلة .. ومن الناس من تشدهم شياطينهم الى أسفل ، فكلما تدهوروا ، ازدادت حدقاتهم توهجا ، وتزايد شوقهم الى ربهم ، وهم يصيحون : « ان كل ما هو خارج عن كيانى هو الله ، وهو الفضيلة ! »** .. وهناك قوم أشبه بالساعات ، يعبأ زنبركها فتسمع تكتكتها ، وهم يريدون أن تدعى حركتهم الآلية : فضيلة ! .. وهناك عشاق الحركات ، المعتقدون بأن الفضيلة نوع من الايمان ، فتراهم فى كل حين جاثين على ركبهم وقد قبضت احدى راحتيهم على الأخرى تمجيدا للفضيلة ، وما يدرك قلبهم منها شيئا ! »

لست عدوا للصبايا .. ولا للمرحين !

◆ **ومر** زرادشت بالغاب يوما ومعه صحبه ، فاكتشف مرجا بين الأشجار والأدغال . وكان هناك رهط من الصبايا الحسان يرقصن بعيدا عن أعين الرقباء . واذ لمحن القادم وعرفنه ، توقفن عن الرقص ، فقال لهن : « **داومن على رقصكن ، فما القادم بمزعج للمرحين ، وما هو بعدو للصبايا .. أنا من يدافع**

عن الله أمام الشيطان ، وما الشيطان الا الروح الثقيل ، فهل يسعني أن أكون عدوا لما فيكن من بهاء ورشاقة وخفة روح ؟ .. انني غابة اشتبكت فيها قائمات الأشجار ، ولكن من يقتحم ظلماتي بلا خوف ، يجد تحت سرواتي المعتمة طرقا تحف بجانبيها الورود .. ويجد أيضا الاله الصغير الذى تشتاق اليه الصبايا ـ كيوبيد ـ منطرحا فى هدوء قرب الينبوع ، وقد أغمض عينيه »

ورقص الاله الصغير « كيوبيد » ـ اله الحب ـ مع الصبايا ، فراح زرادشت ينشد : « ما أحب شيئا من صميم الفؤاد مثل الحياة ، واذا ما اندفعت الى الحكمة وأغرقت فى الالتجاء اليها ، فما ذلك الا لأنها تبالغ فى تذكيرى بالحياة » !

المحكوم أسعد من الحاكم !

◆ **ان** الخطر الذى يتهدد خيركم وشركم ـ أيها الحكماء ـ يكمن فى ارادة القوة نفسها .. ففى كل مكان عثرت فيه على حى ، طرقت أذنى كلمات الطاعة ، فما من حى يتعالى عن الخضوع ! .. وسمعت أخيرا : « **أن تولى الحكم أصعب من الطاعة** » ، **لأن الآمر يحمل أثقال جميع الخاضعين له ، وكثيرا ما ترهق هذه الأثقال كواهل الآمرين . فان فى كل أمر خطرا ومجازفة** .. ولقد تساءلت عن علة هذه الأمور ، وعن القوة التى ترغم الحى على الانقياد والتحكم فتجعله خاضعا حتى اذا حكم ، فتيقنت من وجود ارادة القوة فى كل حى ، ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون الى السيادة ليتحكموا فيمن هو أضعف منهم ! .. وبما أن الأضعف يستسلم للأقوى ، والأقوى يتمتع بسيادته على هذا الأضعف ، فان الأقوى يعرض نفسه للخطر فى سبيل قوته ، فهو يجازف بحياته !

الشرور الثلاثة : الشهوة ، والتحكم ، والأنانية !

◆ **رأيت** فى آخر أحلامى هذا الصباح ، اننى واقف على

جرف ينهار الى ما وراء هذا العالم ، وقد نصبت بيدى ميزانا طرحت الدنيا فى احدى كفتيه ، كتفاحة ناضجة ذهبية ٠٠ وعلى ضوء هذا الحلم ، أستطيع أن أضع فى الميزان الشرور الثلاثة العظمى التى تستحق اللعنة فى الأرض ، وهى : الشهوة ، والتحكم ، والأنانية !

الشهوة : وهى للمتقشفين ـ المحقرين للجسد ـ حافز ومعذب فى آن واحد : فالشهوة للئيم نار بطيئة الاحراق ، تتصاعد منها أبغض الروائح ٠٠ وللقلوب الحرة عاطفة بريئة حرة ، فهى سعادة الجنة الأرضية ٠٠ الشهوة سم حلو المذاق لكل من عراه الذبول ، ولكنها شراب القوة للاسياد ، يجرعونها بثمل الخاشعين ٠٠ الشهوة أعظم لذة ترمز الى السعادة والأمل الأسمى !

الطموح : أما الطموح الى التحكم فسوط يلهب أشد القلوب قسوة ٠٠ انه لجام قاس تراض به أشد الشعوب غرورا ، فهو المداعب للفضائل الحائرة المتطية صهوات الخيلاء ٠٠ انه زلزال هدام لكل متداع قديم ٠٠ ان للطموح الى التحكم نظرات تحنى هام الرجال فتجعلهم يزحفون زحفا ، وتستعبدهم وتهوى بهم الى دركة أحط من دركة الخنزير والأفعى !

ان الطموح الى الحكم يتعالى أيضا نحو الأنقياء والمعتزلين ، ليستهويهم ، فيذهب الى ذرى الاعتزاز بالنفس ، كأنه غرام مشتعل يرسم المسرات الحمراء الساحرة فى الخيال ٠٠ انه اندفاع من الأعالى الى الاعماق طلبا للقوة ٠٠ ان مثل هذا الطموح هو « الفضيلة الواهية » كما دعاه زرادشت من قديم الزمان ، فكان بوصفه هذا يوجه الثناء لأول مرة الى الأنانية

الأنانية : وما الأنانية الا توكيد للذات يتفجر من الروح ، فيجعل كل ما حولها يستمد القوة منها ويعكس خيالها كالمرآة ٠٠ وهل المرح الأنانى فى مثل هذه الأرواح والأجسام الا

الفضيلة بعينها ؟٠٠ انه يقصى كل ما هو دنىء اذ يعتبره شرا، وما الدنىء لديه الا المتألم الذى لا ينقطع عن الشكوى والأنين ٠٠ ان ما يكرهه المرح الأنانى فـوق كل كره ، هو الرجل المستنيم للضيم ، الممتنع عن الدفاع ٠٠ الرجل المـوغل في صبره ، المتحمل لكل شىء ، والقانع بكل شىء ، فتلك شيمة المستعبد المأجور !

ان هـذه الأنانية السعيدة تبصق فى وجه كل عبـودية ، فتزدرى كل متصاغر أمام الأرباب يركلونه بأقدامهم ، وأمام الناس وآراء الناس !

ولست أدعو الناس الى اثارة عاطفة حب الذات كما يمارسها المـرضى والمحمومون ، وانما أقول لهم : تعلموا الأنانيـة الصحيحة السليمة لتتمكنوا من احتمـال ذاتكم ، فلا تضلكم أنانيتكم ٠٠ وما ضلال الأنانية الا بانصرافها الى «محبة الغير» ٠٠ وان التدرب على محبة الذات لأدق الفنون وأصعبها !

الوصايا الجديدة ٠٠ وفلسفة القوة !

◆ **عندما** أتيت الى العالم ، وجدته قانعا بافتراضات قديمة ، واثقا من انه عرف كل شىء ، وميز بين خير الحيـاة وشرها ، فوقفت أنبه الغافلين : أمرت الناس بأن يهدموا كل قديم ٠٠ وجهتهم الى انقاذ الانسانية مما أرسى الماضى فى أغـوارها ، بتغيير كل « ما كان » ٠٠ ان محبتى لمن سيأتون فيما بعـد ، تقضى بأن أوصيهم بهذه الوصية : « لا تجامل قريبك » ، لأن الانسان قنطرة يجب علينا اجتيازها للتفوق عليه ٠٠ تفـوق على نفسك فى ذات قريبك ، فلا تدعه ينيلك حقا بوسعك أن تأخذه اقتدارا ، فان ما تفعله من خـير أو شر لا يبادلك اياه أحد ، اذ ليس فى العالم جزاء ، ومن لا يملك حكم نفسه وجبت الطاعة عليه ٠٠ لقد وهبت لنا الحياة ، فلنفكر ــ فى كل حين ــ فى خير ما يمكننا أن نبذل لقاء هذه الحياة ٠ فليس للمـرء أن يتمتع بلذة ، اذا هو لم يبذل لذة !

ما أقل من يعرفون الصدق والاخلاص ! ٠٠ وأكثر الناس تمويها هم المشفقون ، لأنهم لا ينطقون أبدا بالحق ٠ ومثل هذا الاشفاق فرض كامن فى القلب ، فان الرحماء يرضخون ويستسلمون للقلب يملى فيهم ارادته على العقل ٠٠ والعقل يمتثل دون ترو وادراك !

« لا تسرق ! ٠٠ لا تقتل ! » ٠٠ كلمات كانت مقدسة فى غابر الزمان ، ولكن : هل وجد فى الدنيا لصوص وقتلة أعتى ممن استفزتهم هذه الكلمات المقدسة ؟ ٠٠ أفليست السرقة والقتل من طبيعة الحياة نفسها ؟ وهل كان تقديس هذه الوصايا الا قتلا لحقيقة الحياة ؟ ٠٠ ان شرفكم كامن فى ارادتكم ، وفى الخطوة التى تندفعون بها الى التفوق على أنفسكم واجتياز حدودها ٠

سمعت الناس يتهامسون : « من يتعلم كثيرا يفقد شهواته العنيفة كلها » ٠٠ ورأيت ألواح وصية جديدة كتب عليها : « الحكمة مرهقة ، ولا شىء يستحق العناء ، فلا تعلق شهوتك على شىء » !٠٠ ما علق هذه الوصية فوق الرؤوس الا من تعبوا من الحياة ٠٠ ما علقها الا كهنة الموت ، وحراس المواخير ٠٠ ان المعرفة مسرة لمن تحفزه ارادة الأسد٠٠ولا مخلص للانسان الا الارادة ، لأن الارادة خالقة مبدعة ،وعلى الانسان أن يتعلم ليبدع !

ان عدد من يتسلقون معى نحو الذرى العليا ، يتناقصون كلما ازددت ارتفاعا ٠٠ وما أحسبنى قاسيا ، عاتيا ، ومع ذلك فانى أقول لكم : « **اذا ما رأيتم شخصا متداعيا على وشك السقوط ، فادفعوه بأيديكم واجهزوا عليه ٠٠ كل انسان تعجزون عن تعليمه الطيران ، علموه على الأقل أن يسرع بالسقوط** » !

اننى أحب الشجعان ٠٠ ولقد يكون الاقدام كل الاقدام ـ أحيانا ـ فى الاحجام ، وفى الاحتفاظ بالقوة لمن يستحق أن تبذل له ٠٠ فلا تتخذوا لكم أعداء الا من يستحق البغضاء ، وتجاوزوا عن عداء من لا يستحق سوى الاحتقار !

ليكن الزواج وسيلة للرقى !

◆ **انتبهوا** لكل زواج تعقدونه ، واحذروا الزيجات الفاسدة لأنكم اذا تسرعتم بها لم تجنوا غير حلها ٠٠ **وما رأيت زوجين لا تكافؤ بينهما ، الا وتبينت فيهما عاطفة الانتقام ، اذ يتحول نفور كل منهما الى عداء للناس ، اذا امتنع عليه أن ينطلق وحده ٠٠ ليس ما فرض عليكم مجرد التناسل والتكاثر فحسب ، وانما عليكم أيضا أن ترتقوا ٠ فلتكن جنة الزواج مدخلكم المرتقى ٠٠**

أى نفسى ! ٠٠ لقد نزعت منك كل خضوع وخنوع وتبعية واستعباد ، ورأيتك سائدة لكل شقاء ، ومتحكمة فى الدهر ٠٠ فتغنى ٠٠ اطلقى أناشيدك من أجلى !

نشيد البداية والنهاية !

◆ **أنا** العراف الممتلىء بالروح الكاشفة ، الصاعد فى طريق العلا بين بحرين ، السائر بين ما مضى وما سيأتى ٠٠ أنا الغمامة الحاملة للصواعق الكاشفة٠٠كيف لا أحن الى الأبدية ، وكيف لا أضطرم شوقا الى الزواج ؟ ٠٠ **اننى لم أجد حتى اليوم امرأة أتمناها « أما » لأبنائى ، لم أجد المرأة التى أحبها ٠٠ لأننى أحبك أيتها الأبدية !**

اذا كنت قد تهجمت بغضبى على القبور فانتهكت حرمتها ، وألقيت بألواح الشرائع فحطمتها على مهاوى الأغوار ٠٠ واذا كنت قد جلست مرحا مسرورا حيث دفنت آلهة الأزمان المنصرمة ، لأبارك العالم ، فما ذلك الا لأننى أتوق الى رؤية المعابد ومدافن الآلهة عندما تخترق عين السماء الصافية قبابها المحطمة ٠٠ فكيف لا أحن الى الأبدية ؟

اذا كانت فضيلتى فضيلة الراقصين ، واذا كنت كثيرا ما رقصت مأخوذا باشعاع الزمرد والذهب ، واذا كان شرى شرا ضاحكا ، يأنس الى حقول الزنابق وأغصان الورود ، فما ذلك

الا لأن كل ما هو شرير يعالج بالضحك ٠٠ ان الألف والياء عندى هما أن تتحول كل كثافة الى خفة ولطف ، فيصبح كل ثقيل خفيفا ، وكل جسم راقصا ، وكل فكر طائرا ٠٠ فكيف لا أتوق الى الأبدية ، واضطرم شوقا الى خاتم الزواج ٠٠ اننى أحبك أيتها الأبدية !

الرحمة خطيئة ! ٠٠ والمجتمع « بؤرة » نفاق !

◆ **وكرت** الأشهر ، وتوالت السنون على زرادشت وهو لا يشعر بها ، مع انها جللت بالبياض ناصيته وفوديه ٠٠ وفى صبيحة أحد الأيام ، جلس على مقعده الحجرى أمام غاره ، فاذا بظل آخر يرتسم قرب ظله ٠٠ والتفت خلفه ، فاذا العراف واقفا ٠٠ العراف الذى أشار الى الخمول يوما قائلا : « ان كل الأمور متشابهة ، وما من شىء يستحق العناء ، لأنه ليس للوجود معنى ، ولأن الحكمة خانقة قاتلة » ٠٠

وقال بشير التراخى والجمود : « ان الأمواج تدور بجبلك من كل جانب ، وعما قليل ستبلغ هذه الأمواج ــ أمواج الشقاء والآلام ــ الذرى فتذهب بسفينتك ٠٠ أفلا تسمع شيئا ؟ » ٠٠ وأصاخ زرادشت السمع ، ثم صاح : « **أجل يا نذير الشؤم ٠٠ أسمع استنجادا يصرخ به انسان ٠٠ ولكن مالى ولاغاثة الناس ٠٠ ما هى آخر خطيئة قدرت على ؟** » ٠٠ **قال العراف : « انها الرحمة ٠٠ وقد جئت لأسقطك فى هذه الخطيئة ٠٠ أتسمع ؟ ٠٠ انه الانسان الراقى يناديك مستنجدا »**

وانطلق زرادشت صوب مصدر الصوت المستنجد ٠٠ وما مضت ساعة ، حتى رأى ملكين متوجين ، يقودان حمارا ، فتوارى وتمتم : « يا للغرابة ! ٠٠ أرى ملكين ولا أرى سوى حمار واحد ! » ٠٠ فتوقف الملكان ، وقال الأيمن . « ان مثل هذه الأفكار تمر بالخاطر عندنا ، ولكن أحدا لا يفصح عنها » ٠ فهز الملك الأيسر كتفيه وقال : « لعل المتكلم راع أو ناسك عاش طويلا بين الصخور والأشجار ، **فالابتعاد عن المجتمع**



مفسد للأخلاق المهذبة ؟ » ٠٠ فقال الملك الآخر : « **وهل غادرنا مجتمعنا الا فرارا من أخلاقه المهذبة ؟ »** ٠ ومضى الملك يشكو من زيف الأخلاق فى المجتمع ، ويصف رياء الناس : « **لقد بلغ الاشمئزاز منى مداه ، لأننا نحن أيضا أصبحنا كاذبين ٠٠ أف للحياة بين الشعوب ، ويا لشقاء من يمشون فى طلائعها ! ٠٠ أية أهمية بقيت للملوك ؟ »**

وطرب « زرادشت » لما سمع ، فطلع على الملكين ، وتحدث اليهما ، فاذا بهما يسعيان بحثا عن « الانسان الراقى » ، وقد ساقا اليه الحمار ، « لأن على الانسان الأعلى ، أن يكون المعلم الأعلى » ! ٠٠ وعجب زرادشت من أن تكون لدى الملوك مثل هذه الفلسفة ، فدعاهما الى مغارته ٠٠

وفيما هو يسير مستغرقا فى التفكير ، اصطدم برجل جثم على الأرض ، وقد غرس ذراعه فى المستنقع وكأنه يتصيد منه شيئا ٠٠ وانهال الرجل سبابا على زرادشت ، ولكن هذا لم يلبث أن سأله عمن يكون ، فقال : « أنا ضمير الفكر ، وليس من رجل عامل أشد صلابة وأكثر تقيدا منى ، سوى معلمى زرادشت ٠٠ وقد تعلمت منه انه **خير للانسان أن يكون مجنونا فى عين نفسه ، من أن يكون حكيما فى أعين الناس ! »**

الساحر الملحد « يجدف » على الله

◆ **وسار** زرادشت فى طريقه ، فما عتم أن التقى بشيخ ممدد على الأرض ، متشنجا ، وهو ينشد فى أنين وشكوى :

« أنا المحتضر المحتاج الى أكف تفرك رجلى الباردتين .. ها أنذا طـريح أتلوى بعذاب الأبد ، تحت ضرباتك أيهـا الصياد العاتي ، أنت أيها الاله المجهول .. **مالك تطيل تعذيبى ، فلا ترشقني الا بسهام فلت سنانها .. أفما مللت عـذاب بنى الانسان ؟** .. أراك تقترب منى زاحفا فى الليل .. اذهب عنى .. ارجع أيها المتطاول المجهـول .. ما الذى تبتغى اختطافه أيها الجلاد ! .. أتريد أن أترامى كالكلب على قدميك ؟ .. انك تضرب عبثا ، فما أنا بكلب ! .. انك ترهقنى بتعـذيبك .. **اعطنى المحبـة .. اعطنى اياها ، أنا المنفـرد فى الصقيع ، المشوق حتى الى اعدائه ! .. لا ، لا تذهب .. عد الى بتعذيبك .. فان دموعى كلها تنهمر شـوقا اليك .. عد الى ، يا الهى المجهول ، يا ألمى ، يا منتهى سعادتى !** »

وانهال عليه زرادشت ضربا ـ اذ عرف فيه الساحر ـ وراح يقول : « كف أيها المشعوذ .. يا مشعوذ الأرواح ، ما أنت الا مظهر لا ينم عن حقيقته .. بأى دور كنت تقوم أيها الساحر المشئوم ؟ » .. فقال الساحر : « كنت أمثل دور كفارة العقل، أفلست أنت المخترع لهذا التعبير ؟ » .. فقـال زرادشت : « لا ريب فى أنك خدعت من قبلى من هم أقوى فراسة منى .. لقد بلغت من السحر ما تستهوى به الناس ، ولكنك لا تجد من الكذب والرياء ما تستهوى به نفسك ! »

البابا و « زرادشت » يتساجلان !

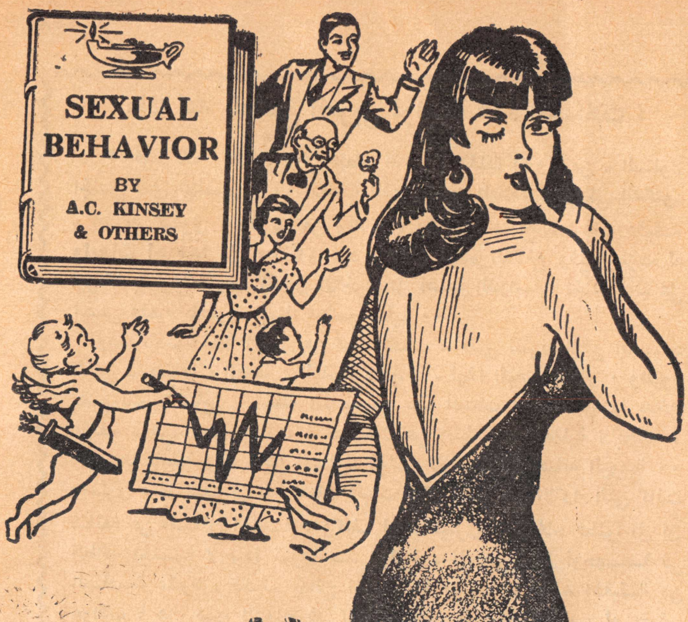
◆ **ولا يكاد** الحكيم يفارق الساحر ، حتى يلتقى بواحد من « طغمة الكهنة » يبحث عن « ناسك صالح ، هو آخر الاتقياء » .. ولكن القديس كان قد مات .. والاله الذى كان يتعبد له قد مات هو الآخـر ! .. ويكشف الرجل عن شخصيته فاذا هو آخر « البابوات » ، ويقول بصوت حزين : « **ها أنذا اعتزل الآن ولا سـيد لى ، ولكننى لم أنل حـريتى !** » . ويبادره

زرادشت قائلا : « وأنا زرادشت الجاحد » . فيقول الشيخ : « ما فقد الله أحد ، أكثر مما فقده من تناهى فى حبه له ، وفاق الكل بامتلاكه .. أفما ترى اننى أشد جحودا منك ؟ »

وفكر زرادشت لحظة ثم قال : « هل خدمته الى آخر حياته ؟ .. أصحيح ما يقال من أن الرحمة قبضت على عنقه فأردته مخنوقا ، حين رأى الانسان معلقا على الصليب ، فثقل عليه أن يصبح حبه للناس جحيما يورده الفناء ؟ » .. فقال الشيخ : **« لقد كان الها خفيا ملفعا بالأسرار .. من يسبح الله كأنه رب المحبة فقد قصرت مداركه عن بلوغ مرتبة الحب السامية . أفما أراد هذا الاله أن يقيم نفسه قاضيا ؟ .. لقد كان فى شبابه قاسيا ، فأوجد جحيما لتسلية صحبه ، ولكنه شاخ مع الأيام فأصبح متراخيا رحيما..وأحس بتعبه من ارادته ومن العالم ، فما عتم حتى قضى مختنقا بعميم رحمته ! »**

فقال زرادشت : « ايا كان سبب موته ، فان شر ما أذكره به هو انه كان يشوش على ابصارى وأسماعى .. أفما كان فى تفكيره كثير من الايهام ؟ .. لكم ثار علينا بغضبه لأننا لم ندرك غوامض أقواله ، وكان الأجدر به أن يأتى ببيان صريح لا يحتمل تأويلا .. **واذا كانت آذاننا هى التى أساءت سماع أقواله ، فمن ترى وضع الطين فيها ؟ .. لكم تحطم من اناء تحت يد هذا الخزاف ، فعلام ينتقم من مخلوقاته التى أبدعها ، اذا كانت قد خرجت مشوهة بين يديه ؟! »**

عندئذ صاح الجد العجوز : « ما الذى أسمعه منك يا زرادشت ؟ .. الحق انك بلغت من التقوى ما لا تدرك مداه ، فلابد أن تكون قد التقيت باله هداك الى كفرك ، لأن ايمانك نفسه قد صدك عن الاعتقاد بالله ، ولسوف يقودك اخلاصك أخيرا الى ما وراء الخير والشر .. **انك تحاول الظهور أمامى كأشد الناس كفرا ، ولكننى أشتم منك عطر البركة المستمرة ، فأشعر منها بلذة يخامرها الألم ! »**



السلوك الجنسي!

التقرير الذى هز الولايات المتحدة
-من أقصاها الى أقصاها- بما كشفه
من أسرار الحياة الجنسية بين أهلها!

للباحث الأمريكي الكبير ألفريد كينزي وآخرين.

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

ماذا أعد المجتمع العربى لمواجهة هذه المشكلات ؟

◆ قدم لك « كتابى » فى العدد الماضى ، الحلقة الأولى من « السلوك الجنسى لدى الانسان » .. الكتاب الذى وضعه العلامة الامريكى الدكتور « الفريد كينزى » وفريق من زملائه ، وضمنوه نتائج دراسات دقيقة وأبحاث أجروها على ١٢٠٠٠ فرد ، فكان لهذه النتائج وقع اهتزت له أمريكا بأسرها ، ونبه الدول الأخرى الى أهمية الدراسات الجنسية - على أسس علمية محض - لبناء مجتمع سليم ..

وقد كانت الحلقة الأولى من هذا الكتاب - التى نشرناها فى العدد الماضى - بمثابة « المقدمة » العلمية « الجافة » لهذا البحث الخطير . واليوم يقدم لك « كتابى » الحلقة الثانية من هذا الكتاب الهام ، وفيها يدخل المؤلف « فى الموضوع » ، فيتحدث عن التطبيقات العملية لأبحاثه ، ويزودها بأمثلة واقعية من السلوك الجنسى للانسان فى حياته اليومية .. وسترى منها كيف أن الدراسات أثبتت خطل الكثير من الآراء التى كانت شائعة عن المسائل الجنسية ، وكيف أن « كينزى » وزملاءه فطنوا الى أن الطاقة الجنسية لا تبدأ نموها عند البلوغ ، بل هى تبلغ أوجها فى السادسة عشرة ، فكيف يعالج المجتمع ما يترتب على هذه الحقيقة من عواقب ؟ هل يبيح الزواج فى تلك السن ، أو يبيح البغاء ، أو يغمض عينيه عن ألوان الفساد والشذوذ لدى المراهقين ولدى الشيوخ ، أو يغمض عينيه عن أحكام القانون ؟

واذا كان « كينزى » قد نبه المجتمع الامريكى ، فخليق بنا أن ننتبه بدورنا الى هذه المشكلات ، بل نحن أولى بالمبادرة الى علاجها ، نظرا لأن أجواء بلادنا العربية تقدم السن التى تبلغ فيها الطاقة الجنسية أوجها ، الى ما قبل السادسة عشرة ، فتتجلى نتائجها بين الشباب مبكرة عنها فى البلاد الغربية

تأثير الدين فى تأخير البلوغ !

◆ **المراهقة** مرحلة من حياة الانسان تتخللها تغيرات وتطورات ، يسبق بعضها « البلوغ » ذاته ، ويحدث بعضها الآخر بعده . فالتغيرات البدنية تأتى لدى معظم الصبية مفاجئة الى

حد كبير ، بين الحادية عشرة والرابعة عشرة من العمر عـادة ، فاذا النشاط الجنسى يشتد ، ويظل كذلك بضعة أعوام. وكثيرا ما يصل فى هذه الفترة الى أعلى مستوى يبلغه فى حياة الشخص بأسرها . وقد اعتمدنا فى أغلب البيانات التى حصلنا عليهـا – فى دراستنا لهذه الفترة – على ذاكرة الأشـخاص الى حد كبير . وهى تجمع على أن التغير المادى يتخذ الشكل التالى : بدء نمو شعر العانة ، القذف الأول ، تغير الصوت نحو الخشونة ، اسراع نمو طول القامة .. ألخ

ولقد كان تاريخ القذف الأول من الموضوعات التى تعوزهـا البيانات العلمية الدقيقة ، ولكننا وجدنا من دراستنا لحـالات ٢٩١ صبيا ، أن ثلاثة منهم خبروا القـذف الأول فى سن الثامنة ! .. وقد أورد بعض الكتاب والباحثين – من قبـل – حالات حدث فيها القذف قبل هذه السن ! .. على أننا وجدنا كذلك انه تأخر لدى اثنين – ممن كانوا موضوع دراستنا – الى سن الحادية والعشرين ، و لدى اثنين آخرين الى سن الرابعـة والعشرين ، نتيجـة للتأثير الـدينى ، والى ما بعد الرابعة والعشرين نتيجة ضعف فى الهرمونات . على أن متوسط سن القذف الأول لدى المجموعة التى درسناها كان سن السادسـة عشرة !

ومع ذلك فان للتعليم والثقافة – أى المستوى الاجتماعى – تأثيرا فى التعجيل بالقذف الأول . فقد وجد ان السن الدنيا للقذف الأول لدى الصبية الذين لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الاعدادى اطلاقا هى ١٤٫٨٥ سنة ، فى حين أنها تهبط بالنسبة للذين يدخلون المدارس الثانوية ولا يواصلون الدراسة بعدها الى ١٣٫٩٧ سنة ، أما لدى الذين يدخلون المدارس العليا ،فان هذه السن تهبط الى ١٣٫٧١ سنة . ولعل السبب فى هـذا التفاوت يرجع الى الفوارق فى التغذية ، فالذى يواصل التعليم

ينتمى فى الغالب الى مستوى اجتماعى يتيح له تغذية أفضل من سواه !

والقذف الأول ، الذى ينجم عن أحلام مثيرة ، يحدث عادة بعد عام أو أكثر من ظهور بوادر التغيرات المادية التى تطرأ على الجسم فى بدء فترة المراهقة . وبالنسبة لأبناء الولايات المتحدة، نجد أن موارد القذف الأول لدى الذكور ترجع - حسب ترتيبها من حيث الكثرة - الى : الاستمناء (العادة السرية) لدى حوالى ثلثى الذكور .. والأحلام ، لدى واحد من كل ثمانية .. والجماع مع أنثى ، لدى واحد من كل ثمانية .. والجماع مع صبى لدى واحد من كل عشرين . على أن هناك فوارق ترجع للمستوى الدراسى والتربوى : فأعلى نسبة للعادة السرية توجد لدى صبية الطبقة المتوسطة ، أى الصبية الذين ينقطعون عن الدراسة بين السنة الأولى من التعليم الثانوى ، وبين السنة الأولى من التعليم العالى .. فى حين أن أعلى نسبة للقذف الاول الناشىء عن الجماع مع أفراد من الجنس الآخر توجد لدى الذين لم يواصلوا التعليم بعد المرحلة الاعدادية ، أى الطبقة الأدنى من الطبقة المتوسطة . ومعنى هذا انه تتوفر لدى هؤلاء حرية جنسية سليمة أكثر من أفراد الطبقة المتفوقة عليهم اجتماعيا. وقد وجد أن القذف الأول لا يحدث دون اتصال بالأعضاء التناسلية الا لدى الا ١٨ر٠ فى المائة ، أى ١٨ فى كل عشرة آلاف .. وفى هذه الحالات النادرة ، قد يتأتى القذف عن انهاك بدنى - كالمصارعة - أو الجلوس طويلا فى مكان واحد.. أو نتيجة استثارة عاطفية ، كالقراءة أو مشاهدة الأفلام السينمائية

أسباب القذف الأول دون اتصال بدنى !

أسباب مادية : الجلوس الى تختة الدراسة ، الجلوس فى الفصل ، النوم على الأرض دون تحرك ، النوم على وضع واحد

فى السرير ، التبول والتغوط ، الاستحمام ، تجفيف الجسم بمنشفة ، تهيج البشرة عامة ، التزحلق على مقعد أو على درابزين السلم ، الانهاك فى الألعاب الرياضية ، تسلق شجرة أو صار أو حبل ، مصارعة الذكور أو الاناث ، ركوب سيارة ، الثياب الضيقة ٠٠ الخ

أسباب عاطفية : أحلام اليقظة ، القراءة ، ارتياد السينما ، مشاهدة المسرحيات (الفودفيل) ، تلقى قبلات من أنثى ، مشاهدة الغزل بين الغير ، استراق النظر الى أنثى عارية ، الاستماع الى أحاديث فى المسائل الجنسية ، حلب الأبقار ، الفزع فى الليل ، الانزعاج من رنين جرس ، مشاهدة مباراة رياضية مثيرة ، الامتحان المدرسى ، « التسميع » أمام الفصل ، الاصابة فى حادث تصادم !

ويبدأ أكثر من ٩٩ فى المائة من الأولاد حياة جنسية منتظمة بعد القذف الأول مباشرة ٠ ويختلف الذكور فى هذا عن الاناث ، فمن هؤلاء من تقضى ، بين التجربة الأولى وبين ممارسة حياة جنسية منتظمة ، فترة تتراوح بين عام واحد وعشرة أعوام ٠٠ بل وعشرين عاما فى بعض الحالات !

نسبة اللذة الجنسية فى الجماع الزوجى ٠٠ والشذوذ الجنسى آ

• **وتنطوى** جميع الاتصالات الجنسية للذكر الناضج على تفاعلات عاطفية فيها بذل للطاقة وانفاق للنشاط ٠ ومن هنا يمكن اعتبار جميع اتصالاته وسائل للتفريج الجنسى ، وان لم تؤد الى ذروة اللذة ٠ ولقد ذكرنا فى الحلقة السابقة من هذا الكتاب أن لبلوغ ذروة اللذة ستة موارد رئيسية هى : الاستمناء (العادة السرية) ، والاحتلام ، وملاعبة الجنس الآخر ، ومجامعة الجنس الآخر ، وعلاقة الذكر بواحد من جنسه ، ومجامعة الحيوان وما اليه ٠ ومعظم الذكور يعتمدون عادة على اثنين أو أكثر من هذه الموارد ، فى التفريج عن انفعالاتهم الجنسية ٠٠ بل ان الجماع فى ظل الزواج قد لا يوفر لبعض

الذكور المتزوجين أكثر من ٦٢ فى المائة من اللذة الجنسية ٠ **كما أن معظم من يعتبرهم زملاؤهم « شواذا » ، من الذين يتصلون جنسيا بأفراد من جنسهم ، سواء فى مدرسة أو فى سجن ، قد لا يحصلون من هذا المورد الا على نسبة ضئيلة من اللذة ٠٠ اذ كثيرا ما تكون للفرد من هؤلاء الشواذ ـ فى الوقت نفسه ـ علاقات جنسية طبيعية مع أفراد من الجنس الآخر ٠ وهذه نقطة تنزلق عندها أحيانا الدراسات النفسية ، فتعتبر من ذوى الشذوذ الجنسى من لم يمارسوه سوى مرة واحدة أو نحوها !** ٠٠ والواقع أنه ينبغى عند محاولة تقدير مدى نوع معين من النشاط فى حياة الفرد ، أو نوع معين من السلوك الجنسى لدى جماعة من الناس ، أن ندرس مدى ما لهذا المسلك من أثر فى الصورة العامة للسلوك الجنسى لدى الجماعة

الناس فى دنيا الجنس ٠٠ مذاهب !

◆ **وفى** هذا المضمار أيضا ، نجد من دراساتنا أن ثمة فوارق فى الحد الأدنى لعدد مرات ممارسة النشاط الجنسى ٠ وتتوقف هذه الفروق على السن ، والزواج ، والتعليم ، والدين ، والمعيشة فى المدينة أو فى الريف ، وبعض العوامل الجسدية والاجتماعية الأخرى ٠ ولابد من مراعاة هذه العوامل أيضا عند تقدير حقيقة السلوك الجنسى لدى شعب أو جماعة من الناس ٠ **فهناك من الذكور فئة قليلة العدد يقضى أفرادها سنوات عديدة دون أن يمارسوا القذف ٠ وهناك حالة واحدة ـ من الحالات التى درسناها ـ لم يمارس صاحبها القذف سوى مرة واحدة خلال ثلاثين عاما ، رغم انه سليم الصحة ، صحيح الجسد ! ٠٠ فى حين أن هناك من ظلوا يمارسون القذف بمتوسط ١٠ أو ٢٠ مرة أو أكثر ، فى الأسبوع ، لمدة طويلة ! وهناك شخص ـ هو محام بارع له دراسات واسعة ـ ظل يمارس القذف بمتوسط يزيد على ٣٠ مرة أسبوعيا ، لمدة ثلاثين سنة !**

ولهذا التباين الشديد فى عدد مرات النشاط الجنسى أهمية اجتماعية كبيرة • ذلك لأن قوانيننا الخلقية ، ونظامنا الاجتماعى، وعاداتنا فى الزواج ، وقوانيننا الجنسية ، ونظمنا التربوية ، تقوم كلها على زعم أن الأفراد متشابهون من الناحية الجنسية ، وان من السهل على الأفراد جميعا أن يقصروا سلوكهم الجنسى على نمط واحد تمليه هذه الاعتبارات • بل اننا لا نجد فى بعض الأوضاع الجنسية ـ كالزواج ـ اهتماما يذكر بما يحتمل أن يكون هناك من اختلافات بين الزوجين فى الميول ، والمعرفة العامة ، والمقدرة الجنسية • ونجد أن رجال التربية الذين يعدون برنامجا يلائم جميع الاطفال ، فى مرحلة معينة من المراحل الدراسية ، يهملون الواقع الذى يؤكد أنه بينما يستطيع فرد أن يتمشى مع نوع معين من الاعداد الجنسى أو التنظيم الجنسى ، نرى انه يستحيل على شخص آخر أن يتمشى مع هذا المعدل المفروض • ومن هنا نشأت آلاف المشكلات المترتبة على مسائل التنظيم الجنسى فى الجيش أو البحرية ، والمشكلات الجنسية فى مؤسسات العقاب (السجون) ، أو المصحات العقلية ، أو المؤسسات الأخرى

الدراسات الجنسية تتأثر بالسلوك الجنسي للقائمين بالدراسة !

◆ **ولا** يكاد يثير موضوع من الجدل مثل ما يثيره هذا الموضوع ، اذا ما اجتمع رجال التربية ليبحثوا المسائل الجنسية والسياسات التى يجب أن تتبع فى ادارة مختلف المعاهد •

ولو أن شخصا أتيح له أن يدرس حياة كل فرد من هؤلاء المتناقشين ، المتبايني الآراء، لوجد أن بينهم أشخاصا لايستمتع الواحد منهم بالقذف سوى مرة أو اثنتين فى العام ، بينما يوجد من زملائه من يستمتع بذروة اللذة عشر أو عشرين مرة فى الأسبوع ، بانتظام ! •• ولا يفطن كل من أفراد الطرفين المتطرفين الى أن بين زملائه من يختلف عنه اختلافا بينا • وهذا عين ما يجرى أيضا فى الاجتماعات التى تناقش فيها مسائل

الانحراف بين الأحداث ، وتنفيذ القوانين ، وبحث الاجراءات التشريعية للقوانين الجنسية ، فتكون النتيجة أن تأتى السياسات التى تسفر عنها هذه الاجتماعات ، مطابقةلاتجاهات وسلوك أكثر الأعضاء لباقة ، وأشدهم اقناعا ! .. حتى البحث العلمى فى المسائل الجنسية ، كثيرا ما يصطبغ بالتجربة الشخصية للباحث . وكم تحفل المؤلفات النفسية، والدراسات المتعلقة بالأمراض العقلية ، بمصطلحات بشأن التفريج عن الانفعالات الجنسية ، لا يمكن فى الواقع اتخاذها مقاييس ثابتة، وعامة .

ومن هنا نرى أن وصف المرء بأنه « عادى » أو « شاذ » ، يصطبغ عادة بوضع المؤلف نفسه فى هذا المجال . فلفظ«شاذ» يستخدم فى الطب العلاجي لوصف الظروف التى تتعارض مع السعادة والرفاهية ـ المادية والعضوية ـ للجسم الحى . أما فى الدراسات الاجتماعية ، فقد يستخدم هذا التعبير فى وصف النشاط الجنسى الذى يؤدى الى مرض اجتماعى ، أى الى انحراف ، مع انه ينطوى على وجوب تحديد ما هو صالح لمعيشة الفرد ، أو متفق مع العرف الاجتماعى السليم ، وهى مسائل لا يمكن تحديدها بسهولة كما تحدد السلامة العضوية للجسد .. أجل ، ليس من السهل أن نقرر أن أى انحراف معين عن القيم التى وضعها العرف للجنس ، أو أية ممارسة للمحظورات الجنسية فى المجتمع ، تنطوى حتما ـ أو عادة ـ على مرض عصبى ، أو اختلال عقلى .. **فالواقع أن الحالات التى درسناها دلت بوضوح على أن الذين يخرقون المحظورات التى اصطلح عليها المجتمع فى النواحى الجنسية ، أشخاص يتمشون مع المجتمع فى توافق وانسجام يبعثان على الرضى** .. على أن الدراسات العملية ، والأبحاث الطبية القائمة على دراسة حالات حية يجب أن لا تتقيد بالنظريات . **فالاعتقاد ـ مثلا ـ بأن الشذوذ الجنسى ، (كالافراط فى العادة السرية ، أو فى الجماع**

قبل الزواج ، أو الافراط فى الجماع بعد الزواج ، أو ممارسة بعض العلاقات الجنسية بالفم ، أو مجامعة أفراد من نفس الجنس ، أو مجامعة الحيوان) - الاعتقاد بأن هذه الألوان من الشذوذ تخلق شخصيات شاذة ، أو مصابة باختلال عقلى ، أمر قائم على انعكاس « العرف » الاجتماعى على النفوس ، ولكنه من الناحية المادية غير صحيح !

ولقد كان من السهل -فى علاج الأمراض العصبية والعقلية- الكشف عن النواحى الجنسية فى حياة المريض ، واتخاذها كأعراض للمرض العصبى ، ثم تشخيص المرض على انه انحراف عن الأوضاع والعرف المصطلح عليها فى المجتمع ٠٠ ولكن الأمر أبعد من هذا وأدق ، وكان خليقا بالمعنيين بهذه المسائل أن يحاولوا أولا اكتشاف المتوسط « العادى » لعدد مرات التفريج الجنسى لدى من يسمونهم « شواذا » أو « منحرفين » ، وأن يتعرفوا - على نطاق أوسع - على الحياة الجنسية لخير الأفراد انسجاما مع المجتمع ! ٠٠ والواقع أن معظم التعقيدات التى تلاحظ فى الحياة الجنسية للفرد ، انما تنشأ عن تصرف المجتمع ، ورد الفعل الذى ينتابه عندما يعلم بمسلك الفرد ٠٠ أو عن خوف الفرد من تصرف المجتمع اذا علم بمسلكه ! وهذا التصرف ، أو رد الفعل الذى ينتاب المجتمع أزاء السلوك الجنسى لبعض الأفراد الذين يخالفون العرف والقوانين المصطلح عليها ، هو الذى يستحق الدراسة والفحص ٠ **وخليق بعلماء النفس أن لا يهتموا بالأفراد الذين ينحرفون عن عرف الجماعة وعاداتها ، قدر اهتمامهم بدراسة السبب الذى من أجله تنصاع الأغلبية العظمى من الجماعة لعرف وعادات مخالفة فرضت منذ القدم !**

عوامل الاختلاف بين الأفراد فى السلوك الجنسى

◆ **وتقوم** الفوارق فى السلوك الجنسى بين الافراد على ثلاثة عوامل : التباين فى الأعضاء والتكوين العضوى - نتيجة

الوراثة والبيئة ـ ثم الاستعداد النفسى ٠٠ وأخيرا القيود الاجتماعية ٠

وأهم العوامل العضوية التى تؤثر على طبيعة الاستجابة الجنسية ومدى تعددها ، هى **القوى الوراثية** التى تؤدى الى قسط من التباين فى الأجهزة الحسية ، وفى التغيرات التى تطرأ على الأعضاء عند الاستجابة الجنسية ٠ **كذلك يترتب التباين فى سلوك الفرد الواحد على السن ، ومستوى وظائف الأعضاء ، والفيتامينات ، والصحة العامة ، والتغيرات التى تصيب الجهاز العصبى** ٠ ولقد اتجه القسط الأوفر من دراسة تأثر الوظائف العضوية ، الى الهرمونات الجنسية ، فأثبتت التجارب أن زيادة هرمونات الذكور تضاعف مدى النشاط الجنسى عندهم ٠

ويترتب على **الاستعداد النفسى** قسط كبير من التباين فى السلوك الجنسى فى أية جماعة من الناس ٠ فان اعتبار الفرد من المفرطين أو المقلين فى التفريج الجنسى ، يتوقف الى حد ما على ما يكون للفرد من تجربة سابقة ، وما اذا كانت هذه التجربة مشجعة أو مثبطة ٠ كما أن أسلوب الفرد فى التفريج الجنسى قبل الزواج ـ كاعتماده على العادة السرية ، أو ايثاره الجماع ـ انما يتوقف على نفس العامل ٠

وهناك مجموعة ثالثة من العوامل التى تحدث التباين فى السلوك الجنسى ، تلك هى **العوامل الاجتماعية : فان** أساليب السلوك الجنسى ترجع ـ الى حد يدعو الى الدهشة ـ الى انعكاسات أساليب الحياة فى المستوى الاجتماعى الذى يعيش فيه الفرد ، كما سيتبين فى أحد الفصول المقبلة ٠ فضلا عن ان اختيار الفرد للأسلوب الجنسى الذى ينتهجه يتأثر الى حد كبير بالتقاليد ، والعادات ، والآراء المتوارثة من مئات السنين ٠٠

والى جانب هذه العوامل جميعا ، توجد عوامل أخرى قد تحدث تباينا فى مدى وموارد النشاط الجنسى لدى الفرد فى سنى حياته ٠٠ على أن العامل الرئيسى فى تباين نشاط الفرد



البر لوحة جميلة من معروضـــات متحف اللوفر ، للفنـــان « اندريا دل سارتو » (١٤٨٦ - ١٥٣١)



الخريف ! لوحة فوتوغرافية للمصـــور « بيت بور بان »
(من هونج كونج)

فى فترة محدودة ـ كخمس سنوات مثلا ـ يتمثل فى الصحة البدنية ، وفى تطور الظروف التى تؤثر على فرص الاتصال الجنسى ٠

مدى النشاط الجنسى الفعلى عند الأعزب ٠٠ والمتزوج

◆ **وليس** من السهل أن نقرر الفرق بين مدى ممارسة الفرد للتفريج الجنسى ، وبين المدى الذى كان يمكن أن تصل اليه هذه الممارسة لو لم تكن ثمة قيود تحد من مسلكه ٠ **وقد وجد من دراسة ٢٨٦٨ حالة أن متوسط عدد مرات التفريج الجنسى ـ الافراز أو القذف ـ لدى الذكر غير المتزوج ، فى الفترة بين السادسة عشرة من العمر وبين العشرين ، هو ٣٫٣٥ مرة فى الأسبوع ، فى حين انه لدى المتزوج من نفس فئة السن ٤٫٨٣ مرات فى الأسبوع ٠ ويرجع سبب هذا الفرق ـ الى حد كبير ـ الى القيود التى يفرضها المجتمع على النشاط الجنسى لغير المتزوجين** ٠ ومن ناحية أخرى ، قد يكون المتوسط لدى المتزوجين أعلى من ٤٫٨٣ ، لولا الحيض الشهرى والحمل لدى المرأة ، ولولا المشاغل ، والتعب الناشىء عن العمل ، مما يحول دون اقبال الرجل على زوجته ! ٠٠ كذلك تؤثر فى هذا المتوسط تقاليد المجتمع التى تنحو الى قصر النشاط الجنسى لدى الرجل على زوجة واحدة ٠ **وعلى العموم ، فمن الممكن القول بأن فى وسع الرجل العادى أن يبلغ ذروة اللذة والقذف مرة فى كل يوم ، وان فى امكانه أن يجعل هذه المرة مرات ، اذا لم يكن النشاط الجنسى مقيدا بالاعتبارات السالفة** ٠ والذكور الذين يدهشون حين يعلمون أن أكثر من ٧٫٦ فى المائة من ذكور الولايات المتحدة يمارسون اللذة والقذف مرة أو أكثر يوميا ، انما يصدرون فى دهشتهم عن جهل بمقدرتهم فى الغالب ٠ واذا كانت هذه النسبة من الذكور تمارس النشاط الجنسى بهذا القدر رغم القيود ، فمعنى هذا ان بوسعهم أن يمارسوه بقدر أكبر اذا لم توجد هذه القيود !

التسامى بالطاقة الجنسية .. خدعة غير صحيحة !

◆ **والامتناع** الجنسى لفترات بسيطة ، كعدة أيام أو أسابيع، شائع الحدوث ، ولكن الاقلال بمعدل مرة فى الأسبوعين – أو أقل – لا يحدث الا لدى ٢ر١١ فى المائة من الذكور الذين دون الحادية والثلاثين من العمر ، وتزداد نسبة الاقلال بارتفاع السن ، بعد الخامسة والثلاثين . على أن القسط الأكبر من هؤلاء من الناقصى التعليم – ومعظمهم مصابون بالخمول الذهنى كما هم مصابون بالخمول الجنسى – ومن ذوى النشاط الدينى الوافر .. وان كانت القائمة تتضمن أفرادا من جميع درجات التعليم والتدين ، كما أنها تتضمن أشخاصا من ذوى المستوى العلمى والفنى العالى !

ودراسة هذه الحالات تعطينا فكرة عما أسماه « فرويد » وعلماء التحليل النفسى بـ « التسامى » ، أى تمكن الفرد من أن يحول طاقته الجنسية الى مستويات رفيعة من النشاط ، كالفن والأدب ، والعلوم ، والألوان الأخرى من النشاط الاجتماعى . والواقع أن هذا الرأى يرجع الى عهود سبقت « فرويد » ، حتى أننا نجده عند الزاهدين والمتقشفين فى أقدم العصور ، وكان اذ ذاك يعزى الى بواعث أخلاقية .. على أن الدراسة توحى بأن علماء النفس يبالغون كثيرا فى الحديث عن « التسامى » ، فان عددا كبيرا جدا حاولوا أن يقيموا حياتهم الجنسية على اعتبار أن « التسامى » أمر ممكن ، واستطاعوا أن يصلوا الى نتائج طيبة فى تقليل عدد مرات الممارسة الجنسية ، باذلين فى ذلك جهود الأبطال .. **ولكن الشىء الذى لم يبت فيه تماما ، هو ما اذا كان هؤلاء الأشخاص قد حولوا طاقتهم الجنسية الى وجوه أخرى للنشاط أسمى من النشاط الجنسى ، أم انهم انما فعلوا ما يفعله المرء حين يسد الطريق أمام تيار كهربائى ليحوله الى اتجاه آخر ! .. ولو كان التسامى حقيقة عملية ، لوجدنا أفرادا خفضوا نشاطهم الجنسى أو قضوا عليه دون أن يصابوا**

باضطرابات عصبية ٠٠ والتذرع بالفنانين والأدباء والعلماء والساسة كأمثلة فى هذا الصدد ، لا يكفى للاثبات ، بل لابد لتقرير هذا الأمر كحقيقة علمية ، من دراسات وفحص وتحليل للنواحى النفسية ، والبدنية ، لأشخاص ذوى مقدرة جنسية أكيدة ، استطاعوا أن يوجهوا قسطا من طاقتهم - ان لم تكن كلها - الى نواح غير جنسية للنشاط !

بين الذكور من يحترف البغاء !

◆ **ومن** ناحية أخرى ، نجد أن فريق المفرطين فى النشاط الجنسى ، يضم أفرادا من كل نوع ، وبينهم ذوو النشاط العلمى ، والمتدينون ! ٠٠ ومع أن الذين استكملوا التعليم الجامعى قلة بين أفراد هذا الفريق ، الا أن عددا كبيرا من المفرطين من ذوى المهن الحرة والفنية ٠٠ والذين واتاهم البلوغ مبكرا - فى سن الثانية عشرة على الأكثر - يكونون عادة أكثر الذكور افراطا فيما بعد مرحلة المراهقة ٠ ولتعليل ارتفاع عدد مرات التفريج الجنسى عند البعض ، **نلاحظ أن من الشائع لدى كثير من الأشخاص أن يمارسوا الجماع كل ليلة من ليالى الأسبوع ٠ بل ان من المتزوجين كثيرين - لا سيما فى الطبقات الاجتماعية الدنيا - يباشرون الجماع مرة فى المساء - عند النوم - ومرة عند الاستيقاظ فى الصباح ٠ ومن المحتمل أن تكون ثمة مرة ثالثة لدى الذين تسمح لهم أعمالهم بالعودة الى بيوتهم فى فترة الظهر** ٠٠ (ونفس الشىء يقال عن الذين يمارسون العادة السرية ، أو جماع الذكور ، أو غير ذلك من ألوان النشاط الجنسى ٠)

وهناك نسبة كبيرة من أفراد هذا الفريق المفرط ، يحققون التفريج الجنسى بالقذف المتعدد المرات ، خلال عدد محدود من الاتصالات الجنسية ٠ ذلك لأن من الذكور من يباشرون القذف أكثر من مرة فى الاتصال الجنسى الواحد ، بانتظام ٠٠ وقد يبلغ عدد مرات الافراز - في بعض الأحوال - **ثلاثا أو أكثر فى**

الليلة الواحدة .. وفى كثير من هذه الحالات يستطيع الفرد أن يمارس القذف مرتين أو أكثر في الجماع الواحد ، وهو محتفظ بانتصابه ! .. ويتخذ هذا صفة العادة المنتظمة فى عدد لا بأس به من الحالات !

وبين أكثر أفراد هذا الفريق نشاطا ، أفراد ـ من الذكور ـ « يحترفون » الاتصال الجنسى ، فكلما تعددت اتصالاتهم ازداد دخلهم .. وهذا « العاهر » الذكر يشبه « العاهرة » الانثى ، فلا يختلف عنها الا فى أنه يبلغ ذروة اللذة عادة ، فى كل مرة، فى حين أن « المومس » الانثى قد لا تبلغ اللذة أثناء ممارستها العملية لقاء أجر . ومن محترفى البغاء من الرجال من يمارس القذف خمس أو ست مرات فى اليوم ، بانتظام ، لسنوات طويلة !

وقد كان بين الحالات التى درسناها زنجى فى التاسعة والثلاثين من عمره ، ظل مذ كان فى الثالثة عشرة يمارس الاتصال الجنسى بمعدل يزيد عن ثلاث مرات فى اليوم ، وكان ـ حتى وهو فى التاسعة والثلاثين ـ قادرا على القذف ما بين ٦ و ٨ مرات فى اليوم الواحد ، عندما تدعو الظروف لذلك .

كذلك كان بين المفرطين لفترات طويلة ، من ظلوا على افراطهم فترات تصل فى المتوسط الى ٣٠ سنة ، ومنهم ستة من الذكور البيض بينهم محام ومرب وثلاثة من ذوى التعليم العلمى .

والواقع أن المثيرات التى تغرى الذكر على الاتصال الجنسى بالمرأة ، موجودة باستمرار .. فهى تتمثل للمتعلمين فى الاناث اللائى يرتدين ثيابا مغرية ، وفى الصور التى تنشر باستمرار فى الصحف والمجلات والأفلام والاعلانات والفنون الزخرفية ، كما تتمثل فى الروايات ، والمسرحيات ، وبعض أساليب الأداء فى البرامج الاذاعية ، والأشعار ، والأغانى ، وفى كافة أنواع المجاملات المسموح بها بين الجنسين ، والتقاليد الاجتماعية ذات العلاقة بالزواج . ومن ثم فهناك انفعال جنسي مستمر ، ونشاط

جنسي منتظم لدى الذكور ، لاسيما عند أقربهم الى الشباب

على أن أهمية هذه الحقائق بالنسبة للمجتمع أو للشعب لم تحظ بتقدير واف حتى الآن • فقد ثبت أن من المجافي للحقيقة افتراض عدم التفـــريج الجنسي لدى غير المتزوجين الا لماما ، ومصادفة ، أو افتراض استطاعة الذكر المضي فترة طـويلة من الزمن دون نشاط جنسي •• أما افتراض مقدرة الذكـور على التسامي بنشاطهم الجنسي لفترات من الزمن فلم يلق بعـد دليلا ماديا يدعمه •

١١ عاملا تتحكم في مدى الافراط الجنسي !

◆ **وهناك** أحد عشر عاملا رئيسيا ـ على الأقل ـ في تحديد عدد مرات التفريج الجنسي البشري وموارده ، وهــذه العوامل هي : الجنس ، والعنصر ، والسن ، وسن البلوغ ، والزواج أو عدمه ، والمستوى العلمي ، والمهنة أو العمل ، ومهنة الآباء أو أعمالهم ، والبيئة الاصـــلية ـ مدنية أو ريفية ـ والتعاليم الدينية ، ومدى قيام الشخص بالواجبات الدينية •

وليس في التاريخ الجنسي للذكور عامل يؤثر على عدد مرات التفريج يفوق السن •• على أن السن لا تؤثر في موارد التفريج الا بطريق غير مباشرة ، أي عن طريق علاقته بالزواج أو العزوبة ، ومدى تيسر الاتصالات الاجتماعية ، ومدى تعرض الشـــخص للتعب الجسدي ، وللارهاق النفسي الذي يترتب على تكرار نوع معين من النشاط •

والواقع أن للسن أهمية عظمى في هــذا الشأن • **ففي الولايات المتحدة نجد أن أكثر من ٩٥ في المائة من الذكــور يكونون في سن الخامسة عشرة ذوي نشاط جنسي فعلا ، وأكثر من ٩٩ في المائة من البالغين ومن يكبرونهم يمارسون النشاط طيلة الفترة بين سني ١٦ و٤٥ ، ولكن عدد النشيطين يقل رويدا بعد السن الاخيرة** •• وهذا ينطبق عـلى جميع الذكور البيض ،

مهمـــا يكن مســـتواهم العلمي أو أحوالهم الاجتمـــاعية أو الدينية ٠ ويبلغ هـــذا النشاط أوجـــه وذروته فيما بين الخامسة عشرة والعشرين ٠ ثم يأخذ عدد مرات ممارسته فى الانخفاض رويدا وباطراد منتظم ٠ **على أن أعلى درجات النشاط اطلاقا ، تقع عندنا ـ أى في المجتمـــع الأمريكي ـ فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة ٠ وقد يدهش الكثيرون عندما يعرفون أهمية هذه الحقيقة ٠ ذلك لأن الـــرأى العـــام ، بل والأطباء والعلماء ، يعتقدون أن المقدرة الجنسية تنمو تدريجـا منذ فترة المراهقة وتبلغ أقصاها فيما بين الثلاثين والأربعين ـ أو الخمسين ـ من العمر ٠٠ وتعقب هذا فترة استقرار ، ثم تعقب هذا فترة الاضمحلال والهبوط ٠** لكن هذه الفكـــرة اذا صحت بالنسبة للاناث ، فانها بالنسبة للذكور غير صحيحة ، بل ان الطالب فى المدرسة الثانوية يفوق الطالب الجامعى فى طاقته الجنسية ٠

على اننا نجد القانون يوفر موردا للتفريج المنتظم ـ عـن طريق الزواج ـ للذكور الذين تجاوزوا العشرين ، ويغفل من هم دون العشرين ، لأنه « يجهل » أنهم أكثر طاقة ونشاطا من آبائهم ! ٠٠ **فاذا رأينا بعد ذلك ـ من الحالات التى درسناها ـ أن الذكور غير المتزوجين ، لا يزالون يجدون منفثا يمارســون خلاله التفريج الجنسى بمعدل ٤ر٣ مرة فى الأسبوع ، فان هذا يقوم دليلا عـلى اخفـــاق القيود المفروضـــة لكبحهم تماما ٠** والعادة السرية هى المـــورد الأعظم لهذا التفريج ، لدى أبناء الطبقات الاجتماعية الراقية ، والمثقفـين ، الذين لم يعتبروها ـ خلال الثلاثين عاما الأخيرة ـ منافية للأخلاق ٠٠ أما الأقل منهم ثقافة ، وهم ٨٥ فى المائة ، أى الأغلبيـــة ، فلا يزالون يرون العادة السرية منافية للأخلاق ولونا من الشذوذ ، ومعنى هذا أن أغلبية الذكور ـ فى فترة اشتداد نشاطهم الجنسى الى أقصي درجاته ـ مضطرون الى تقبل وسائل غير مشروعة للتفريج ،

والا تعرضوا للاضطرابات النفسية فى سبيل تكييف أنفسهم وكبح نشاطهم الجنسى • وعلى هذا الضوء ، ينبغى بحث حالات الذكور غير المتزوجين فيما بين الخامسة عشرة والعشرين من العمر •

ونظرة القانون لهذه المشكلة ، أقل اعترافا بالواقع من نظرة العلماء النفسيين ، والأطباء ، والأطباء النفسيين ، والعلماء الاجتماعيين • فان القانون باعتباره أى نشاط جنسى قبل الزواج ـ فيما عدا الاحتلام و العادة السرية ـ خارجا عن القانون ، انما يدفع معظم الفتيان الى النشاط غير المشروع ••
والاستثناء الوحيد يرى بين طلبة المرحلة الثانوية الذين يتقبلون العادة السرية كمورد أعظم للتفريج ! •• وفيما عدا هؤلاء ، يمكن أن نعتبر ٨٥ فى المائة من الشباب خارجين على القانون فى الناحية الجنسية ، وهذه مشكلة لمن يطبقون القانون ، وللطلبة

مشكلات الأحداث وطلبة المدارس الداخلية

◆ **ومشكلة** الاعداد ـ أو التكييف ـ الجنسى للفتى الحبيس فى أحد السجون أو المصحات العقلية أو المدارس الداخلية أو غيرها من المؤسسات ، أكثر تعقدا من مثيلتها بالنسبة للفتى الطليق فى المجتمع • والأزمات التى تنشأ فى هذا الشأن يقتصر علاجها فى تلك المؤسسات على اهمالها أو تجاهلها ! **والواقع أن ادارة معهد يضم فتية لم يتجاوزوا العشرين ، مهمة من أشق المهام ، سيما وأن المسلك الجنسى للشخص ـ طيلة حياته ـ يتأثر الى حد كبير بتجاربه فى فترة المراهقة ، لا لأنها أولى التجارب ، وانما لأن الفترة ذاتها تضم السن التى يبلغ فيها النشاط الجنسى ـ والبدنى ـ قمته وأوجه ، والتى تكون مواهب الفتى فيها أشد ما تكون تمكينا له من تكييف نفسه لينسجم مع أوضاع المجتمع ، ولعقد أية صلات اجتماعية مع الجنس الآخر ، وليحل مشكلة ايجاد التوازن بين الميل لجنسه والميل للجنس**

الآخر . وبما أن الفتى فى هذه السن لا يكون مطبوعا انطباعا تاما بالتقاليد والعرف ، فان استعداده لأن يتخذ تصرفات من وحى نفسه يكون ضئيلا . واذا ما اضطر الى أن يقضى سنى المراهقة فى أحد المعاهد أو المؤسسات ، فانه لا يجد الفرص التى تمكنه من أن ينمى مسلكه الفردى ، بل يضطر عادة الى أن يتجه فى مسلكه وفق أساليب الحياة فى المعهد .. ومن هنا تقع المسئولية الكبرى فى توجيهه على عاتق المعهد !

وقد ضاعف من استفحال المشكلة ، نظام محاكم الأحداث الجديدة الذى يعهد بالحدث الى رعاية اصلاحيات الأحداث لسنوات عديدة . بل ان رقابة محكمة الأحداث على الصبى قد تلازمه حتى يبلغ العشرين ، دون اعتبار لمشكلات الاعداد الجنسى له ، اذ يعنى قانون الأحداث بالاعداد المهنى للصبى ، وينسى أن الصبى ينمو ، ويحتاج الى ألوان أخرى من الاعداد والتهيئة ، وأهمها تهيئة الحدث للاختلاط الاجتماعى بالجنس الآخر . كذلك الحال بالنسبة للصبية الذين يلحقون بمدارس داخلية للبنين فى المرحلتين الاعدادية والثانوية ، وللصبية الذين يلحقون بمدارس خاصة بالبنين وحدهم ، تستمر الدراسة فيها طيلة النهار .

الشيخوخة الجنسية تبدأ فى السادسة عشرة !

◆ **وما أن** يبلغ المراهق أوج نشاطه الجنسى – فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة – حتى يبدأ فترة الشيخوخة الجنسية ، التى يجتازها فى بطء ، خلال سنوات طويلة . وهذه الحقيقة التى غابت عن الأذهان خليقة بأن تحمل الذين يدرسون علم الأحياء – بالنسبة للانسان – على أن يعيدوا النظر فى جميع دراساتهم السابقة . والواقع أن النشاط الجنسى يبدأ فى الهبوط – عقب بلوغه الأوج مباشرة – باطراد يثير الدهشة ، ولكن لا سبيل الى تحديد الفترة التى تبدأ عندها الكهولة . **على أن**

الهبوط الجنسي عند الكبار يرجع ، أول ما يرجع ، الى ما يصيب الجسم من ضعف عام في وظائف الأعضاء • كما أنه يرجع أيضا الى التعب النفسى ـأو الملل- اذ أن تكرار تجربة واحدة لسنوات طويلة يفقد المرء شغفه بها ، كما أن تقدمه فى السن يضيق من امكانياته للسعى الى اكتشاف أساليب جديدة ، وألوان جديدة للاتصال • وتثبت هذا حالات صادفتنا فى دراساتنا ، لذكور تقدموا فى السن وهبط عدد مرات نشاطهم بدرجة كبيرة ، حتى قدر لهم أن يتزوجوا من زوجات جديدات ، أو يتصلوا بنساء غير اللاتى ألفوهن ، فاتخذوا أساليب جنسية جديدة ، أو اتجهوا الى موارد جديدة للتفريج الجنسى ، فاذا بمعدل نشاطهم يرتفع بدرجة محسوسة ، ولكن •• ليعود الى الهبوط بعد شهور قلائل ، أو خلال عام أو اثنين ، الى المستوى السابق ! على أنه من غير المتيسر فى الوقت الحاضر تحديد مدى نصيب كل من ضعف وظائف الاعضاء ، والظروف النفسية ، وانخفاض فرص الاتصال بالجنس الآخر ، ومدى الانشغال بالأعمال الاجتماعية الأخرى، فى هبوط النشاط الجنسى لدى الكبار من الذكور •

عمره ٨٨ ولا يزال يعاشر زوجته !

◆ **على الرغم** من قلة الحالات التى توفرت لنا لدراسة الكهولة والعنه ، أى القصور أو العجز الجنسى ـ اذ أن هذه الحالات لم تتجاوز ٨٧ من الذكور البيض و ٣٩ من الزنوج ، الذين تجاوزوا الستين من العمر ـ فان نتائج تحليل البيانات التى أدلوا بها جاءت عظيمة القيمة :

وأهم نتيجة تستخلص منهم ، هى أن هبوط النشاط الجنسى ـ الذى يبدأ فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة من العمر ـ يظل متمشيا مع التقدم فى السن ، فنرى أن عدد الذين يصابون بالعجز لا يزداد فجأة فى أية مرحلة من مراحل السن ، حتى فى حالات الشيخوخة الطاعنة • **فمن دراسة الحالات المائة والست والعشرين ،وجدنا أن عدد مرات التفريج الجنسى فى سن الخامسة**

والستين ، مرة فى الاسـبوع فى المتوسط •• وهى عند من يبلغون الخامسة والسبعين ، لا تتجاوز مرة كل ٣ أسابيع ، ثم تهبط فى سن الثمانين الى مرة فى كل ١٠ أسابيع أو أكثر •

كذلك كان عدد من أصابهم العجز التام عن النشاط الجنسى ٥ فى المائة ممن بلغوا سن الستين ، و ٣٠ فى المائة ممن بلغوا السبعين • ومع ذلك فقد كان بين من بلغوا السبعين - من الافراد البيض - رجل ظل متوسط عدد مرات القذف عنده فوق ٧ مرات فى الاسـبوع ! •• وبين الزنوج كان ثمة رجل فى الثامنة والثمانين ، ظل حتى هذه السن يجامع زوجته - التى كانت فى التسعين - بمعدل يتراوح بين مرة فى الشهر ومرة فى الاسبوع!

والتفريج الجنسى مع فرد من الجنس الآخر يستمر أطول مما يستمر التفريج بأية وسيلة أخرى ، وان وجد أن العادة السرية ظلت - فى بعض حالات - تمارس بوساطة رجال بلغوا الحادية والسبعين ، بل وأفراد بلغوا السادسة والثمانين ! •• وظل الاحتلام لدى أشخاص تراوحت أعمارهم بين ٧٦ و ٨٠ عاما ••

جرائم اغواء القاصرين لدى الشيوخ

◆ **على أننا** نلاحظ - من ناحية أخرى - أن ثمة حالات متفرقة من العجز الجنسى تنشأ بين المراهقة وسن الخامسة والثلاثين • ويزداد عدد حالات العجز لدى الذكور بين سنى ٤٥ و ٥٠ ، ثم تطرد الزيادة بسرعة بعد الخامسة والخمسين • وفى سن السبعين، كان ٢٧ فى المائة من البيض عاجزين جنسيا ، وفى سن الخامسة والسبعين كانت نسبة العاجزين ٥٥ فى المائة ، أما فى سن الثمانين فقد ارتفعت النسبة الى ٧٥ فى المائة ، اذ ظل واحد فقط من الأربعة الذين درسنا حالاتهم فى هذه السن ، محتفظا بنشاط جنسى • وكان بين من درسنا حالاتهم اثنان فى سن ٨٨ وواحد فى سن ٩٠ ، أحدهم أصيب بالعجز منذ ١٥ سنة ، واثنان لم يمارسا الجماع منذ سنوات ، وان كان انتصابهما عند اليقظة فى



الصباح ، أوحى اليهما بأنهما ما يزالان على شىء من القدرة !

ومن المشكلات الجديرة بالاعتبار ،مشكلة الكهول الذين يعاقبون بالسجن أو بدخول الاصلاحيات ، لجرائم جنسية . فان هؤلاء الرجال يتهمون عادة بافساد القاصرات والقاصرين ، وكثيرا ما يتهمون بالاغتصاب . ويصر عدد كبير ممن درسنا حالاتهم – من هذا الفريق – على أنهم مصابون بالعنه ، أو العجز الجنسى ، بل ان كثيرا منهم يرجعون عجزهم الى سنوات طويلة . وقد وجدنا فى البيانات التى أدلوا بها ، ونتائج الفحص الذى أجرى لهم ، قرائن تثبت أن كثيرا منهم عاجزون فعلا حتى عن الانتصاب . والتفسير لمثل هذه الحالات هو أن الكهل اذ يسلم بعجزه الجنسى ، يجد ارضاء لحياته العاطفية فى أن يضفى من حبه على الصغار ما يضفيه الآباء على أبنائهم أو الأجداد على أحفادهم . ولكن كثيرا من البنات والصبية يسيئون الظن بهم ، فيجدون من يصدقهم عن جهل !

يمارس العادة السرية وهو فى الخامسة والسبعين !

◆ **العادة السرية** من الظواهر التى تتفشى عادة بين الصغار وغير المتزوجين ، ومع ذلك فقد وجد فى عدد لا بأس به من البيانات التى أدلى بها ذكور متزوجون ، **ان أشد فترات انتشارها هى بين سنى ١٦ و ٢٠ عاما ، اذ نجد ٨٨ فى المائة ممن ينتمون الى هذه الفترة من العمر يمارسونها ! أما من حيث عدد مرات ممارستها ، فان هذا العدد يبلغ أقصاه فى الفترة بين البلوغ**

وسن الخامسة عشرة ، ثم يأخذ العدد فى التضاؤل منذ تلك السن . ويظل ٥٣ر٨ فى المائة من العزاب - فى أمريكا - يمارسونها حتى فى سن الخمسين ! .. أما بين المتزوجين ، فان أوج انتشارها هو السن بين ٢١ و ٢٥ عاما ، اذ يمارسها من المتزوجين ٤٢ر١ فى المائة ممن ينتمون لهذه الفئة من الأعمار ، ثم تأخذ النسبة فى الهبوط باستمرار ، حتى انها لا تزيد على ١١ر٤ فى المائة لدى المتزوجين ممن بلغوا أواسط العقد الخامس من العمر . وبين الحالات التى درسناها ، حالة ظل صاحبها يمارس العادة السرية الى سن الخامسة والسبعين ، ولكن ممارسها فى الشيخوخة لا يصل الى ذروة اللذة بأكملها .

أما عدد المرات ، فيتفاوت بدرجة كبيرة . فهناك صبية لم يمارسوا العادة السرية أكثر من مرتين أو ثلاث طيلة أعمارهم ، فى حين أن هناك صبية وفتيانا يمارسونها مرتين وثلاثا فى اليوم ، أى بمعدل ٢٠ مرة فى الاسبوع ، لعدة سنوات ! وأكثر الأشخاص اقبالا عليها فى سن الخامسة عشرة يمارسها بمعدل يعادل معدل أكثر الاشخاص ممارسة لها فى سن الثلاثين مرتين ونصف المرة ، ويعادل أكثر الأشخاص ممارسة لها فى سن الخمسين أربع مرات !

ومن الواضح أن السن تؤثر فى العادة السرية ، فى معظم نواحيها . ويلاحظ هذا التأثير فى انخفاض عدد الاشخاص الذين يمارسونها باطراد مستمر مع تقدم فئات العمر ، سواء بين العزاب أو المتزوجين . وهذا الانخفاض يمتد أيضا الى عدد مرات ممارستها . على أنها - بالنسبة للمتزوجين - تزداد أهمية ، كمصدر للذة ، بتقدم السن !

ألوان من النشاط الجنسى قبل الزواج

◆ **يعتبر** الاحتلام من أهم موارد اللذة لأبناء العقدين الثانى والثالث من العمر ، ومع ذلك فانه لا يأتى فى أوائل المراهقة

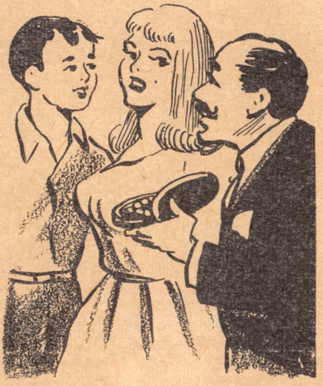
الا فى عدد صغير من الحالات . وبين الذين درسنا بياناتهم ، أربعة بلغوا الاربعين قبل أن يحتلموا للمرة الأولى ! وأعلى نسبة للمحتلمين هى التى فى فترة العمر بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين ، اذ تشمل ٧١ فى المائة ممن فى هذه المرحلة . أما فى سن الخمسين فلا تتجاوز ٣٣ فى المائة ، وتهبط فى سن الستين الى ١٤ فى المائة . ومن الغريب أننا نجد أن الاحتلام يكون من موارد القذف عند رجال فى السادسة والثمانين من أعمارهم !

وتتضمن البيانات الخاصة بالعلاقات مع الجنس الآخر قبل الزواج ، قدرا كبيرا من الاتصال البدنى السطحى ، دون جماع فعلى . **وتبلغ نسبة من يمارسون هذا النوع ، من الذكور ، قبل الزواج ، ٨٨ فى المائة ، يصل بعضهم الى ذروة اللذة من جراء هذا الاتصال – وتبلغ نسبة هؤلاء ٢٨ فى المائة – على أن نسبة الذين ينعمون بهذه الظاهرة ترتفع لدى ذوى التعليم العالى ، فتبلغ ٥٨ فى المائة . وأعلى نسبة لممارستها بين العزاب ممن تتراوح أعمارهم بين ٢١ و ٢٥ سنة هى ٣١٫٨ ، ثم تهبط النسبة باطراد حتى الزواج ، أو حتى تختفى اللذة لدى الذكور الذين يظلون بدون زواج الى الشيخوخة** . وأعلى عدد لمرات ممارسة هذه العملية هى ٧ مرات فى الاسبوع لدى من تتراوح أعمارهم بين ٢١ و ٢٥ سنة .. ثم يهبط المعدل الى مرة كل أسبوعين بعد الخامسة والثلاثين .

ومن المحتمل أن الجماع كان يصبح المورد الأول للتفريج الجنسى قبل الزواج ، لو لم يقيد المجتمع نشاط الذكور . فنجد أن نسبة انتشار الجماع وعدد مراته قبل الزواج أقل ما يكونان بين الذكور ذوى التعليم الراقى ، ولكنهما على العكس بين ذوى التعليم الناقص . **ويبلغ انتشار الجماع قبل الزواج أقصاه ، بين من بلغوا السنوات الأخيرة فى العقد الثانى ، أى من تفصلهم عن سن العشرين سنتان أو ثلاث . فان ٧٠ فى المائة من أبناء هذه**

السن فى الولايات المتحدة يمارسون الجماع . فاذا نظرنا الى الرجال من مختلف الاعمار بوجه عام ، نجد أن أكثر من «نصف» العزاب الذين بين السادسة عشرة والخمسين يمارسون الجماع مع الجنس الآخر . أما عدد مرات الجماع فيبلغ أقصاه بين البلوغ وسن الخامسة والعشرين . فأكثر الذكور نشاطا فى سن الخامسة عشرة ، يمارس الجماع والقذف - دون زواج - ٢٥ مرة فى الاسبوع . أما أكثرهم نشاطا فى سن الثلاثين ، فلا يتجاوز معدل المرات لديه ١٦ مرة فى الاسبوع . وما أن يبلغ الشخص الأعزب الخمسين حتى يتناقص عدد المرات التى يمارس فيها الجماع الى ٧ مرات كل أسبوعين .

ويتم الجماع قبل الزواج اما مع رفيقات ، واما مع مومسات محترفات . وتزداد نسبة الجماع مع المومسات بين المتقدمين فى السن . أما بين المراهقين حتى سن الخامسة عشرة من العمر ، فلا نجد أكثر من ١ فى المائة يعتمدون فى ممارسة الجماع على المومسات وحدهن . ونجد أن ١٤ر٦ فى المائة يمارسونه مع رفيقات ومع مومسات . أما فى سن الخمسين فان نسبة غير المتزوجين الذين يمارسونه مع البغايا وحدهن تصل الى ١٤ر٣ فى المائة فى حين أن ٦٢ فى المائة من أبناء هذه السن يجامعون بغايا ورفيقات !



٣٦ فى المائة من الأزواج يخونون زوجاتهم ؟

◆ **والمعاشرة** الزوجية هى النشاط الجنسى الوحيد الذى لاتقيده القيود الاجتماعية - فيما عدا قيود الزواج نفسه ! -

ويجد ٩٩ فى المائة من المتزوجين ، بين السادسة عشرة والاربعين منفذا للتفريج الجنسى ، فى جماع زوجاتهم . أما ابتداء من سن الخامسة والاربعين ، فنجد أن عددا قليلا من المتزوجين يكفون عن الجماع ، وان ظلوا متزوجين يعيشون مع زوجاتهم . وفى سن الستين ، لايصبح لدى حوالى ٦ فى المائة من الذكور المتزوجين نشاط جنسى ، بينما يظل ٨٣ فى المائة ممن بين الستين والخامسة والستين ، و ٧٠ فى المائة ممن بين السادسة والستين والسبعين ، يمارسون العملية الجنسية مع زوجاتهم .

وفى جميع فئات العمر بين ١٦ و ٣٠ ، نجد أفرادا - من المتزوجين - يقبلون على الجماع بمعدل ٢٥ مرة ، أو أكثر ، فى الاسبوع . وهو حد أقصى لانجده فى فئات العمر التى تعلو على ذلك ، وفى الخمسين يهبط الحد الاقصى الى ١٤ مرة فى الاسبوع ، أما فى الستين ، فلا يتجاوز ٣ مرات فى الاسبوع

ونجد أن معدل مرات التفريج الجنسى لدى المتزوجين من الذكور بين السادسة عشرة والعشرين من العمر ، يزيد عنه لدى أبناء المراحل الاخرى بنسبة كبيرة . ونجد أن ٨٥ فى المائة من هذه المرات يتم فيها التفريج بالجماع مع الزوجات و ١٥ فى المائة مع غير الزوجات ، ثم يأخذ المعدل فى الهبوط كل خمس سنوات متعاقبة ، على التوالى ، وبنسبة تدعو للدهشة ، حتى أن المعدل يهبط فى سن الستين الى نحو مرة واحدة فى الاسبوع .. وصحيح أن للشيخوخة تأثيرها ، ولكن من المحتمل أن هذا الهبوط المدهش يرجع الى أن طول أمد الزواج - لدى أبناء الستين - وطول ممارستهم للون واحد من التجارب ، يخلف آثارا نفسية تؤثر على نشاطهم !

ويتجه بعض الازواج الى تفريج شطر من نشاطهم الجنسى بالجماع مع رفيقات ومع بغايا ، ونجد أن نسبة هؤلاء تبلغ أوجها (٣٦٫٨ فى المائة) بين الازواج الذين لم يبلغوا العشرين على أن هذه النسبة لاتكاد تتغير تغيرا يذكر فيما بين سنى ٢١

و ٦٠ عاما ، وان كانت تميل الى الهبوط قليلا بعد الستين !

ألوان الشذوذ الجنسى ، ونسبتها المئوية

• **والعلاقة** الجنسية بين الذكور وأفراد من جنسهم أكثر مما يظن عادة . فبين الشباب غير المتزوج ، **نجد أن ٢٧ر٣ فى المائة يمارسون لونا من العلاقة الجنسية مع ذكور مثلهم ويصلون عن طريقها الى ذروة اللذة . وتزداد هذه النسبة حتى تبلغ أقصاها - ٣٨ر٧ فى المائة - لدى من تتراوح أعمارهم بين ٣٦ و ٤٠ عاما** . ولا يبلغ عدد مرات الجماع فى هذا اللون مبلغه فى الجماع مع الجنس الآخر ، ولعل مرد ذلك الى التحريم الذى يفرضه المجتمع على معاشرة الجنس ، أو « الشذوذ الجنسى » فى الجماع ، أو « اللواط » بمعنى أدق وأصرح . ومع ذلك فبين المراهقين من يمارس هذا الشذوذ سبع مرات - أو أكثر - فى الاسبوع . ويرتفع هذا المعدل الى ١٥ مرة فى الاسبوع لدى الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٦ و ٣٠ . أما فى سن الخمسين ، فلا يتجاوز الحد الاقصى ٥ مرات فى الاسبوع !

واذا نظرنا الى الشعب الامريكى فى مجموعه ، نجد أن ٧ فى المائة من الفتيان الذين لم يبلغوا العشرين من العمر ، يجدون فى اللواط المورد الوحيد للتفريج الجنسى . واذا حسبنا النسبة بين العزاب من الذكور الذين يمارسون هذا السلوك ، **نجد أن الفتى المتوسط يلتمس ١٨ فى المائة من فرصه للتفريج - قبل بلوغ العشرين - فى اللواط ، ثم يأخذ هذا الرقم فى الارتفاع حتى نجد أن الذكر المتوسط الذى يظل أعزب حتى سن الخمسين، يجد ٥٤ فى المائة من التفريج فى هذا المورد !**

.. فاللواط ومعاشرة البغايا قبل الزواج ، هما المصدران الوحيدان من مصادر التفريج اللذان يزدادان تأصلا لدى العزاب . ولما كان هذا الازدياد يحدث فى مراحل العمر التى يهبط فيها النشاط الجنسى عامة ، بالتدريج ، لذلك نجد أن « اللواط » يكتسب أهمية كبيرة بالفعل فى حياة العزاب من

الذكور • ويلاحظ أن ممارسى «اللواط» يزدادون جرأة وعلانية فى ممارسته بتقدمهم فى السن ، وان ظل بعضهم يخشى أن يقع فريسة للمحتالين ومبتزى الاموال !

أما ممارسة اللواط لدى المتزوجين ، كمصدر آخر للتفريج الى جانب الزواج ، فلم تلاحظ الا لدى ١٠ فى المائة من الازواج الذين لم يبلغوا العشرين من العمر ، أو بلغوها ولم يتجاوزوها • فاذا وصلنا الى سن الخمسين – بين المتزوجين – وجدنا أن نسبة ممارسى هذا اللون لاتتجاوز واحدا فى المائة ، وان كان هناك شك فى أنها أكبر من هذا قليلا فى الواقع •

عشاق الحيوانات !

• **ويشيع** الاتصال الجنسى بين الانسان والحيوانات التى تنتمى الى فصائل أخرى ، لدى أهل الريف فى الغالب ، أو سكان المدن الذين من أصل ريفى • ويشمل هذا اللون الاتصال بأناث الحيوان ، والاتصال بالفم أيضا الى الدرجة التى تحقق ذروة اللذة لدى الذكور من البشر •

وتدل البيانات التى حصلنا عليها على أن حوالى ٦ فى المائة من مجموع الذكور فى الولايات المتحدة ، مارسوا الاتصال بالحيوان فى أوائل المراهقة • وتظل هذه النسبة فى هبوط حتى تصل الى واحد فى المائة بين الذكور الذين تجاوزوا العشرين من أعمارهم دون زواج • أما اذا حسبنا الاحصاءات بالنسبة للذكور العزاب وحدهم ، فنجد أن النسبة تتفاوت من ١١ فى المائة لدى الذين تتراوح أعمارهم بين ١١و١٥ سنة ، الى ٤ فى المائة لدى الذين يبلغون الخامسة والعشرين •

وللمستوى الاجتماعى أثر كبير على هذا ، وان تعذر علينا جمع البيانات الموضحة له ، فى الوقت الحاضر •

وعلى العموم ، فان هذا المصدر من مصادر التفريج الجنسى يمتاز بأنه يظل فى هبوط مستمر – سواء من حيث الانتشار ،

أو عدد مرات الممارسة ، أو قيمته كمصدر للتفريج ـ مع تقدم السن •

خرافات من عهد الاغريق !

• **والنشاط** الجنسي لدى الذكور الذين تزوجوا ثم انقطع زواجهم بوفاة الزوجات ، أو بالطلاق أو بالانفصال ، يزيد من حيث عدد مرات التفريج عنه عما لدى الذكور العزاب ، الذين لم يتزوجوا اطلاقا ، ويكاد يعادل نسبته لدى المتزوجين •

ولقد ظل الرجال منذ قرون عديدة يصبون الى أن يعرفوا ما اذا كان الانهماك المبكر في النشاط الجنسي ، أو الافراط فيه في باكورة العمر ، يضعف من قدرتهم عندما تتقدم بهم السن • ولقد قيل أن مدى الحياة الجنسية للمرء محدود ، وأن استمرار القدرة ومدى الزمن الذي يظل المرء يؤدي فيه نشاطه الجنسي ، يتوقفان على محافظته على قواه الجنسية في السنوات الاولى ، فكأنما الطاقة الجنسية كمية محدودة يجب أن لانسرف في تبديدها في الصغر ، لنستطيع أن نؤدي التزاماتنا في الزواج وأن ننعم بما فيه من لذات • بل ان الأطباء اعتادوا في بعض الأحيان أن يربطوا بين العجز عن الاخصاب وبين تبديد المواد المنوية في الشباب الباكر ، وان يعتبروا العجز عن الانتصاب عقوبة تحيق بمن يفرط في الممارسة الجنسية في الشباب •• وكان اكتشاف « الهرمونات » داعيا لتعزيز هذه المعتقدات • وكم ترددت هذه الأفكار فيما كتب عن الجنس •

ولقد روى عن « ديوكليس » ـ الكاتب الاغريقي القديم ـ و « أفلاطون » ، ان علماء الاغريق كانوا يعتقدون ان الافرازات المنوية تستمد من المخ ومن النخاع ، وان الافراط في الافراز خليق بأن يؤذي الحواس والعمود الفقري • ومن العجيب ان هذه الخرافات لا تزال تجد رواجا • على ان المراهقين اعتادوا أن يؤمنوا بعكسها ، فهم يعتقدون ان ممارسة المرء لوظائفه الجنسية ـ سواء بالعادة السرية أو بالجماع ـ كفيل بأن

ينمى حجم الأعضاء التناسليه وان يضاعف من القدرة على الانتصاب ٠٠ وان الامتناع عن الممارسة قد يثبط قوى المرء الجنسية فيما بعد

ولما كانت هذه النقاط لا تتصل بالفلسفة والآداب قدر اتصالها بالجسد وتكوينه وبالأعضاء ووظائفها ، لذلك فان أسلم الوسائل لتحرى صحتها هى وسائل الفحص والبحث العلميين ٠ وقد وجدنا ـ بفحص الحالات التى درسناها ـ ان ثمة علاقة واقعية بين سن البلوغ ، والسن التى تتم فيها ممارسة التفريج الجنسى للمرة الأولى ، وعدد مرات الممارسة فى باكورة النشاط الجنسى ، وعددها فى مراحل العمر ، والمصادر التى يعتمد عليها الفرد فى التفريج ٠

وفى العدد القادم ، نستعرض معا ما خرج به « كينزى » وزملاؤه من حقائق عن المراهقة والزواج ، وعن الجنس بين المجتمع والدين ، والجنس والزواج ، ومصادر اللذة والشذوذ لدى المتزوجين ، والمستوى الاجتماعى والبيئة والمستوى الثقافى وعلاقتها وتأثيرها على وسائل التفريج الجنسى ٠٠ ثم ننتقل معهم الى استقرار أساليب السلوك الجنسى عند الذكور ، والى الحرف والمهن واثرها فى السلوك الجنسى ، وغير ذلك من المعلومات الشيقة التى تزعزع كثيرا من المعتقدات غير الصحيحة عن الجنس

رياضة الذهن



غوامض القصص البوليسى !

عزيزى القارىء ..

يخطىء من يغض قدر القصص البوليسية - أقصد الجيد منها - ويصفها بالتفاهة وضآلة النفع .. فمما لا شك فيه أنها تنمى فى الذهن ملكة الخيال وتزيده سعة فى الأفق .. ومما يؤثر عن الفيلسوف المعاصر « برتراند رسل » - الفائز بجائزة نوبل الأدبية - انه رؤى يحمل تحت ابطه ثلاث روايات بوليسية قرأها فى ليلة واحدة !

وسوف أقدم لك فى هذا الباب بين الحين والحين قصة من أقوى ما كتب أساطين القصة البوليسية فى العالم ، وهم : أجاثا كريستى ، ادجار ألان بو ، ارثر كونان دويل ، ادجار والاس ، فيكى باوم ، موريس لبلان ، فيليبس أوبنهايم ، ويلكى كولينز .. وعشرات غيرهم من كتاب القصة البوليسية العالميين

وقد سبق أن قدمت اليك نماذج من روائع انتاج بعض هؤلاء الكتاب .. واليوم أقدم لك احدى قصص ويلكى كولينز الشيقة



مغامرة.. فى باريس!

قصة للروائى الانجليزى "ويلكى كولينز"

هذا اللون من القصص ..

◆ فى الأعداد الأولى من « كتابى » ، قدمت لك فى هذا الباب عددا من القصص البوليسية التى كتبها أشهر كتاب هذا اللون الشائق من ألوان القصة ، فقرأت فيه قصصا لكل من : « أجاثا كريستى » ، و « ادجار ألان بو » ، و « ادجار والاس » ، وغيرهم ... ثم حال تشعب أبواب « كتابى » دون موالاتك بهذا الباب بصورة منتظمة ، حتى لمست من رسائلك الى بين الحين والآخر « حنينا » الى هذا اللون من القصة ، فرأيت ان أتيحه لك بصورة أكثر انتظاما ، وان لم يعن هذا ان يكون ذلك شهريا ، فى كل عدد !

وتمهيدا لذلك ، أقدم لك فيما يلى هذه القصة التى تتأرجح بين القصة البوليسية ، وقصة الرعب ، أو قصة المغامرة .. الخ . ومؤلف هذه القصة هو الروائى الانجليزى المعروف « ويلكى كولينز » ، الذى قرأت له من قبل فى العدد الثانى من (مطبوعات كتابى) قصته الشائقة : « ذات الثوب الأبيض » . وقد كان « كولينز » من معاصرى « تشارلس ديكنز » ومن أصدقائه ، وقد تفوق على ديكنز فى ميدان القصة القصيرة . وهذه القصة نموذج من قصصه القصيرة المثيرة

◆ **على** أثر تخرجى فى الجامعة ، أقمت فترة فى باريس ، بصحبة صديق انجليزى مثلى .. وذات ليلة كنا نتسكع بقرب « الباليه رويال » ، فاقترح صديقى أن نمضى الى ناد متواضع للقمار ، يلعب الناس فيه على سجيتهم ، بلا مظاهر جوفاء

وبعد لحظات كنا نطرق باب المكان المنشود .. ولم نكد نصعد السلم الى الطابق العلوى حتى أدخلنا الى قاعة المقامرة الرئيسية التى كان فيها عدد محدود من الرجال رفعوا أعينهم الينا ، وكانوا يمثلون فئات متباينة من اللاعبين ، أسوأ منظرا وأشد فاقة مما قدرنا !

والواقع أننى لم أكن يوما « مقامرا » بمعنى الكلمة ، وانما كنت أبتغى من اللعب مجرد التسلية وقتل الوقت .. **لكن الامر كان يختلف فى هذه المرة ، فلأول مرة فى حياتى عرفت شهوة اللعب وكيف تكون ! .. ولقد حيرتنى أرباحى فى البداية ، ثم أثملتنى . ولم ألبث أن ضاعفت مراهناتى ، فلم يجرؤ أكثر**

اللاعبين على المخاطرة بأموالهم ٠٠ ومن ثم انسحبوا من اللعبة واحدا بعد الآخر ، وراحوا يتابعون لعبى بأعين فضولية زائغة !

وحمى وطيس الحماسة والانفعال فى جو الحجرة ٠٠ وتعالت آهات التعجب ، والسخط ، والاستنكار ، بمختلف اللغات ! ٠٠ ولم يبق غير رجل واحد احتفظ باتزانه وبرود أعصابه ، هو صديقى الذى أرشدنى الى المكان فى بداية الليلة ، والذى لم يلبث أن اقترب منى وهمس فى أذنى راجيا أن أبادر بمغادرة المكان ، قانعا بما ربحت ! ٠٠ وكرر الصديق رجاءه وتحذيره عدة مرات ، ولم يتركنى آخر الأمر ويذهب يائسا الا بعد أن رفضت نصيحته فى لهجة جعلت من المستحيل عليه أن يتوجه الى بكلمة أخرى فى تلك الليلة !

* * *

◆ **وبعد** ذهابه بقليل ، صاح فى صوت أجش من الخلف : « يا لحظك الرائع يا سيدى ! ٠٠ أقسم لك بشرفى ، كجندى قديم ، اننى لم أر قط مثيلا لحظك هذا طيلة سنوات خبرتى الطويلة باللعبة ! »

واستدرت نحو الصوت ، فرأيت رجلا طويلا يومىء الى وهو يبتسم ٠٠ ولو كنت فى كامل وعيى لشككت فى قوله انه جندى قديم ، فقد كانت هيئته لا توحى بذلك ، وكانت له أقذر يدين وقع عليهما بصرى ٠ ورغم ذلك فاننى لم أنفر منه ، ففى غمرة الانفعال الجنونى الذى تورثه لذة ربح طائل من هذا القبيل ، كنت على استعداد لمؤاخاة أى مخلوق يشجعنى على المضى فى اللعب ٠٠ فقبلت نشقة السعوط التى قدمها الى «الجندى القديم» ، وضربته على ظهره مداعبا وأنا أقسم له أنه أوفى الأصدقاء فى العالم بأسره !

ومضيت فى اللعب حتى صاح مدير حلبة المقامرة : « أيها السادة ٠٠ لقد انفض اللعب الليلة ! » ٠٠ وكان كل رصيد النادى الذهبى والورقى قد تجمع فى كومة أمامى !

وحين دفنت راحتى فى كـومة الذهب فى شراهة ، قال لى الجندى القديم : « ضع نقودك فى منديلك وأحزمه ، كما اعتدنا نحن الجنود أن نحزم طعامنا ٠٠ فان أرباحك أثقل من أن يحتملها أى جيب ! » ٠٠ ثم دعانى الى أن أشرب معه زجاجة من الشمبانيا ، نخب آلهة الحظ ، قبل أن نفترق

ولم تكد زجاجة الشمبانيا تفرغ حتى شعرت كأننى شربت نارا ، وكأن رأسى قد شبت فيه النار ! ٠٠ فصحت وأنا فى حال من الابتهاج الجنونى : « أحس نارا فى كيانى ٠٠ فكيف حالك أنت ؟ فلنشرب زجاجة أخرى من الشمبانيا كى نطفىء هـذه النار ! »

هز الجندى القديم رأسه ، ودارت عيناه فى محجريهما حتى توقعت أن تطفرا منهما ، ثم صاح آمرا : « قهوة ! » ودلف من فوره الى غرفة داخلية ٠٠

وكأنما كان لكلمة الرجل ومسلكه تأثير السحر فى بقيـة الجماعة ، فقد نهضوا جميعا لينصرفوا ٠٠ ولعلهم كانوا يتوقعون أن ينتفعوا من ثملى ، فلما رأوا صـديقى الجديد حريصا على الحيلولة بينى وبين التمادى فى الشراب الى درجة فقدان الوعى ، طلقوا آمالهم الشريرة وانصرفوا ! ٠٠ وحين عاد صديقى فجلس من جديد فى مواجهتى كانت الحجـرة قد خلت الا من كلينا ٠ واستطعت أن ألمح مدير الحلبة جالسا وحده فى ردهة صـغيرة خارج الغرفة ، يتناول عشاءه فى سكون

وبعد برهة قال لى المحارب القديم ، فى لهجة من يفضى بسر هام : « اسمع يا سيدى العزيز ٠٠ استمع الى نصيحة جنـدى قديم ٠ لقد رجوت صاحبة هذه الحانة أن تصنع لنا قدحين من القهوة القوية المركزة ٠٠ اذ ينبغى أن تفيق من ثملك قبل أن تفكر فى الخروج حاملا معك نقودك ! »

وجاءت القهوة مصبوبة فى قدحين ، قدم الى الجندى أحدهما ، وهو ينحنى تأدبا ، فشربته ٠٠ جرعة واحدة من فرط الظمأ ٠

وأحسست بدوار ضاعف من ثملى ، وبدأت الحجرة تدور حولى ، والرجل الذى أمامى يتذبذب الى أعلى وأسفل ! •• وسمعت فى أذنى غناء عنيفا كاد يصمهما •• فبادرت الرجل قائلا : «انى فى أسوأ حال ، بحيث لا أدرى كيف أعـود الى مقرى ! » •• فأجابنى فى صوت بدا لى بدوره متذبذبا : « يا صديقى العزيز ، انها تكون حماقة جنونية منك أن تعود الى بيتك وأنت فى هذه الحال ، والا فقدت مالك حتما ، وربما حياتك ! •• ولسوف أنام أنا هنا ، فلماذا لا تفعل مثلى ؟ »

وكان فى رأسى خاطران : الاول أن لا أدع أحدا يستولى بحال على المنديل الذى أحتفظ فيه بأرباحى •• والخاطر الثانى أننى ينبغى أن أستلقى فورا على أى فراش ، وأنعم بنعاس شهى • وهكذا وافقت على اقتراح صاحبى واسـتندت الى ذراعه التى قدمها لى ، حاملا صرة نقودى باليد الاخرى •• ثم تبعنا مـدير الحلبة الذى تقدمنا الى ممر فى نهايته سلم ، صعدنا بضع درجات منه حتى بلغنا الحجرة التى أعدت لى ••

★ ★ ★

◆ **وهرعت** الى ابريق الماء الموضوع بجوار الفراش فشربت منه جرعة ، ثم سكبت الباقى فى الحوض وغمست وجهى فيه •• واذ فرغت من ذلك جلست فى مقعد وحاولت أن أتدبر أمرى ، وسرعان ما أحسست بتحسن ، فان انتقالى من جو قاعة المقامرة الساخن الى جو المخدع البارد أنعشنى •• فشعرت بأنى عدت انسانا واعيا مرة أخرى • **وكان أول خاطر وثب الى ذهنى ، خطر مبيتى فى حانة للمقامرة ! •• ثم أدركت أننى لو حاولت الفرار من الحانة خلسة ، بعد أن أوصدت أبوابها ، لكان ذلك أشـد خطرا •• هذا الى الخطر الذى أتعرض له فى شوارع باريس فى ساعة كهذه !**

ولما كنت قد قضيت خلال رحلاتى ليالى فى أمكنة متعـددة

أشد خطرا من هذا المكان ، فقد استقر رأيى بعد التفكير الطويل على أن أحصن بابى جيدا وأجازف بالمبيت فى الحانة ! ٠٠ وبدأت سلسلة حذرى بتفتيش الحجرة بكل دقة ، بما فى ذلك داخل الدولاب وتحت السرير ، ثم أغلقت النافذة جيدا وخلعت ثيابى وأطفأت النور ٠٠ وأخيرا دلفت الى فراشى ، بعد أن دسست النقود تحت الوسادة !

وسرعان ما شعرت أننى لا أستطيع أن أنام ، بل لا أستطيع أن أغمض عينى ٠ كنت فى تمام اليقظة ، فرحت أتتبع كل صغيرة وكبيرة من محتويات الغرفة : وبدأت بتأمل السرير الذى أنام عليه ٠ كان من الطراز الانجليزى العتيق ، ذا أربعة أعمدة وقمة يتدلى منها « كورنيش » دائرى وستائر من كل جانب ٠٠ ثم نقلت بصرى الى الحامل المرمرى للابريق والطست المعدين للاغتسال ٠٠ ومنه الى المقعدين الصغيرين اللذين انتثرت عليهما سترتى وثيابى ٠٠ ثم الى مقعد كبير قذر، نشرت على ظهره رباط رقبتى وقميصى ٠٠ و « شيفونيير » بها عدة أدراج ذات مقابض نحاسية ، وفوقها دواة حبر خزفية مكسورة ٠٠ و « تواليت » للزينة ٠٠ ثم النافذة الكبيرة ، وتليها لوحة قاتمة تمثل رجلا يضع على رأسه قبعة أسبانية متوجة بالريش ، يتطلع الى أعلى نحو مشنقة عالية أعدت له ، ويبدو من سيماه أنه يستحقها !

★ ★ ★

• **وشرد** ذهنى من اللوحة الى القمر الذى كان يضىء الحجرة ، والذى ذكرنى بليلة مقمرة كنت فيها ونفر من صحابى نعبر واديا فى (ويلز) بانجلترا

وفيما أنا أفكر فى تلك الرحلة القمرية ، انقطع بغتة الخيط الذى تعلقت به ذكرياتى ، وعاد انتباهى فورا الى الحاضر ٠٠ فوجدتنى ــ بدون سبب مفهوم ــ أحدق فى الصورة من جديد !

٠٠ لقد غامت سحابة غامضة على مكان القبعة والجبهة والعينين !

ماذا ؟ ٠٠ هل هو « كورنيش » السرير الذى تحرك فحجب كل ذلك ؟

استدرت فى فراشي ونظرت الى أعلى ٠٠ هل جننت ؟ أم أن سقف السرير يتحرك فعلا الى أسفل ، فى بطء ٠٠ وانتظام ٠٠ وسكون ؟

وأحسست بدمى يكاد يتوقف عن التدفق فى عـــروقى ٠٠ وتولتنى برودة مميتة وأنا أدير رأسى فوق الوسادة لألقى نظرة أخرى على الصورة ، أستوثق بها مما اذا كانت قمة الفـــراش تتحرك حقا ؟! ٠٠ وكانت نظرة سريعة فى ذلك الاتجاه كافيـــة لأن تجيب على تساؤلى ٠٠ فقد بلغت الســـحابة التى تحجب الصورة خصر الرجل ! ٠٠ ولبثت أنظر الى الصورة مبهـــور الأنفاس ٠ كانت قمة الفراش تهبط ببطء شديد !

وكانت الشمعة الوحيدة فى الغرفة قد انطفأت ، ولكن القمر كان يجود بأشعته فى سخاء ٠٠ وظل سقف السرير ماضيا فى هبوطه البطىء ، فلا توقف ولا ضجيج ! ٠٠ وكان رعبى الشـــديد قد قيدنى الى الحشية التى نمت فوقها ٠٠ والهبوط مستمر شيئا فشيئا ، حتى بلغت خياشيمي رائحة الغبار المنبعثة من الستائر!

وفى تلك اللحظة الأخيرة انتزعتنى غريزة حفظ الذات من جمودى الطويل ، فتحركت لأنجو بنفسي ٠٠ ولم يكن قد بقى دون انطباق السقف على ، غير الحيز الكافى لوثوبى من الفراش ، ففعلت ! ٠٠ ولم أكد أبلغ أرض الغرفة فى ســـلام ، حتى لمس طرف السقف القاتل كتفى !

وبغير أن أستكين لألتقط أنفاسى ، وبغير أن أمسح العـــرق البارد الغزير المتصبب من وجهى ، نهضـــت فورا على ركبتى لأرقب انطباق فكى «الكماشة» ! ٠٠ وكان الجهاز الرهيب يتحرك بدون أن يحدث صوتا فى هبوطه ، ولم يصدر أى صـــوت فى الحجرة العلوية بعد انطباق شطريه ٠٠ وفى غمرة هذا السكون المروع رأيت أمامي ، في القرن التاسع عشر وفي عاصمة فرنسا

المتمدينة ، هذا الجهاز المعد للقتل !

ظللت فترة طويلة أنظر الى الجهاز وأنا عاجز عن الحراك أو التنفس .. ثم بدأت أسترد قدرتى على التفكير ، وفى لحظةأدركت المؤامرة الجهنمية التى دبرت ضدى بكل بشاعتها ! .. لقد دس الانذال لى المخدر القوى فى قدح القهوة ، ولم ينقذنى من تأثيره الكامل غير اعتيادى أخذ جرعات معينة منه فى مناسبات سابقة ! **.. يا الهى ! كيف أسلمت نفسى طائعا ، فى غير مبالاة ، الى ذينك الآثمين اللذين قادانى الى هذه الحجرة بغية قتلى فى أثناء نومى بأبشع طريقة ، طمعا فى الاستيلاء على أرباحى الطائلة ؟ .. وكم من مقامر رابح ساقوه قبلى الى هذا الفراش ، ثم اختفى الى الأبد ؟!**

* * *

◆ **ونبهنى** من خواطرى عودة السقف اللعين الى التحرك من جديد ، صاعدا هذه المرة من حيث هبط ، بعد أن جثم على الفراش نحو عشر دقائق ، أيقن خلالها الاشرار الذين فى الغرفة العليا ولا ريب أن غايتهم الآثمة قد تمت خلالها وانتهى الأمر ! .. وحين بلغ السقف مكانه ، بدا كما كان فى البداية طبيعيا للغاية ، لا ينم عن شيء ، ولا ترى من خلاله أية ثغرة أو لولب ، حتى للعين الفاحصة المتشككة !

وعند ذاك ، ولأول مرة ، استطعت أن أتحرك من مكانى ، وأرتدى ثيابى على عجل ثم أفكر فى طريقة للفرار ، بشرط أن تكون طريقة آمنة .. **فلو صدر منى أدنى صوت ينبه القوم الى أن محاولتهم قتلى قد فشلت ، لكان مصيرى المحتوم أن أقتل فورا ، من جديد ! .. ترى هل أحدثت صوتا حتى الآن ؟ .. أرهفت سمعى ، واتجهت ببصرى نحو الباب ..**

كلا .. لا خطوات فى الممر خارج الغرفة ، ولا صدى أو حركة فى الغرفة العليا .. وانما سكون شامل فى كل مكان !

كانت حجرتى فى الطابق الاول ، تطل على شارع خلفى ٠٠ فمددت يدى لأفتح النافذة ، وأنا أعلم أن فرصتى الوحيدة للنجاة تتوقف على اتقان هذه الحركة ، فان القتلة لا بد يسهرون على حراسة ضحاياهم حراسة دقيقة ، ولو أحدث اطار النافذة أدنى صوت فأنا ضائع لا محالة !

ونجحت فى فتح النافذة أخيرا دون احداث صوت ، بخفة اللص الخبير باقتحام البيوت ! ٠٠ ثم نظرت الى الشارع ٠٠ ان القفز اليه يعنى موتا محققا ! ٠٠ ومن ثم أجلت بصرى فيماحولى، فوقع على أنبوبة مياه سميكة الى يسارى ، تمر بجوار اطار النافذة ٠٠ وفى تلك اللحظة أدركت أننى نجوت ! ٠٠ وعادت أنفاسى تتردد فى اطمئنان ، لأول مرة منذ رأيت سقف السرير يهبط على !

٠٠ وبعد أن وضعت احدى قدمى على اطار النافذة ، تذكرت صرة النقود التى تركتها تحت الوسادة ٠٠ ومن ثم عدت الى داخل الغرفة فربطت صرة النقود الى ظهرى برباط رقبتى ٠٠ وفى اللحظة التالية كنت أتسلق اطار النافذة لثانى مرة ٠٠ وفى اللحظة التى تليها كنت قد أحكمت القبض على « ماسورة » المياه بيدى وركبتى !

وانزلقت الى الشارع فى خفة وهدوء ٠ وحين لمست الارض ، اندفعت أعدو بأقصى سرعة نحو أقرب مركز للبوليس٠٠وعندما بدأت أسرد قصتى للضابط المختص ، بلغتى الفرنسية السقيمة، قرأت فى وجهه أنه حسبنى مخمورا يهذى ! ٠٠ لكنه لم يلبث أن عدل عن فكرته عندما تقدمت فى السرد ٠٠ وقبل أن أختم قصتى ، نحى الضابط الأوراق التى على مكتبه جانبا ، ثم تناول قبعته وأمر أتباعه باعداد شتى أدوات كسر الأبواب واقتحام المنازل ٠٠ وعندئذ قادنى من ذراعى الى الخارج بحركة ودية للغاية ، وقد بدا عليه الاغتباط البالغ بالمهمة الشاقة التي تنتظره!

★ ★ ★



الروائى الانجليزى « ويلكى كولينز »

• **وثبت** من التحقيق أن « الجندى القديم » كان صاحب الحانة ، وانه استبعد من الجيش منذ سنوات ، ومنذ ذلك اليوم صار يرتكب جميع الشرور والآثام ٠٠ وضبطت فى حوزته أمتعة مسروقة تعرف عليها أصحابها ! ٠٠ كما تبين أن العصابة تتألف من الرئيس ، ومدير الحلبة ، وشريك آخر ، والمرأة التى أعدت لى قدح القهوة !

وأرسل « المحارب القديم » واثنان من معاونيه الى المشنقة ٠٠ وحكم على المرأة التى أعدت لى قدح القهوة بالسجن ، عددا لا أذكره من السنوات ! ٠٠ ووضع رواد الحانة جميعا تحت المراقبة ٠ وغدوت أنا ــ لمدة أسبوع كامل ــ البطل الرئيسى للمجتمع الباريسى ! ٠٠ واقتبس ثلاثة من المؤلفين المشهورين قصتى كى يخرجوها على المسرح ، لكنها لم تر ضوء النهار ٠٠ فان الرقابة منعت عرض صورة دقيقة للفراش القاتل على خشبة المسرح !

على أننى خرجت من مغامرتى الباريسية بنتيجة كانت تسر المشرفين على الرقابة ولا شك ، هى أنها شفتنى الى الأبد من الجلوس الى مائدة القمار ٠٠ فلقد أمست رؤيتى للجوخ الأخضر الذى يكسو تلك المائدة ، ولأوراق اللعب وأكوام النقود و«الماركات» ، تقترن فى وعيى بمنظر سقف سرير يهبط ليزهق أنفاسي ، في سكون الليل وظلمته !



الغش ٠٠ فى لعب الورق !

لوحة رائعة بمتحف درسدن بألمانيا ، للفنان « كارافاجيو » (١٥٦٩ - ١٦٠٩)



الفنـانة الانجليزية « انجيليكا كوفمان » بريشـتها !
وقد كانت الفنانة أول امرأة انتخبت عضوا فى الاكاديمية الملكية
للفن ، بلندن (١٧٤١ - ١٨٠٧)



خطاب مفتوح من:
چين اير
إلى قارئ العربية .. في جميع الأقطار:
هل قرأت الجزء الأول من قصة حياتي، الذي قدمته لك
"مطبوعات كتابي" - بكل أمانة - في منتصف الشهر الماضي ؟
وهل رأيت كيف بدأت العلاقة بين سيدي "روشستر" وبيني،
حتى وقع ذلك الحادث الغامض في مخدع سيدي .. ذات ليلة ؟
إذا أردت أن تعرف كيف تطورت علاقتي بسيدي بعد ذلك
الحادث، فلتتابع قراءة قصتي الشائقة على صفحات الجزء
الثاني منها، الذي تصدره "مطبوعات كتابي" في منتصف
الشهر الحالي
ودمت للمخلصة:
چين اير
مطبوعات كتابي
يصدرها: حلمي مراد
شركة فن الطباعات ٥٨١٤٩